

أوراق عن منطقة عسير

الجزء الأول

جمع وإعداد

باحث عسير



الفهرس

مقدمة

قمت بجمع هذه الأوراق في فترات زمنية مختلفة من بعض المجلات أو من مواقع الأنترانت وحيث أردت جمع تلك الأوراق في ملف واحد للأشخاص المهتمين بتاريخ منطقة عسير وخصوصاً أهل المنطقة للاطلاع والاستفادة مما في تلك الأوراق وسميته أوراق عن منطقة عسير الجزء الأول.

وبمشيئة الله سوف يتبعه إجزاء أخرى في المستقبل وأسال الله التوفيق لنا ولكم..........

ودمتم سالمين...

باحث عسير

حملة فيصل بن عبدالعزيز آل سعود لترسيخ الحكم السعودي في عسير

(١٣٤٠-١٣٤١هـ/ ١٩٢٢-١٩٢٣م)

د. خلف بن دبلان الوذيناني
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى

تقع عسير في الجهة الغربية من شبه الجزيرة العربية بين الحجاز واليمن. وتنقسم أرضها إلى منطقتين: الأولى سهلية تمتد على ساحل البحر الأحمر وتسمى تهامة عسير، والثانية منطقة جبلية يطلق عليها اسم عسير السراة، وكانت هاتان المنطقتان تسميان لواء عسير في العصر العثماني حتى عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م.

واسم عسير أيضاً يطلق على البلاد جغرافياً، وهذا مصطلح حديث العهد، أطلقه العثمانيون عليها. وعسير اسم هذه القبيلة، وهو غاية في القدم، وقد أطلق على هذه البلاد، وسميت باسم بلاد عسير.

ويحدها من الجنوب مدينة صعدة، وشمالاً بلاد زهران، أما من جهة تهامة جنوبا فيحدها وادي أبو عريش وشمالاً وادي دوقة بالقرب من منطقة الليث، ومن الشرق قبائل قحطان شرقي صعدة، ومن الشمال الشرقي وادي بيشة، ومن الغرب البحر الأحمر[1].





(١) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج٢، ص ٥٣١.

وظلت عسير في عزلة عما كان يجري حولها من أحداث سياسية فيما مضى، كما كانت مجهولة عن الرحالة والمؤرخين العرب والأجانب على حد سواء[٢].

أما إمارة آل عايض في عسير فإنها حديثة العهد، وترجع إلى أيام الدولة السعودية الأولى[٣]. ويعني ذلك أنه لم تنشأ بها سلطة تستطيع توحيد قبائلها ومناطقها إلا في ظل حكم الدولة السعودية الأولى في بداية القرن الثالث عشر الهجري، حيث توحدت أجزاؤها وقبائلها تحت قيادات محلية تستمد قوتها وقيادتها الشرعية من قادة الدولة السعودية الأولى[٤].

وبعد ذلك توالى أمراء هذه المنطقة على حكمها من أبنائها من محمد بن عامر الرفيدي المتحمي العسيري المكنى «أبو نقطة» الذي قدم إلى الدرعية عام ١٢١٥هـ، ودرس فيها الدعوة السلفية، وناضل عنها عندما عاد إلى عسير، فكان أول أمير ظهر في عسير، وقد شملت إمارته عسير، التى تمتد في حدودها الجغرافية ما بين بللحمر فمحايل شمالاً حتى بلاد قحطان، فبني شعبة جنوباً، وغربا ما بين سواحل القحمة حتى بلاد شهران شرقاً، وكان تحت الحماية السعودية، إذ أقامه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود أميراً على عسير السراة وما حولها، وكان ذلك بداية اشتهار عسير إقليمًا ضمن بلاد العرب[٥].

(٢) جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي، منشورات الفاخرية، الرياض، ودار الكتاب العربي، بيروت، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٣) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٣٦١.

(٤) عبدالواحد محمد راغب دلال: البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٢، ص١٧٧.

(٥) عبدالله محمد حسين أبو داهش: عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى، الطبعة الأولى، إصدار نادي أبها الأدبي، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص ٢٥-٢٦.

وكانت منطقة عسير مصدر قلق لمحمد علي باشا بعد نزول قواته في أرض شبه الجزيرة العربية، لخضوع هذه المنطقة للنفوذ السعودي، واتباع الكثير من قبائلها مبادئ الدعوة السلفية، وبما أنها جزء من أجزاء الدولة السعودية وأبناءها من رعاياها - وهذا هو الواقع - لذلك سير لها الحملات العسكرية لحرب أبناء عسير على أساس أنهم سلفيون لرفضهم الإذعان للدولة العثمانية؛ لأنهم يكنون الولاء والبيعة لآل سعود في الدرعية، وقد أخذ إخضاع المنطقة جهداً كبيراً من قوات محمد علي حتى تمكنت من إخضاعها عام ١٢٣٠هـ بعد إلقاء القبض على طامي بن شعيب، وتمركزت قوات محمد علي في طبب بعسير، وقد استمر حكمه بعسير ست سنوات، وكانت بين عامي ١٢٢٥ - ١٢٣٠هـ، فقد أناب محمد علي عنه لحكم عسير قائد حاميته العسكرية. ومع ذلك فإنّ نفوذ الدولة العثمانية لم يكتب له الاستقرار؛ لإثارته الفتن والفوضى في بلاد عسير، فضاق به الناس ذرعاً، مما دعا أهل عسير للانقضاض على الحامية العثمانية في «طبب» بقيادة محمد بن أحمد المتحمي في رمضان ١٢٣٠هـ/١٨١٤م، فاستطاع استرجاع حكم عسير بعد خمسة أشهر وبضعة أيام(٦). وحكمها ثلاث سنوات انتهت في عام ١٢٣٣هـ، وهذا التاريخ يمثل سقوط الدرعية على يد إبراهيم محمد علي باشا، وانحسار الحكم السعودي عن عسير والإمارات التابعة للدولة السعودية الأولى(٧).

وحين حالت الظروف السياسية عن الاتصال المباشر لبلاد عسير بالدرعية عام ١٢٣٣هـ في نهاية الدولة السعودية الأولى كانت الإمارة في عسير بيد محمد بن أحمد المتحمي؛ لذلك منحت القيادة في عسير التفويض من السعوديين بأن تعمل ما تراه مناسبا؛ لأنّ عسير

(٦) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: محمد علي وشبه الجزيرة العربية، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨١م، ج٢، ص ٤٤-٤٥. دلال: المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٧) أبو داهش: المرجع السابق، ص ٢٧.



أصبحت شبيهة بقائد في الميدان، حالت الحرب بينه وبين الاتصال بمقر قيادته، فعليه أن يتصرف بما تمليه الظروف وبما يراه مناسباً دون الرجوع لمقر قيادته؛ لأنّ الحرب كانت سجالاً وقائمة بين أهل عسير وقوات محمد علي والي مصر من قبل الدولة العثمانية، وذلك للسيطرة على عسير وأهلها، لأنها تمثل له مصدر قلق.

وفي ظل هذه الظروف القائمة والتي تشمل القتال والاستسلام مع العدو أو عقد المعاهدات وغيرها من أمور الحرب دون التنصل من المسؤولية والولاء لرئاسة بلده تحت أي ظرف أو ضغط كان، لذا كان الأمير محمد بن أحمد المتحمي ومن جاء بعده يقاتلون القوات العثمانية؛ لأنهم كانوا يدينون بالولاء والوفاء للدولة السعودية راعية هذه الدعوة السلفية[٨].

ويقول عبدالواحد محمد راغب دلال: "إنه قد عاد الاتصال بين عسير وقادة الدولة السعودية الثانية في عهد الإمام تركي بن عبدالله، وابنه الإمام فيصل بن تركي بأسلوب آخر، ليست فيه إثارة للدولة العثمانية"[٩]، ولكنه لم يذكر تاريخ الاتصال بهذين الإمامين.

وفي خضم هذه الظروف تحولت الإمارة من محمد بن أحمد المتحمي إلى سعيد بن مسلط المغيدي الذي كان يشاركه في الحكم من قبل، كما عهد سعيد بن مسلط هو الآخر بها إلى ابن عمه علي بن مجثل، وابن مجثل عهد بها إلى عائض بن مرعي، وليس مستبعداً أن يكون ذلك كله تم بما رآه ذوو الرأي والمشورة، فهو منهج سار عليه العسيريون منذ البداية في اختيار الأكفاء من رجال منطقة عسير[١٠]، لمواجهة أطماع محمد علي ومن جاء على شاكلته في

---

(٨) دلال: المرجع السابق، ص ١٧٩. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦.

(٩) دلال: المرجع السابق، ص ١٧٩-١٨٠. وانظر: عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦.

(١٠) دلال: المرجع السابق، ص ١٨٠.

المنطقة... لذلك تنسب أسرة آل عايض إلى مؤسس إمارتها الأولى "عايض بن مرعي" من أهل ريدة آل يزيد[١١] من بني مغيد من قبائل عسير ومركز إمارتهم في أبها، والواقعة وسط مدينة عسير[١٢].

واستمر عايض في حرب العثمانيين إلى أن توفي في ٢٣ شعبان ١٢٧٣هـ (١٨٥٧/٤/١٧م)، فتولى من بعده الإمارة ابنه محمد بن عايض بن مرعي، فواصل هو الآخر الحرب مع العثمانيين حتى بلغت الإمارة في عهده إلى بسط نفوذها على سائر عسير السراة، وقسم من تهامة عسير، وقسم من الحجاز (غامد وزهران)، وقد توغل في اليمن فوصل تهامة اليمن حتى المخا، وحاول الاستيلاء على الحديدة، وحاصرها فترة من الزمن، لكن الحامية العثمانية الموجودة في اليمن استطاعت صده عنها بالقوة.

وفي طريق عودته إلى عسير قام بتخريب بعض المدن، وارتكب جنده فيها أعمال النهب والسلب؛ مما دفع بالقيادة العثمانية في الحجاز إلى أن ترسل له حملة عسكرية، قادها كل من رديف باشا وأحمد مختار باشا، فتصدى لها في بداية الأمر بكل شجاعة وقوة وبسالة من حصن «ريدة»، ولكن النتيجة لهذه الحملة ختمت حياته بمأساة، إذ غدر به رديف باشا بعد أن أعطي الأمان من قبل أحمد مختار باشا، وقتله مع خمسين من رجاله غدراً في صفر ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م[١٣]. فعزل

(١١) آل يزيد تعود سلالتهم أو نسبهم إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، انظر: أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٢٩.

ويرى الشيخ هاشم النعمي أن عايض بن مرعي وذويه لا ينتمون إلى يزيد بن معاوية من بني أمية، وإنما ينحدرون من عشيرة آل يزيد من قبيلة مغيد، إحدى قبائل عسير. هاشم سعيد النعمي: تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ط١، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٢٣٠.

(١٢) الزركلي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٧.

(١٣) محمد بن أحمد العقيلي: المخلاف السليماني، الطبعة الثانية، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١، ص ٥٤٦-٥٥٠. الزركلي: المصدر السابق، ص ١٤٧-١٤٨. فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص ٣٦١-٣٦٢.

السلطان العثماني رديف باشا بسبب تجاهله وثيقة الصلح والفرمان الصادر من الباب العالي[١٤].

وأصبحت عسير منذ ذلك اليوم تابعة للدولة العثمانية، مركزها أبها، ويتبعها ستة أقضية هي:

١ – بنو شهر أو النماص.

٢ – غامد، ومركزها رغدان.

٣ –رجال ألمع، ومركزها الشعبين.

٤ – محايل، ومركزها محايل.

٥ –القنفذة.

٦ – صبيا وأبو عريش[١٥].

وبعد مقتل محمد بن عايض فرّ كثير من آل عايض في أطراف عسير السراة، وظلوا مطاردين من الولاة العثمانيين الذين تولوا متصرفية عسير[١٦]. ولكن بعض الوثائق العثمانية المحفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول تشير إلى أنه بعد مقتل محمد بن عايض غدراً قبض رديف باشا على حوالي (٦٠٠) شخص يمثلون رؤساء وأعيان وشيوخ أهل عسير، فقام بترحيلهم مع من تم القبض عليه من آل عايض إلى إسطنبول، ثم بعد ذلك تم نفيهم إلى الروملي[١٧] بعد أن أقدم على قتل وتصفية كل من خاف أن يقف في وجه سياسته، وكان ذلك بهدف استقرار بلاد عسير للدولة العثمانية. وكان بين الأسرى شقيقا الأمير محمد بن عايض، وهما عبدالرحمن

(١٤) فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص ٣٦٢. دلال: المرجع السابق، ص ١٨٢.

(١٥) فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص ٣٦٢.

(١٦) الزركلي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٨.

(١٧) وثيقة رقم ٤٣٨٧، بدفتر إرادة داخلية رقم ٦٠٧٠٨ في ١٣٩٤/٣/٢١هـ محفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول.

وأخوه سعيد[١٨]. وقد استمرت استضافة هذين الأميرين في إسطنبول حتى ثبت للدولة العثمانية إخلاصهما، لذلك تم العفو عنهما، وأعيدا ومعهما الكثير من رؤساء بلاد عسير وزعمائها في عام ١٢٩٤هـ بعد إعلان طاعتهما للسلطان العثماني[١٩].

وهناك وثيقة أخرى تذكر أنه بعد مقتل محمد بن عايض أسر محمد رديف باشا ستمئة وثمانين من بينهم عدد من آل عايض وآل حفظي وكبار قادة عسير وأعيانها، ونقلوا إلى إسطنبول، وبعد وصولهم أمر السلطان العثماني بتوزيعهم على الولايات العثمانية لطمس أخبارهم وهويتهم، ولكن السلطان علم بما حدث من غدر لأهل عسير بعد الصلح، وما جرى من تصرفات المشير محمد رديف، فأمر باستدعائه، وقدم للمحاكمة فور وصوله، فقضت بعزله من الجيش، وخلع رتبه العسكرية، وأبقى الأسرى لديه في إسطنبول تحت رعايته مدة سبع سنوات (١٢٨٩ - ١٢٩٦هـ)، وأوكل من يقوم على شؤونهم، وكان العامة من الأسرى يتسللون ويعودون إلى بلادهم[٢٠].

وعلى أية حال عندما عاد سعيد بن عايض، عين لإخلاصه «قائمقام» قضاء غامد وزهران[٢١].

وفي عام ١٣٢٩هـ /١٩١١م، عينت الدولة العثمانية سليمان كمالي باشا متصرفا لعسير[٢٢]، فعاد آل عايض إليها، ومنهم علي بن محمد

(١٨) وثيقة رقم ٤٣٨١، إرادة داخلية في ١٣٩٤/١٢/٢٨هـ محفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول.

(١٩) وثيقة رقم ٤٥٣٦ بدفتر إرادة داخلية تحت رقم ٧٥٤٦٢ في ١٣٠٢/٩/٢١هـ محفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول.

(٢٠) وثيقة رقم ٤٧٩٣ بدفتر إرادة داخلية رقم ٩٤٨٩٦ في ١٣٠٨/٦/٢٤هـ محفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول.

(٢١) وثيقة رقم ٤٧٩٤ بدفتر إرادة داخلية تحت رقم ٩٤٨٩٧ في ١٣٠٨/٥/٢٥هـ محفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول.

(٢٢) الزركلي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٨.



بن عايض الذي ظل هارباً لمحاولته العودة إلى عسير وطرد العثمانيين منها[٢٣]. ولكن سليمان كمالي قربهم منه، وعين أحدهم وهو حسن بن علي بن محمد بن عايض معاونا له في عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م[٢٤].

قال سليمان باشا كمالي في مذكراته توضيحا لذلك الأمر: "كنت قبل سفري إلى أبها وجدت في كرسي وكالة المتصرف عبدالله بن عايض ابن الأمير محمد بن عايض آخر أمراء عسير السابقين، ولم أعلم كيف تولى هذا المنصب مع أني قبل سفري من إسطنبول قد استأذنت الصدر الأعظم في استمالة من أجدهم أهلاً للعمل من آل عايض، لاستخدامهم في خدمات الحكومة، ونجحت في موافقة الصدر الأعظم على ذلك الاقتراح"[٢٥].

ويبدو أنّ عبدالله بن عايض لم يدم طويلاً معاوناً له، فقد شك المتصرف سليمان باشا كمالي في نواياه ومدى ولائه للدولة فعزله، وعين بدلاً عنه ابن أخيه حسن بن علي بن محمد بن عايض عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م، وقد بقي في هذا المنصب معاوناً له حتى رحل العثمانيون عن عسير[٢٦]، حين أعلنت الحرب العالمية الأولى، فظل حسن بن علي بن محمد بن عايض على ولائه للدولة العثمانية يعاون محيي الدين باشا متصرف عسير الجديد - الذي أعقب سليمان باشا الكمالي - على مقاومة الإدريسي طوال الحرب لدفع عدوانه عن عسير[٢٧] التي كان ينوي الاستيلاء عليها.

(٢٣) وثيقة رقم ٤٤٨١ دفتر إرادة داخلية تحت رقم ٧٢٢٣٧ في ١٣٠١/٥/٧هـ محفوظة بالإرشيف العثماني بإسطنبول.

(٢٤) الزركلي: المصدر السابق.

(٢٥) محمد العقيلي: مذكرات سليمان شفيق باشا، الطبعة الأولى، نادي أبها الأدبي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ٣١.

(٢٦) دلال: المرجع السابق، ج٢، ص ١٨٥.

(٢٧) فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص ٣٦٢.

ولما انتشرت في العالم العربي أنباء هزيمة الدولة العثمانية أمام الحلفاء الذين أملوا عليهم شروطهم في هدنة (مندريوس) في ١٣٣٧/١/٢٥هـ الموافق ١٩١٨/١٠/٣٠م، والتي كان من بينها توقف القتال في الميادين الحربية كافة، وتسليم حامياتها في الحجاز وعسير واليمن وسوريا والعراق إلى أقرب قائد من قادة الحلفاء كما جاء في المادة (١٦) من الهدنة، وقد استغلت بريطانيا هذا الأمر، فأشاعت هذا النبأ ثم أبلغته رسمياً لقياداتها في تلك البلاد[٢٨].

وفي تلك الفترة كان متصرف عسير محيي الدين باشا قد تلقى في شهر ربيع الأول عام ١٣٣٧هـ أمر حكومته عن طريق «الإنجليز» بوساطة الإدريسي بإخلاء عسير والرحيل بحراً على الوسائط البحرية الإنجليزية، فامتثل المتصرف العثماني محيي الدين باشا، وسلم البلاد إلى أهلها[٢٩]، حيث قام بتسليمها إلى مساعده الحسن بن علي بن محمد بن عايض التي آلت إليه إمارة عسير بحكم وظيفته، واجتمع عليه آل عايض يشدون من أزره، ويشدون على يده[٣٠].

أما كيف عاد النفوذ السعودي إلى منطقة عسير فيقول أمين الريحاني المعاصر لتلك الأحداث: "إنه في نهاية الحرب العالمية الأولى وبالتحديد عقب نهاية الحرب بين الشريف حسين والعثمانيين في المدينة المنورة، فقد انتاب الشريف حسين نوع من الزهو والغرور، فوجه قواته نحو نجد بقيادة ابنه عبدالله بن حسين، وكانت ترافقه مجموعة كبيرة من الضباط والجنود النظاميين بلغ عددهم سبعة آلاف، علم سلطان نجد السلطان عبدالعزيز آل سعود بزحفهم؛ فأعلن النفير، أما عبدالله فأعلن أنه ذاهب لتأديب العصاة في تربة

(٢٨) دلال: المرجع السابق، ج٢، ص ١٨٦-١٨٧.

(٢٩) محمد أحمد العقيلي: المخلاف السليماني، ج٢، ص ٧٣٦.

(٣٠) تاريخ عسير: رؤية تاريخية خلال خمسة قرون في رسالة إبراهيم زين العابدين الحفظي، تحقيق محمد مسلط البشري، الطبعة الخامسة، ص ٢١٣.



والخرمة الذين خرجوا عن طاعتهم، ثم بعد ذلك يسير نحو نجد، فسار عبدالله بقواته، واستطاع أن يستولي على تربة دون مقاومة تذكر في ١٣٣٧/٨/٢٤هـ (١٩١٩/٥/٢٤م)، فقرر أن يبيت ثم يتحرك في اليوم التالي إلى الخرمة".

وكانت طلائع قوة السلطان عبدالعزيز تعسكر بالقرب من الخرمة التي لم تمهله إلى شروق شمس اليوم التالي كما أراد، بل باغتته ليلاً فقضت على جميع قواته، ولم ينج منهم إلا هارب، وكان من بين الهاربين الأمير عبدالله وقد نجا بأعجوبة، وغنم سلطان نجد الأسلحة والمعدات التي كانوا يتباهون بها، فكانت نكبة أخرجتهم من حالة النشوة والزهو في انتصاراتهم على الدولة العثمانية التي كانوا يعيشونها[٣١].

وقد أصبح انتصار السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في معركة تربة له صدى واسع في أنحاء شبه الجزيرة العربية، وتأثير فاعل في وسط القبائل في المنطقة وخاصة في قبائل عسير وتهامة القريبتين من مكان المعركة؛ لأنها أعادت إلى أذهانهم ماضي أمجادهم حينما كانوا تحت ظل الدولة السعودية الأولى، وأنهم ما زالوا يكنون لآل سعود المودة والمحبة والولاء.

أدت تلك الصحوة السلفية للعودة من جديد بين بعض قبائل عسير وخاصة قبائل قحطان وشهران وزهران وغيرها من القبائل إلى إحياء مبادئ الدعوة السلفية، وبالتالي أدت إلى عودة النفوذ السعودي إلى عسير، وكان حسن بن علي بن محمد بن عايض لم يمض عليه في منصبه سوى سنة وأشهر عدة حين شاهد هذه الصحوة تسري بين قبائله عقب معركة تربة، فأحس فيها تهديداً لسلطته، فعمد إلى مقاومتها[٣٢].

---

(٣١) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٢٤٤-٢٥٧. حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٥، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص ٢٦١. الزركلي: المصدر السابق، ص ٣١٦-٣٢٣. دلال: المرجع السابق، ص ١٩٨-١٩٩.

(٣٢) دلال: المرجع السابق، ص ١٩٩-٢٠١.

أ - حملة عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م):

وهي المحاولة التي سبقت حملة فيصل بن عبدالعزيز آل سعود؛ لترسيخ الحكم السعودي في عسير حين شرع حسن بن عايض في إدارة بلاده بعد جلاء الترك على شكل أحفظ الناس[٣٣]، وجعل من نفسه الحاكم المطلق على بلاد عسير، واغتر بنفسه؛ فاستبد بالرعية، وطغى عليهم وتجبر.

وبسبب ذلك نفرت منه القبائل وخصوصاً قبائل قحطان وزهران، وأرسلت وفودها شاكية إلى السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود[٣٤]، شارحين له ما آلت إليه المنطقة من الفوضى والاضطراب، وكان السلطان محبًا للسلم والسلام، ولاينفذ سياسته بالقوة إلاّ بعد أن تسد الأبواب في وجه المساعي الحميدة للسلام[٣٥]؛ فبعث إليهم بستة من علماء نجد للإصلاح بينهم، وكتب إلى الأمير حسن وإلى رؤساء قحطان وزهران ينصحهم بالمسالمة، ويدعوهم للرجوع إلى ما كان عليه أجدادهم، وهو العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وقد استمر حسن في غيه وسياسته القمعية والتعسفية، فأبى توسط العلماء، وعدّ تلك الوساطة تدخلا في شؤون عسير الداخلية، وردهم مكابراً حيث قال: "إذا كان ابن سعود يتدخل في شؤون قبائل عسير فسنمشي إلى بيشة النخل - قلعة بيشة - ونستولي عليها؛ حيث إنها كانت تابعة لأجدادي في الماضي"[٣٦]، فرجع الوفد من حيث أتى دون فائدة، فوجد السلطان عبدالعزيز أنّ

(٣٣) فؤاد حمزة: المرجع السابق، ص ٣٦٢.

(٣٤) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٠.

(٣٥) هاشم النعمي: المرجع السابق ص ٣٥٤.

(٣٦) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٠. هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٥٤.



السيطرة على عسير السراة، وإخضاع ابن عايض فيها يتطلب استخدام القوة العسكرية[٣٧].

لذلك اضطر السلطان عبدالعزيز إلى تجهيز حملة عسكرية قوامها ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة ابن عمه عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي؛ لتوطيد الأمن، وإنهاء الفوضى الضاربة في بلاد عسير، وأمره أن يدعو حسن بن عايض للسلم فيكون مع ابن سعود كما كان أسلافه الأولون في منطقة عسير، وكانت لأسلاف عبدالعزيز سيادة على مقاطعة عسير، وقد دخلت ضمن أملاكهم[٣٨]. وكانوا يرجعون إليهم في حل مشاكلهم، ويرون في حاكم نجد أنّه هو الحاكم الشرعي، إذاً لابد من الاقتداء بأسلافهم السابقين[٣٩].

وعلى أية حال فقد سار الأمير عبدالعزيز بن مساعد بحملته عندما لم تنجح الوساطة السلمية في شهر شعبان ١٣٣٨هـ الموافق مايو ١٩٢٠م، وواصلت تقدمها عن طريق رنية حتى وصلت إلى بيشة، وتقع هذه المدينة في المنتصف بين نجد وعسير، والتي اتخذها الجيش السعودي قاعدة لعملياته العسكرية[٤٠]، وقيل: واصل زحفه إلى القاعة[٤١]، وهي أرض منبسطة تقع في شرق بلاد شهران، حيث عسكر بجيشه هناك، وفيها انضم إليه قبائل قحطان وشهران، وكان الأمير بن مساعد يحمل معه رسائل إلى كبار مشايخ قحطان وشهران وصاحب عسير، وغامد وزهران وغيرهم من القبائل يدعوهم فيها

(٣٧) سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود: الطبعة الأولى، مطابع الرياض، الرياض ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، ص ١٤٥.

(٣٨) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٠.

(٣٩) عبدالرحمن الحصين: فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ٤٢.

(٤٠) أمين الريحاني: المصدر السابق.

(٤١) قاعة ناهس: حيث يقع تجمع رجال قحطان، وتبعد عن مدينة أبها في الاتجاه الشرقي بحوالي سبعين كيلاً. انظر هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٥٥.

إلى جمع الشمل، واتحاد الكلمة، وتطبيق الشريعة كما كان أسلافهم[٤٢].

ومن القاعة بعث الأمير عبدالعزيز بن مساعد الرسائل التي كان يحملها إلى أصحابها مصحوبة برسائل منه شخصياً يحثهم فيها على تجنب مخاطر الحروب والجنوح إلى السلم، والدخول تحت الطاعة السعودية، فانهالت عليه رسائل التأييد، ومن ضمن هذه الرسائل رسالة من أحمد بن صالح بن عقال أحد مشايخ قبائل بلجرشي (غامد) يعلن فيها دخول قبائله، والطاعة للسلطان عبدالعزيز، ويتعهد أيضا بنصح كل قبائل غامد الذين يجهلون هذه الدعوة لحثهم على دخول الطاعة[٤٣].

وتلا ذلك بعض شيوخ القبائل الذين أعلنوا الطاعة مع استعدادهم لدفع الزكاة، بل منهم من كان عوناً للأمير ابن مساعد، مثل: سعيد بن مشيط أحد رؤساء قبائل شهران الذي قام بجمع قبيلته، ورتب قراه، وحث الناس على دخول طاعة آل سعود، ثم أرسل عيونه إلى أبها عونا للأمير ابن مساعد؛ للاستطلاع على الأخبار فيها[٤٤].

أما أمير عسير حسن بن علي بن محمد بن عايض فقد بعث إليه الأمير عبدالعزيز بن مساعد برسالة السلطان عبدالعزيز ومعها رسالة أخرى منه يحملها وفد يتكون من كبار قادة الجيش برئاسة القاضي الشيخ عبدالله بن راشد، ومحمد بن سلطان، وفيصل بن حشر القحطاني وآخرين معهم[٤٥]، وكان مضمون رسالة السلطان

(٤٢) محمد بن عبدالله آل زلفة: عسير في عهد الملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٢٩-٣٠.

(٤٣) وثيقة رقم ٢٢٥ في ١٣٣٨/١٠/٢٥هـ، من محفوظات دارة الملك عبدالعزيز بالرياض.

(٤٤) حسن حسن سليمان: المرجع السابق، ص ٧٤-٧٧. عصام الدين السيد: المرجع السابق، ص ٤٧.

(٤٥) هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٥٦.



عبدالعزيز هي دعوة أمير عسير إلى اجتماع كلمة العرب بتقويم دين الله والتعاضد على كلمة الله؛ لتكون هي العليا، وأنه ليس له قصد في الأذى أو التعدي على أمر من أمور الدنيا غير راحة المسلمين[٤٦]. وتضمنت رسالة السلطان عبدالعزيز أيضًا تفويض الأمير ابن مساعد في المفاوضات معه على ما يتفق عليه الطرفان[٤٧].

فاستدعى الأمير حسن كبار قومه بعد وصول الرسالة؛ للتشاور والرد عليها للأمير بن مساعد غير أنّ رد ابن عايض جاء مراوغاً، امتاز باللباقة عندما استعرض فيها العلاقات بين الجانبين، ورحب بتطبيق الشريعة الإسلامية واتحاد الكلمة، وأظهر استعداده لإيفاد من يدير المباحثات معه إلا أنه في الوقت نفسه رفض الدخول تحت طاعة آل سعود عندما قال: "إنّ آل عايض ملتزمون بحدود الله وتطبيق شريعته، ولسنا بخارجين عن طريق الحق والشرع"، ثم بعد ذلك أفصح عن حق عسير في الاحتفاظ باستقلالها ضمن حدودها المعروفة، وما أشكل يعرض على هيئة تحكيم شرعية تفصل بين الطرفين[٤٨].

وفي تلك الأثناء كان الأمير ابن مساعد يبعث للسلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الرسائل من بيشة، ومن القاعة محملة بأخبار الحملة وخطواتها وما يستجد فيها لحرب عسير، ثم بأخبار القبائل التي أعلنت ولاءها والتي ما زالت مع الجانب الآخر (آل عايض)، ويظهر ذلك من رسائل السلطان عبدالعزيز التي كان يبعث بها رداً على رسائل الأمير ابن مساعد، والتي كان يقول فيها: "والخط منكم وصل وما عرفته منه كان معلوم"؛ لذلك كان السلطان في هذه

(٤٦) رسالة حسن بن علي بن محمد بن عايض، أمير عسير إلى الأمير عبدالعزيز بن مساعد في ١١/١٠/ ١٣٣٨هـ (نقلا عن عصام ضياء السيد: عسير، ص ٣٢٥).

(٤٧) محمد آل زلفة: المرجع السابق، ص ٣٠.

(٤٨) عصام الدين السيد: المرجع السابق، ص ٤٦-٤٧. محمد آل زلفة: المرجع السابق، ص ٣٠.

الرسائل لا يفصح عن شيء، ولايفصل فيما ورد إليه، ولعل أغلب تعليماته هي خطابات شفوية سرية مع صاحب البريد لقائده الأمير ابن مساعد[٤٩]؛ لذلك نرى عدم تعجل الأمير ابن مساعد في حرب عسير، ولم ييأس من رد ابن عايض، بل بذل محاولة سلمية أخرى، فأرسل إليه وفدا برئاسة القاضي عبدالله بن راشد؛ لمناقشته لإعادة النظر في السلم ودخول الطاعة[٥٠]، والحقيقة فقد مال الأمير حسن للسلم إلا أنّ ظهور جناح متصلب من قبيلته بني مغيد كان يرى عكس ذلك؛ فقاموا بتهديده بالخلع لو جنح للسلم، وقالوا له: "إنّ القوة لا تواجه إلا بالقوة". فأحبطت تلك المساعي من قبل الذين لا يريدون السلام[٥١]، فصار الصدام بين الجانبين، وخاصة حينما أرسل حسن بن علي آل عايض مشطًا (رصاصًا)، وهذا معناه علامة الرفض للمفاوضات السلمية، لذلك واصل الأمير ابن مساعد تقدمه من القاعة[٥٢] في طريقه لابن عايض. وعندما دنا من جبال عسير انضمت له قبائل شهران التي سبق أن أعلنت طاعتها، وعلى رأسها رئيساهما سعيد بن مشيط ومحمد بن دليم[٥٣]. ثم واصل زحفه إلى أبها، فخرج إليه حسن بن علي آل عايض من أبها ومن معه من قبائل عسير، فالتقى الفريقان في يوم الخميس من النصف الأخير من شهر شوال في «حجلا» الواقعة بين أبها وخميس مشيط، فكانت المعركة شديدة، والهزيمة فيها من نصيب حسن وأتباعه من أهل عسير، ثم واصل الأمير ابن مساعد زحفه حتى وصل إلى مشارف أبها ليلاً؛

(٤٩) وثيقة رقم (١٠١٢) من السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى عبدالعزيز بن مساعد في ١٣٣٨/١١/٢٤هـ. وثيقة رقم (١٠١٣) من السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى عبدالعزيز بن مساعد في ١٣٣٨/١١/٢٤هـ.

(٥٠) عصام الدين السيد: المرجع السابق، ص ٤٧.

(٥١) محمد آل زلفة: المرجع السابق، ص ٣٤-٣٥.

(٥٢) أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، دار الكتاب العربي، ج٢، ص ٩٦.

(٥٣) سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٥.



فتوقف ولم يشأ اقتحامها عنوة حتى لايروع من بقي من أهلها الذين فضلوا الاستسلام صباحاً، وفي الصباح دخل مدينة أبها دون مقاومة، وأعلن العفو العام عن الناس، وتوافد رؤساء القبائل لإعلان الولاء والبيعة للسلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والانضواء تحت لواء التوحيد، بعد أن أخلاها ابن عايض وفر منها، واعتصم في جبل حرملة، فواصل الأمير ابن مساعد سيره غرباً بجنوب، وسيطر على جميع السراة، وغيرها من النواحي التي تتصل بحدود السيد الإدريسي[٥٤]، وكان الإدريسي مواليا لابن سعود، وقد أسر بعض الفارين من آل عايض، ثم أخلى بعد ذلك سبيلهم إجابة لطلب السلطان عبدالعزيز[٥٥].

وبعد أن تمت للأمير ابن مساعد السيطرة على عسير السراة بجميع نواحيه أرسل إلى حسن وابن عمه محمد بن عبدالرحمن بن عايض يؤمنهم[٥٦]. فرجع حسن وابن عمه من حرملة إلى الأمير ابن مساعد للاستسلام، فأرسلهما إلى الرياض حيث قوبلا من السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بالعفو والأمان، وقد أقاما شهراً بضيافة السلطان، واتفقا وإياه على أن يكونا معه كما كان أجدادهم من قبل[٥٧]. قال السلطان عبدالعزيز: "ما تخلينا أبداً عنكم يا آل عايض، وعندما سأل الترك الشريف عبدالله بن عون أن يهاجمكم وينكل بكم، أرسل الشريف يستنجد بعمي الإمام عبدالله[٥٨]، فأجابه: ابن عايض[٥٩] رجل منا فكيف نساعدك عليه!"، ثم عرض إمارة عسير

(54) F. O : 371/5147/ No: (910) From Mr. Scott. H. Cairo, 15 Sep. 1920 .
إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن: تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، الطبعة الأولى، الرياض، ج٣، ص ٢١-٢٢. هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٥٧.

(٥٥) الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥١.

(٥٦) سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٥-١٤٦.

(٥٧) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٠. الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥٠. سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٥٨) هو الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي بن عبدالله.

(٥٩) محمد بن عايض.

على حسن بالشروط التي تقيد بها أجداده، فرفضها قائلا: "قد عادينا الناس، ونخشى إن أمرتنا أن يقوموا علينا، ولكننا نكون معاونين لمن تؤمرون أيدكم الله، ولاتقصروا عنا من جهة الدنيا".

فأعطاهما السلطان عبدالعزيز خمسة وستين ألف ريال فرنسي، وهو ما يعادل ستة آلاف وخمسمئة (٦٥٠٠) ليرة ذهبية معاونة منه، وخصص لهما مع أهلهما مقررات شهرية[٦٠]، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ ضياء الدين السيد بأنّ (حسن ومحمد) آل عايض ظلا لدى السلطان عبدالعزيز، ولم يشأ أن يلبي طلبهما بالعودة حتى يقدما وثيقة مكتوبة بالبيعة وعهود الولاء منهما ومن أنصارهما بعسير، وخاصة بعد أن وصلته وثيقة من بعض زعماء عسير تحمل توقيعات عدة يحث فيها موقعوها السلطان عبدالعزيز بألاَّ يسمح لآل عايض بمغادرة الرياض والرجوع إلى أبها خشية وقوع الفتن مرة أخرى، وقيل: أيدهم في ذلك ابن مساعد، لكن السلطان عبدالعزيز ترك آل عايض يعودون إلى عسير؛ لما اشتهر به من العفو، والتسامح - كما هي عادته - في مثل هذه الأمور، حيث اكتفى بتوقيع وثيقة من أنصار آل عايض له بالبيعة والولاء[٦١]. بعد أن عاهداه (أي: حسن ومحمد) على الطاعة والولاء[٦٢]. وبمعنى آخر يقول هاشم النعمي: "لم يكن بين الأمير حسن ورؤساء عسير وفاق، فقد كتبوا إلى السلطان عبدالعزيز راجين منه عدم عودة آل عايض إلى عسير، ولكن السلطان سمح لهم بالعودة إلى عسير بعد أن بايعوه، وأكدوا له أيمان الولاء وعهود الطاعة، وبعد أن وردته وثيقة البيعة من عسير بيد محمد بن مسلط وأحمد بن عبدالله بن مفرح اللذين كانا قد سافرا من الرياض بأمر

(٦٠) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠١.

(٦١) عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية، الطبعة الأولى، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٤٩.

(٦٢) أحمد عبدالغفور عطار: صقر الجزيرة، ط٣، مطبعة الحرية، بيروت، ١٣٩٢هـ، ج٢، ص ٢٤٩.



السلطان عبدالعزيز إلى الأمير ابن مساعد في عسير؛ لأخذ وثيقة البيعة من عسير، وبعثها إلى الرياض مع المذكورين، وقد كتب معهما الأمير حسن بن علي إلى الأمير عبدالعزيز بن مساعد يستحثه في الإسراع بأخذ البيعة من عسير وعودة الرسولين بها إلى الرياض"[٦٣]، وذلك لضمان سرعة عودتهما إلى عسير، وكان لهما ما أراداه.

ب - فيصل بن عبد العزيز آل سعود وحملة عسير (١٣٤٠-١٣٤١هـ/ ١٩٢٢-١٩٢٣م):

بعد صلح حسن ومحمد مع السلطان عبدالعزيز والتزامهما بالطاعة والسماح لهما بالعودة - كما مر بنا في الفقرة السابقة - عاد الأميران إلى بلادهما راضِيَيْن مغبوطين، فأقاما إلى جانب عامل السلطان عبدالعزيز في أبها، شَوَيش بن ضويحي، وكانت سيرتهما حسنة في بداية الأمر، ولكن حسنا كتب إلى السلطان عبدالعزيز يشكو شويشاً؛ فعزله السلطان، وأمّر مكانه عبدالله بن سويلم، فلم تمض مدة من الزمن حتى طلب حسن عزله، فأجابه السلطان، وأمّر مكانه فهد العقيلي[٦٤]، يذكر سعود بن هذلول أنه حين تم تعيين فهد العقيلي أميراً على عسير بدلاً من ابن سويلم ساءت الحالة بسبب تصرف هذا الأمير الجديد؛ وعدم خبرته في إدارة إمارة عسير[٦٥].

وقيل: إن حسناً كان يتعمد شكاية عمال السلطان عبدالعزيز، ويعمل على استبدالهم؛ ليستعيد نفوذه أمام قومه، وهو في الوقت نفسه يتحفز للانقضاض لاسترجاع عسير، وتم له ما أراد ولكن كان ذلك مؤقتاً[٦٦]، كما سيأتي. ومن أجل ذلك استأذن حسن من العقيلي للسفر إلى حرملة بلدته المنيعة؛ ليأتي بعائلته من هناك إلى أبها،

(٦٣) تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص ٣٥٨.

(٦٤) الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٦٥) تاريخ ملوك آل سعود، ص ١٤٦-١٤٧.

(٦٦) الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥١.

فـأذن له، وكان ذلك تمهيداً للثورة، وعند وصوله لها تمنع بها، وشرع يدس الدسائس على ابن سعود(٦٧).

ويؤكد ذلك حسن حسن سليمان حين يقول: "لقد أسهم الحكام الذين اختارهم ابن مساعد في الخلل الذي أصاب إدارة عسير، مما أثار شكوى السكان، ودليل ذلك الاضطراب أنه قد تعاقب على إدارة عسير ثلاثة أمراء في فترة وجيزة؛ مما جعل ذلك ينعكس على الحالة في تلك المنطقة والتي وجد فيها حسن بن عايض ضالته، وفرصة سانحة في التمرد على السلطان عبدالعزيز؛ لاسترجاع بلاد عسير، وخاصة أنه علم أن ابن مساعد قد صدرت إليه تعليمات من الرياض بالعودة إلى أبها؛ لتسوية الخلافات والنزاعات الدائرة في أبها، وهذا العمل كفيل باستقرار الأمن والنظام في بلاد عسير"(٦٨).

إلا أن حسناً كان لا يريد ذلك الوفاق، حتى لا تضيع الفرصة من يده وهو الذي يبحث عن أنصاف الفرص للانقضاض على والي عسير، لإنهاء الوجود السعودي فيها، مستغلا هذه الخلافات حجة واهية للعودة لحكم عسير.

وخاصة الخلافات التي كانت من قبل جماعته (بنو مغيد)، الذين أثاروا الكثير من الفتن والقلاقل والاضطرابات بالاتفاق معه(٦٩)، وقد اتصل - سرا - بالشريف حسين بن علي في مكة المكرمة؛ لمساعدته في تلك الثورة، فبعث له الشريف بكثير من المال والعتاد؛ لإعانته في حربه لابن سعود، وسعى أيضا في تأليب القبائل ضد ابن سعود(٧٠).

(٦٧) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠١، أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٤٩.

(٦٨) حسن حسن سليمان: الأمير عبدالعزيز بن مساعد: حياته ومآثره، د. م، د. ن، د. ت، ص ٨٠.

(٦٩) سعود بن هذلول: المصدر السابق، ص١٤٦.

(٧٠) الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥١. الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠١.



أما حسن فقد اتفق مع أعوانه وأنصاره أن يظهروا اللين مع أمراء نجد في أبها حتى يستعدوا لتلك المعركة الحاسمة في نظرهم[٧١]. ويعني ذلك أنهما (حسن ومحمد) نسيا فضل ابن سعود، وجحدا النعمة ويد معطيها إليهما، وتنكرا لما لقياه من حسن الوفادة والإكرام، وجميل الصفح وحسن المعاملة والأمان وراحة البال، وأعلنا عصيانهما وتمردهما، واستعانا بعطايا ابن سعود وخيراته على تجهيز جيش قوي للزحف به على أبها لإعادة حكمها لآل عايض[٧٢].

وبدأ الشريف حسين بتوزيع المال والسلاح لتأليب القبائل على حرب ابن سعود للانضمام إلى ثورة حسن بن علي بن عايض الذي اغتنم فرصة إظهار قبائل عسير سخطها على تصرفات العقيلي، فمشى إليهم بعد فتنة[٧٣] أثارها قومه "بنو مغيد" في أبها؛ فحاصر أميرها فهد العقيلي لمدة عشرة أيام، اضطر بعدها لضعفه وقلة رجاله أمام قوة خصمه إلى التسليم[٧٤]، على شرط أن يعود مع رجاله إلى الرياض بأسلحتهم الخفيفة، غير أن العقيلي بعد خروجه من أبها في شهر شوال عام ١٣٤٠هـ اتجه نحو بلاد شهران قاصداً بيشة.

وعند وصوله إلى خميس مشيط استقبله أمير شهران سعيد بن مشيط والشيخ عبدالوهاب أبو ملحة، واستطاع أن يجمع حوله بعض الموالين من القبائل للدولة في خميس مشيط للهجوم بهم على ابن

(٧١) محمد بن مسلط الوصال: تاريخ عسير، ص ٢٦٥.

(٧٢) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٧٣) يقال: إن خادما من خدم الأمير فهد العقيلي اشترى من السوق حطباً، فلم يجد من يحمله، فطلب من أحد المارة حمله، فرفض، فضربه، وتجمهر الناس، وتأزم الموقف، وانتقلت الأخبار مشوهة ومبالغ فيها إلى بعض القبائل، فزحفت إلى أبها واستغل حسن هذا الزحف، وركب الموجة، وقاد هذا الزحف بنفسه. انظر: دلال: المرجع السابق، ص ٢٠٦، نقلاً عن (منير العجلاني، فيصل العظيم...، ص٦٦).

(٧٤) الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥١، الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠١.

عايض وأنصاره، وكتبوا إلى السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود حقيقة ما يجري في المنطقة[٧٥].

ولكن بعد رحيل قوات فهد العقيلي من أبها عاد حسن بن علي آل عايض من حرملة إلى أبها، وأخذ يجهز المنطقة ويحصنها بالرجال والعتاد، ومن ناحية أخرى بدأ بمراسلة الإدريسي، مبديا حسن النية والولاء له، وكان الغرض من ذلك كسبه إلى صفه في هذه المحنة، وفي الوقت نفسه أخذ يجهز جيشه العسيري تجهيزا كافياً من أجل إعلان الاستقلال بعسير لغرض سيطرته على القبائل المجاورة.

كما أقام هدنة مع قبيلة بني شهر لمناصرتهم ضد ابن سعود في عسير، وقد استطاع ابن سعود أن يهزمهم، ويدخلهم الطاعة في حربه الأولى على يد قائده ابن مساعد.

وقد نجح حسن بن علي بن عايض في جمع خمسة آلاف مقاتل، وجعل قيادة هذا الجيش مقصورة في آل عايض وعددهم خمسة قواد، وهم: محمد، وناصر، وعايض، وعبدالله، وسعد، أبناء عبدالرحمن بن عايض[٧٦].

وبعد تجهيز هذه القوات بتحريض من ملك الحجاز وبمساعدة بني شهر علم الأمير حسن ببقاء الحامية السعودية في خميس مشيط، فتقدم بقواته نحوهم، وبعد قتال شديد استطاع حسن وضع كمين للعقيلي، فقبض عليه في خميس مشيط، ووضعه في السجن بأبها بعد أن دفع له فدية من المال قدرها ثلاثة آلاف ريال، وأخذ من كل شيخ من شيوخ شهران حصاناً أصيلا وأسر بعضًا منهم، وقام بحرق

(75) F. O : 371/7716 momo , 12 Nov. 1922. F. O: 371/7716 Report, Jul Aug,. 1922.

دلال: المرجع السابق، ص ٣٠٥. سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٦-١٤٧. هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٦٤.

(76) F.O: 371/7716, Memo, from: sd/-M- Fazluddin, captin, I. M. S. Political Officer, Hodidah. co: the Frist Assistant, Resident, Aden, 12, Nov. 1922.



بعض بيوت الزعماء الموالين لآل سعود الذين وقفوا بجانب العقيلي، ومن بين هذه البيوت بيت سعيد بن مشيط لمساعدتهم له[٧٧]، وعلى أية حال فقد رأى الشريف حسين ملك الحجاز أن الفرصة قد سنحت له مرة أخرى؛ لينتقم لنفسه، ويثأر لها من السلطان عبدالعزيز في (تربة)، فبعث إلى بني شهر وقبائل عسير يأمرها بالعصيان، ويهيب بها أن تستقل ببلادها وأراضيها عن السلطان عبدالعزيز، وأن تلتف حول أميرها الوطني حسن بن علي آل عايض، وتقف معه يداً واحدة للدفاع عن عسير، وأعلن استعداده بمدهم بالمال والسلاح والرجال إذا لزم الأمر، وفعلا قام بمد حسن بكثير من الأموال والسلاح، ووعده بمده بالرجال، فازدادت قوة حسن وابن عمه محمد بعد القضاء على سيادة السلطان ابن سعود وأسر عامله[٧٨].

فتفاقم الأمر، واشتد الخطر على السيادة السعودية في عسير، واستمرت هذه الحالة أكثر من شهرين[٧٩]، وقد تمكن حسن وابن عمه من بسط نفوذهما على عسير خلال هذه المدة[٨٠]. ويبدو أن التوقيت لهذه الفتنة كان مخططًا له مسبقا لتوافقه مع انشغال السلطان عبدالعزيز في حربه مع حائل، فنفذ حسن بن علي بن عايض طموحه في الاستيلاء على عسير، ففضل السلطان الانتظار حتى يفرغ من حائل.

وبعد سقوط حائل أوكل السلطان عبدالعزيز المهمة لابنه الأمير فيصل في السير على رأس حملة موجهة إلى عسير، لإخماد الفتنة

---

(77) F. O: 371/7716 momo, 12 Nov. 1922. F. O: 371/7716 Report, Jul Aug, 1922.

دلال: المرجع السابق، ص ٣٠٥. سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٦-١٤٧.

(٧٨) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٧٩) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٢. صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية، منشورات دار مكتبة الحياة، ج٢، ص ٢٦٢.

(٨٠) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٥٠.

وإعـادة الأمـن هناك، والتي تغـذيهـا أهواء خـارجـيـة تهب تارة من الحـجاز، وأحـيـاناً من اليـمن، وخـاصـة أن الشـريف الحـسين يرى أنّ إقليم عسيـر تابع له؛ لذلك كان يعمل على تغذية كل فتنة تعمل على الخروج على الدولة السعودية(٨١).

ومـهـما يكن فعندما فـرغ حسن آل عايض من السيطرة على بلاد شـهـران توجـه بقـواته إلى بلاد قـحطان للنكال بهم لولائهم الثـابت للسلطان عبدالعزيز، فـاستطاعِ بقوته وجبـروته أن يلزم كـبار رجال قحطان على دفع ثلاثة آلاف، وأَخْذِ حصانٍ من كل شيخ من شيوخهم، كما أخذ أسـرى من كل قبيلة من قبائل قحًطان حتى يضمن وقوفهم معه أو الحياد خوفا من انضمامهم عند الحرب للسلطان عبدالعزيز، ثم طلب من مـحـمـد بن دليم زعـيـم قـحطان دفع ثلاثة آلاف ريال، فطلب منهم مهلة ثلاثة ليال لدفعها، وبعد مرور المدة لم يف ابن دليم بالمال، فـبـدأ حسن آل عـايض بالبـحث عنه، فـعلم أنّه قـد توجـه إلى بيشة في انتظار الجيش السعودي، وقد التقى ابن دليم فعلا بالأمير فيـصل بن عبدالعـزيز آل سعـود(٨٢). وكان الأمـير فيـصل قـائد هذه الحملة لم يبلغ العشرين من عمره(٨٣)، ولكنه كان قائداً ملهما، قويا حازما ماهراً في فنون الحرب بطلاً لا يجاريه أحد، وفي الوقت نفسه كان "هو وأخوه سعود الأكبر" الساعد الأيمن لوالده رغم صغر سنه، فقد أمره السلطان عبدالعزيز بقيادة هذا الجيش، لمعرفته أنه أهل لهذه القيـادة والانتصـار، ولمعـرفة فـيصل الهدف الذي يسـير إليـه، والمهمة السامية المكلف بها لإخضاع هذه المنطقة، إضافة إلى ما كان

(81) F. O: 371/7715, Wahabi/File, No. 18, 25 October, 1922.

(82) F. O: 371/7716, Report, 1922.

(٨٣) كان مولد فيصل على الصحيح في شهر شوال ١٣٢٤هـ الموافق ١٩٠٦م بعد انتصار والده في معركة "روضة مهنا" المشهورة، ويعني ذلك أنّ عمره عند قيادته لهذه الحملة ستة عشر عاماً، يؤكد ذلك: الوثيقة رقم (٣٨٩) صادرة من ديوان نائب جلالة الملك (المكتب الخاص) في ٤ ذي الحجة ١٣٧٠هـ الموافق ٥ سبتمبر ١٩٥١م، الطائف، ص ١.



يتمتع به الأمير فيصل من حكمة ودهاء وعبقرية اكتشفها فيه والده مبكراً؛ فأنابه عن نفسه في الأمور الجسام(٨٤).

وعندئذ انطلقت هذه الحملة في شهر شوال عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م المؤلفة من ستة آلاف جندي مقاتل من الإخوان، يقودها الأمير فيصل آخذاً طريق رنية بيشة نحو عسير، وعندما دنا منهم انضم إليه أربعة آلاف مقاتل من قحطان وزهران وشهران ورنية وبيشة وغيرهم من تلك القبائل(٨٥) الجبلية، باثاً عيونه في تلك الديار يستطلع أخبار آل عايض للقضاء عليهم.

فوصلت أخبار زحف قوة الأمير إلى آل عايض، وقد استهانوا به لصغر سنه، فهل يستطيع فتى يافع أن يتغلب على قواتنا، وأن يتفوق على ما نملك من خبرة وفن في الحروب! فخيل إليهم أنهم سينتصرون على قواته، ويسجلون عليه نصرًا مبينًا، ويشتتون شمل جنوده، ولكن على الرغم من اطمئنانهم إلى الفوز فقد رأوا أن يجسوا نبض القوة السعودية قبل أن يدفعوا بقواتهم إلى الميدان، فأوعزوا إلى قبيلة بني شهر أن تهاجم بيشة، ووصلت الأمير فيصل معلومات تفيد بأنّ آل عايض قد أثاروا بني شهر، وقد وصلت أطراف بيشة، وهذه القبيلة تناصرهم وتحالف حليفهم الشريف الحسين الذي حرضهم ومدهم بالمال والسلاح لمهاجمة بيشة التابعة لابن سعود واحتلالها.

وكان القصد من وراء هذه الخطة هو استدراج جيش الأمير فيصل لقتال بني شهر؛ ليقفوا على مدى قوة الحملة السعودية وشجاعة قائدها، فاستشار الأمير فيصل قادة جيشه في أمر هذا الهجوم،

(٨٤) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٥٠. صلاح الدين المختار: المرجع السابق، ص ٢٦٣.

(٨٥) أمين الريحاني: المصدر السابق. سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٧.
F. O: 371/7716 , Report , 1922 .

فرأوا أن يزحف الجيش السعودي بكامله، ويقضي على هذه القوة إلا أن الأمير فيصل خالفهم الرأي، حيث رأى عدم الزحف بكامل الجيش إلى بيشة لقتال بني شهر؛ لأنّه عرف أنّ أبناء عايض وأعوانهم كانت خطتهم ترمي إلى استدراج الجيش السعودي إلى معركة صغيرة؛ ليقضوا عليهم في معركة كبيرة، يختار بنو عايض وقتها وساحتها، لذلك رأى الأمير فيصل ألاّ يقع الجيش السعودي في فخ ينصبه له آل عايض، بل هو الذي يختار ميدان المعركة ويحدد موقعها وموعدها، فكتيبة واحدة من الجيش تكفي للمواجهة في بني شهر، فأكبر قادة جيشه حكمة الأمير فيصل رغم صغر سنِّه(٨٦).

لذلك أمر الأمير فيصل بابتداء القتال كما خطط له، فهجمت كتيبة من الجيش السعودي، وقتلت حوالي مئتين منهم على "العين"، وهذا المكان يقع ما بين وادي بيشة وترج، وتشتت البقية الباقية من قوات بني شهر في القرى والسهول والوديان والجبال خوفا من ملاحقة القوات السعودية(٨٧). وكان لهذه المعركة صداها في عسير، ثم تقدم الأمير فيصل في هجوم خاطف في اتجاه بلاد ابن هشبل فالخميس.

وكان محمد بن عبدالرحمن بن عايض يقود جيشاً مرابطاً في خميس مشيط يقدر بعشرة آلاف مقاتل من قبائل آل مغيد وبني شهر ومحايل وعسير، وعندما علم بدنو الأمير فيصل(٨٨) وهزيمة بني

(٨٦) بيار روفايل: صقر الجزيرة، الطبعة الأولى، دار منشورات (حمد ومحيو)، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٨٧) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص٣٠٢. أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٥. هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٦٤.

(٨٨) يقول هاشم النعمي: كان محمد بن عبدالرحمن آل عايض وقتها في عتود خلف الخميس من الغرب بمسافة قصيرة، وليس لديه علم بتلك الحركة الخاطفة للجيش السعودي، والحق أن أمير شهران سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط كان وفياً؛ إذ ما كادت تصل طلائع الجيش السعودي "تندحة" حتى أرسل إنذارًا إلى العسيريين الذين كانوا على جوانب وادي عتود بقيادة محمد بن عبدالرحمن كي لا يباغتهم =



شهر، خشي أن يداهمه الأمير في خميس مشيط، فانسحب بجيشه إلى حجلا؛ ليستعد ويتأهب لمنازلة الأمير فيصل، فعلم الأمير بذلك الأمر، فأدرك أنه يريد الاستعداد للمعركة، ورأى ألاَّ يترك له فرصة للاستعداد، فلحقت به سرية من الجيش السعودي، فتراجع مع جنوده إلى أبها، ثم غادرها إلى الحرملة ليعتصم فيها خوفاً من القوة السعودية دون قتال(٨٩). وقيل: دارت في حجلا معركة شديدة حامية الوطيس بين الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود والأمير حسن بن عايض(٩٠).

وعلى الرغم من أن قوة آل عايض كانت قوة منظمة، ولديها أسلحة حديثة متقدمة أمدهم بها الشريف الحسين بن علي، إضافة إلى استعانتهم ببعض الضباط العثمانيين لوضع خطط المعارك، فقد استطاع الأمير فيصل أن ينتصر على قوات آل عايض في حجلا، ويحقق عليهم نصراً مؤزراً لما يتمتع به من حكمة وذكاء وهو دون العشرين(٩١).

= الجيش الزاحف على حين غرة... وقد نقل هذا الحديث عن الشيخ (محمد بن هشلول) من قرية العكاس إحدى ضواحي أبها، وكان يومها إماماً لأمير شهران عبدالعزيز بن مشيط: ومعلماً لأبنائه، حيث قال: "لما وصلت طلائع الجيش السعودي تندحة قال سعيد بن مشيط: أنا لست بغدار، اذهب إلى ربعك عسير المخيمين بوادي عتود، وأنذرهم يأخذوا سبيل النجاة، كي لا يقعوا في معركة الجيش الزاحف، فكنت أول نذير لهم" بتقدم جيش الأمير فيصل من الخميس في اتجاه مدينة أبها عاصمة عسير بعد انتصاره على قوات بني شهر.

هذه المعلومات أدلى بها الشيخ محمد بن هشلول نفسه شفوياً مع بعض المعاصرين ممن كانوا مع قائد جيش عسير محمد بن عبدالرحمن ومنهم (علي عميش) أحد أعيان مدينة أبها، (نقلا عن تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص ٣٦٤-٣٦٥).

(٨٩) أمين الريحاني: المصدر السابق.

(90) F. O : 371/7716, Op. cit.

بيار روفايل: المرجع السابق، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٩١) بيار روفايل: المرجع السابق، ص ٢٨٧.

هذا النصر جعل حسن بن عايض يفر من حجلا إلى الحرملة[٩٢]؛ ليتحصن بها أمام قوات الجيش السعودي مخلفا وراءه كثيرًا من الموتى والجرحى، ولأنّ الدين الإسلامي الحنيف يحث على العناية والرفق حتى بالخصوم فقد أمر الأمير فيصل بدفن القتلى، ومعالجة الجرحى ومدهم بالأدوية والأغذية وإحاطتهم بكل الرعاية والعناية، لذلك أكبر العسيريون في الأمير فيصل شهامته ونبله، وكرم خلقه، فانضم من بقي في حجلا له، والحرب تحت لوائه، وما كان هذا العمل من الفيصل إلا امتثالاً لتوجيه والده السلطان عبدالعزيز الذي كان حريصا على سلامة أهل عسير[٩٣]. أما القبائل في المناطق المجاورة الذين انضموا إلى حسن بن علي بن عايض فقد أصابهم الهلع بقدوم الجيش السعودي، فهربوا إلى القرى البعيدة؛ ليتواروا عنه خوفا منه[٩٤].

أمر الأمير فيصل بدفن القتلى، ومعالجة الجرحى ومدهم بالأدوية والأغذية وإحاطتهم بكل الرعاية والعناية

وقد سار الأمير فيصل إلى حرملة لأنه لم يكتف بضم حجلا، بل اندفع متعقباً آل عايض لإدراكه هدفًا ساميًا، وهو القضاء على حركة حسن بن علي بن عايض، فأخذ يضم القرى المبعثرة هنا وهناك وهو في طريقه إلى ابن عايض، وكان مشهدا عجيبا في المدن والقرى، يدخلها ابن عايض صباحاً، فيخليها بعد ساعات؛ ليدخلها الأمير فيصل في المساء، وما زال ابن عايض وابن عمه في هزيمة وفرار لا يلويان

(٩٢) حرملة: هي بلدة منيعة في معقل من الجبال يستحيل ارتقاؤها إلا من منافذ أو مسالك لا يعرفها غير أهلها، وكان آل عايض في حربهم مع العثمانيين يلجؤون إليها، وهي بلدتهم وحصنهم المنيع منذ القدم. انظر: أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٢.

F. O: 371/771, Ibid .

(٩٣) جريدة أم القرى: العدد ٤٩٠، السنة العاشرة، الجمعة ٢٠ المحرم ١٣٥٣هـ /٤ مايو ١٩٣٤م، بلاغ رسمي رقم (٤). بيار روفايل: المرجع السابق، ص ٢٨٧. عبدالرحمن الحصين: المرجع السابق، ص ٤٨-٤٩.

(94) F. O: 371/7716, Ibid .



على شيء، حتى دخل حسن إلى بلدته «الحرملة» وتحصن بها، وعزم على الدفاع عن زعامته وعن أرضه حتى آخر نقطة من دمه، فما بعد حرملة شيء[٩٥].

لذلك مضى الأمير فيصل وجنوده حتى دخلوا أبها في شهر صفر عام ١٣٤١هـ، ووجدوا الطريق خالياً إلى أبها، فدخلوها، ولم يجدوا بها سوى النساء والأطفال[٩٦]، ولا من يستقبلهم فيها، فقام الأمير فيصل بعد أن استقر في قصر (شدا) بمدينة أبها، بإلقاء رسالة موجهة لأهل أبها يطلب منهم الرجوع إلى ديارهم بعد أن أعلن العفو العام، وأعطاهم الأمان، وبعد عشرة أيام عاد الناس[٩٧].

يقول الريحاني المعاصر لهذه الأحداث: "إن الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود قد أرسل رسالة يؤمِّن الناس في أبها شرط أن يسلموا «شوكة الحرب»، فسلموا له فريقًا من الذين كانوا ثائرين وعفا عنهم، وظل فريق مع حسن آل عايض فروا معه إلى بلدته حرملة، وتحصنوا فيها"[٩٨].

ويقول عبدالمنعم الغلامي: "لقد دارت بين الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وحسن بن عايض وابن عمه في أبها معركة حامية انكسر فيها ابن عايض، ودخلها الأمير فيصل في شهر صفر ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، ولم يجد فيها مقاومة؛ لأنّ رجالها لحقوا بحسن بن عايض إلى حرملة"[٩٩]. أما محمد ومن معه فقد فروا إلى القنفذة على ساحل البحر الأحمر[١٠٠].

(٩٥) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٥١. بيار روفايل: المرجع السابق.
(٩٦) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٢. أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق.
(97) F. O: 371/7716 Op. cit
(٩٨) تاريخ نجد الحديث، ص ٣٠٢.
(٩٩) الملك الراشد، الطبعة الثانية، دار اللواء، الرياض، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٣٥. الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥١.
(١٠٠) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٢-٣٠٣.

وعلى أية حال فقد عامل الأمير فيصل سكان أبها معاملة حسنة، وأحاطهم برعايته واحترامه بعد أن أنذر سكانها بتسليم السلاح الذي كان لديهم، فامتثل أهل أبها مقابل تأمينهم على أموالهم وحياتهم(١٠١)؛ لأنّ الأمير فيصل كان حريصاً على الحصول على السلاح الذي كان يحمله العسيريون مما خلفته الدولة العثمانية في عسير أثناء جلائها من أبها، إذ إنّ بقاءه في أيدي العسيريين خطر على الوجود السعودي لا سيما أن الأحوال في طور التأسيس لعدم استقرار الأوضاع، إذ إنّ أغلب حملته يسكنون خارج مدينة أبها، فصدرت أوامره لمشايخ القبائل وكبار رجالاتها لإحضار الرجل الطيب والبندقية الطيبة والاستعداد للجهاد، فلم يتخلف أحد ممن يحمل السلاح، لذلك عمل الأمير لهم وليمة في قصر شدا، فكانوا يدخلون من الباب الأول بالسلاح، ويخرجون من الباب الثاني دون سلاح، وهذه السياسة التي اتبعها الأمير فيصل سياسة حكيمة فيها دهاء قلّ أن يهتدي إليها سوى عباقرة الرجال، لا سيما في تلك المواقف الحساسة الدقيقة التي تستوجب السرية والحيطة والحزم والحذر لمثل هذه الأمور(١٠٢)، وتلا ذلك أن قدم لهم كل مساعدة حيث قام بتأمين الغذاء والدواء، فساد الأمن والعدل بين الرعايا في المدينة، وبعد ذلك عقد الأمير وقادته في أبها اجتماعاً بحثوا فيه أمر استئناف القتال مع حسن بن عايض في حرملة، فنصح أحد كبار القواد الأمير فيصل عند عزمه للزحف إلى حرملة، وقال: إنها مغامرة ليست سليمة العواقب، والسبب في ذلك يرجع إلى أن حصن حرملة حصن منيع(١٠٣)، حاولت الدولة العثمانية مرارا احتلاله، فعجزت؛ لأنّ الزحف إلى حرملة يظهر شبح الموت، فصعوبة تسلق

(١٠١) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٢.

(١٠٢) هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٦٥-٣٦٦.

(١٠٣) بيار روفايل: المرجع السابق، ص ٢٨٦-٢٨٧. أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٥١.



الجبل ليس بالأمر اليسير، فكان رأي بعض قادة الجيش السعودي هو الاكتفاء بما تم، وما أحرزه من نصر، والعودة إلى الرياض بعد إعلان الأرض التي استردوها أرضا سعودية.

ولكن الأمير فيصل خالفهم الرأي، وقال لهم: "نحن ما زحفنا إلى عسير لنهرق الدم العربي المسلم، وما جئنا لنستولي على أرض عربية، هدفنا كان وما زال "بنو عايض" وإلقاء درس عليهم في الوفاء، وفي صون المواثيق والعهود، سنزحف إلى حرملة غير آبهين بما ينتظرنا من الأهوال والأخطار، فيجب أن نقوم بالمهمة الملقاة على عاتقنا خير قيام، أو نموت شرفاء في ساحة الوغى، سنزحف إلى حرملة، وسأكون في الطليعة"، فدهش قادته الكبار لهذه الجرأة النادرة في فتى لم يتجاوز العشرين.

وقد سار الأمير فيصل إلى حرملة؛ لأنه لم يكتف باحتلال حجلا وأبها والمدن العسيرية الأخرى، متعقباً آل عايض لإدراكه هدفين ساميين، وهما:

أولاً: القضاء على حركة حسن بن عايض.

ثانياً: نشر الدعوة السلفية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وساندها الإمام محمد بن سعود في تلك المناطق[١٠٤].

وكانت رغبة الأمير فيصل إنهاء الحرب دون قتال، فدعا آل عايض إلى الصلح والاستسلام دون إراقة دماء، وهذا ما تشير إليه الوثيقة البريطانية بأنّ الأمير فيصل قد دعا حسن آل عايض للقدوم إلى أبها، وعبّر ابن عايض عن عدم تمكنه من المجيء إلى أبها، وقال: إنّ قائد السعوديين يستطيع أن يرسل من خيرة رجاله إلى الحرملة لمراقبة تحركاتي هناك، ويعني ذلك أنّ حسناً فضّل السجن في دياره بدلا من أن يرسل إلى الرياض، وقام حسن بإرجاع الأسرى - الذين

(١٠٤) عبدالرحمن الحصين: المرجع السابق، ص ٤٧ - ٤٩.

سبق له أخذهم – إلى ذويهم في أبها، ومنهم فهد العقيلي، وسعيد بن عبدالعزيز بن مشيط، وتم تكريمهما بأربعة آلاف ريال لكل منهما، وذلك لوقوفهما وصمودهما أثناء فترة استيلاء حسن على أبها قبل مجيء القوات السعودية، وبمعنى آخر لموقفهما المشرف مع الدولة السعودية، حيث تمت معاملتهما معاملة سيئة من قبل آل عايض، وأرسل معهم هدية إلى الأمير فيصل مقدارها ألف ريال فرنسي، فقام الأمير فيصل بردها إلى حسن، وهذا المبلغ عبارة عن ضمان لحياته في حال مجيئه إلى أبها، وفي حالة رفضه المجيء سيكون متمرداً على ابن سعود الذي دعاه، وبالتالي سيفقد نفسه وممتلكاته، لذلك رد حسن بأنّه سيحضر إلى أبها خلال ٣ أو ٤ أيام.

وعندما تسلم الأمير فيصل بن عبدالعزيز رسالة ابن عايض أرسل (١٧) رجلاً عسيريًا بقيادة قائد سعودي لمرافقة ابن عايض من الحرملة إلى أبها، وكان أحد رجال هذا الفيلق لديه أخ يسكن في حرملة قد وصلته معلومات تفيد بأنّ حسنًا يريد الغدر بهذا الفيلق في منتصف الليل ومعه (٢٠٠) جندي من المقربين له في اليوم التالي، وفعلاً قام هذا الرجل وامتطى حصانه، وتوجه مسرعاً نحو الفيلق، حيث أخبر أخاه بما يدور في رأس ابن عايض من نوايا الغدر، فرجع الرجال إلى أبها، وأخبروا الأمير فيصل بتلك المؤامرة، وطلبوا منه تعزيزات عسكرية كرد فعل لهذا الحدث؛ فقام الأمير فيصل بجمع جميع زعماء قبائل عسير، وأخبرهم بأمر حسن، وكيف أنّ حسناً يريد أن يرتكب جريمة في حق عشيرته وأهله. فغضب كل من سمع هذه الخطبة، وبالفعل أجمع الحاضرون على جاهزيتهم على غزو الحرملة[١٠٥].

وكانت جبال الحرملة التي اعتصم فيها ابن عايض منيعة جدا لايصل إليها إلا أهلها، ويصعب ارتقاؤها إلا مع منافذ معلومة لا يعرفها

(105) F. O: 371/7716. Op. cit.



إلا أهلها، وكان آل عايض في محاربتهم مع العثمانيين يلجؤون إليها، وهي حصنهم المنيع منذ قديم الزمان.

فاستمر فيها حسن مقيماً ومعتصماً ومن معه من أسرته وقومه الموالين، أما محمد آل عايض فقد سافر من القنفذة إلى مكة المكرمة؛ يستنجد بالملك الحسين، فأنجده بسرية صغيرة يقودها الشريف عبدالله بن حمزة الفعر، ومعها مئتا جندي نظامي وبعض الرشاشات والمدافع بقيادة الملازم حمدي بك(١٠٦).

ولما علم الأمير فيصل بأخبار سفر محمد إلى الحجاز، بعث إلى الحرملة بالحملات العسكرية السعودية الواحدة تلو الأخرى، واستبسل في حصار الحرملة للقضاء على حركة حسن بن عايض، وبعد معارك عدة دامت أكثر من ست ساعات تمكن الجيش السعودي من دخول الحرملة(١٠٧).

بيد أن الوثائق البريطانية تذكر في أحد تقاريرها عن مراقبها السياسي في عدن فضل الدين أنّ الأمير فيصل عندما علم بغدر ابن عايض قام بإعداد حملة عسكرية لغزو الحرملة، وكان معظم هذه الحملة من رجال عسير لمعرفتهم بأرض الحرملة ومفاوزها(١٠٨)، وأسند قيادة هذه القوة إلى علي بن مشيبة أحد زعماء بني مغيد لمهاجمة الأمير حسن بن علي آل عايض، حيث كان معتصماً بقصره في الحرملة، وكانت الحرملة صعبة المسالك ملتوية الطرق؛ لهذا تم اختياره لتلك القوى السعودية لخبرتها ومعرفتها بمسالك تلك الأغوار(١٠٩). وبالفعل تحرك معه حوالي (٧٠٠) مقاتل قاموا بالهجوم

---

(١٠٦) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٢-٣٠٣. الزركلي: المصدر السابق، ص ٢٥١. سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٧-١٤٨.

(١٠٧) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(108) F. O: 371/7716. Op. cit.

(١٠٩) هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٦٦.

على الحرملة في اليوم التالي، وهزم حسن في تلك المعركة بعد أن قتل (٥٠) من رجاله، وفر مع أسرته وأعوانه، وفي هذه المعركة غنمت القوات السعودية (٣٨) جوادًا عربيًا و (٤٥) سجادة فارسية (٢٠,٠٠٠) ريال فرنسي، وقد خسرت قوات الأمير فيصل حوالي (٧٠) قتيلاً في المعركة(١١٠).

ويخالف سعود بن هذلول هذين القولين السابقين، حيث ذكر أنّ المعارك استمرت لمدة يومين، استمر الجيش في الحصار والصعود حتى دخلوا حرملة(١١١)، فلم يجدوا فيها حسنًا، فقد هرب مع بعض قادته وأنصاره، فهدموا قصورها وحصونها، وعادوا إلى أبها(١١٢). وبهذا النصر عادت عسير من جديد إلى الحكم والنفوذ السعودي.

وكان الأمير فيصل قد أرسل قوة من رجاله إلى تهامة لمحاربة القوة القادمة من الحجاز والتي بعث بها الشريف الحسين بن علي إلا أنّ القوات السعودية لم تستطع الثبات؛ لأنّ تهامة كانت على الجيش أشد في حرها وحمياتها من صخور حرملة، فقد داهمتهم الحمى، لذلك عادوا منهزمين من الحمى، وتسلقوا الجبال، فاقتفى الجيش الحجازي أثرهم، للقضاء عليهم، وإخراجهم من أبها.

وفي هذه الأثناء وقع خلاف في الرأي بين قائد الحملة الحجازية الشريف عبدالله بن حمزة الفعر، والملازم حمدي بك البغدادي على الطريقة أو الخطة التي يجب سلوكها لتعقب الجيش السعودي، وكانت الكلمة الأخيرة للشريف الفعر، فسلك الطريق الذي حذره منه حمدي بك، فإذا بالشريف وقواته يقعون فريسة بين فكي الكماشة لقوات الجيش السعودي، وصيداً سهلاً، فقد أحاط جنود الأمير فيصل بجيش الشريف، وكاد يقضى عليه قضاء كاملاً، ولكن (الشريف

(110) F. O: 371/7716. Op. cit.

(١١١) تاريخ ملوك آل سعود، ص ١٤٨.

(١١٢) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣. سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٨.



وحمدي) القائدين للشريف الحسين تمكنا بعد جهد جهيد من الفرار بنفسيهما، ومعهما بعض رجالهما، ولاذوا بجبال بارق، فتعقبهم الجيش السعودي، فهربوا منحدرين إلى تهامة، ومنها إلى القنفذة[١١٣]، ومنها إلى مكة المكرمة، وكان سيرهم ليلاً ونهاراً خوفا من جيش الفيصل[١١٤]، وقد استولى جيش الأمير فيصل على ما معهم من أسلحة ومدافع ورشاشات وأسلحة وذخائر ومؤن، فأخذوها، ورجعوا بها إلى أبها[١١٥].

جـ - الموقف البطولي للأمير فيصل في حرب عسير:

وهنا يشيد عبدالرحمن الحصين بزحف الأمير فيصل إلى حصن الحرملة بأنّه يعد مغامرة تعيد للأذهان مغامرة استرداد الرياض، فالإمام عبدالعزيز كان في مقتبل عمره، وهذا ابنه فيصل يقوم بمغامرة دخول حصن حرملة، وكأنه يعيد التاريخ لتلك المغامرة العظيمة المقترنة بالشجاعة التي فعلها والده عند استرداد مدينة الرياض دون مساعدة[١١٦].

لذلك يعد اقتحام الأمير فيصل هذا الحصن شجاعة نادرة؛ إذ لم يستطع العثمانيون الوصول إليه، وقد وقفوا عند حرملة في حروبهم حائرين غير قادرين إلى التقدم خطوة واحدة إلى قمة الجبل المنيع والتي تقع فيه تلك المدينة[١١٧]. وقد اجتاز الأمير تلك العقبات والمفاوز الجبلية الوعرة بكل شجاعة

اقتحام الأمير فيصل هذا الحصن شجاعة نادرة؛ إذ لم يستطع العثمانيون الوصول إليه

(١١٣) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣. عصام ضياء الدين السيد: المرجع السابق، ص ٥١.

F. O: 371/8939, No. (43384) 23, From, Colonia Office, 12, Sept. 1923.

(١١٤) أمين سعيد: فيصل العظيم، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٨٥هـ، ص ٢٤.

(١١٥) سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٨-١٤٩.

(١١٦) فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، ص ٤٨.

(١١٧) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣.

حتى استولى على الحرملة التي استعصت من قبل على جيوش الدولة العثمانية[١١٨]، حيث استطاع معرفة طرقها الخفية حين باحت له بالسر. أما شجاعته وبسالته، فكان أول الفاتحين لها، ومن خلفه جنده الأبطال فرحين؛ لأنهم فتحوا ما استعصى فتحه على الدولة العثمانية[١١٩].

ويصف بيار روفايل معركة حرملة بين الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود وحسن بن عايض، فيذكر أنها معركة ضارية تعد من المعارك المهمة والفاصلة في حرب عسير، فقد هجم السعوديون على الحرملة بكل قوة، وقاوم العايضيون استبسالا في الدفاع عنها، وطال الحصار، وقد أبى الأمير فيصل أن يعود دون دخول المدينة رغم المقاومة الشديدة، وفي المقابل رفض حسن بن عايض أن يرفع راية الاستسلام وهو في حصن منيع، خُيِّل له أنه يستطيع الصمود طويلاً، وأنّ الأمير فيصل سيضطر إلى العودة بعد أن يمل الحرب والحصار هو وجيشه، ويملأ اليأس قلبه لقوة المقاومة وشراسة الحرب، فيقطع الأمل من دخول حرملة، وعندما يحاول الأمير فيصل الانسحاب من الحرملة ينقض عليه ابن عايض ويفتك به وبجنوده، ويقضي عليه، ولكن الأمير فيصل أحكم الحصار على حرملة، ولم يداخله اليأس، فذخيرته ما نضبت بعد، وهمته عالية همة الشباب الواثق من قدراته.

ولكنّ هناك أمرًا لم يحسب حسابه حسن، فقد بدأ أبناء الحرملة يتذمرون بعدما أنهكهم الحصار السعودي، وصعبت عليهم سبل العيش والراحة والسلام، ولما لمس الأمير فيصل منهم ذلك رأى أن ينهي هذا الحصار، وأن يهاجم المدينة بشكل كامل، ويضع حدًا لتلك المعركة، فحمل حملة منظمة على الحرملة، واندفع بكل قواه وبكل جنوده وأسلحته وذخيرته في هجوم شامل لم يره أهل الحرملة من

(١١٨) عبدالمنعم غلامي: المرجع السابق، ص ٣٥.

(١١٩) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٢٥١-٢٥٢.



قبل، واستطاع الأمير فيصل من خلاله دخول حصن الحرملة بعد معركة من أروع المعارك الحربية وأشدها التي عرفها التاريخ السعودي الحديث(١٢٠).

وعلى أية حال فقد استطاع الأمير فيصل من بسط نفوذه على أبها بعد أن أنذر سكانها بتسليم السلاح الذي بحوزتهم، فامتثل أهل أبها لذلك الأمر مقابل تأمينهم على أموالهم وأرواحهم، وكان ذلك في شهر صفر ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م، بعد معارك عدة مع آل عايض وأنصارهم في الحجاز، وبالتالي عامل الأمير فيصل سكان أبها معاملة حسنة لا مثيل لها فقد قدم لهم كل عون ومساعدة، وأمن لهم المعيشة، ونشر العدل والأمن والاستقرار والسلام في ربوع المنطقة؛ مما أدهش أهل أبها الذين لم يتوقعوا منه هذه المعاملة الطيبة، وخاصة بعد تمردهم الأخير مع آل عايض، ولكن التسامح والصفح والعفو عن المسيء هو ديدن الأسرة السعودية منذ قيام الدولة وحتى الآن(١٢١).

ولقد انتعشت تلك المنطقة تحت الحكم السعودي في عهد السلطان عبدالعزيز حتى أصبحت ذات حظوة لدى الأمير فيصل الذي لمس صدى ولاء سكانها للدولة(١٢٢).

وقد بقي الأمير فيصل في أبها لترتيب البلاد وتوطيد الأمن ونشر السلام ستة شهور، من أوائل شهر ذي الحجة عام ١٣٤٠هـ إلى أوائل شهر جمادى الأولى عام ١٣٤١هـ(١٢٣).

وبعد أن استتب الأمر والأمن في عسير لبطل عسير الأمير فيصل وضمها للدولة السعودية ونظم فيها دفة الحكم وسير أعمالها تسييرا حسناً، أسند إمارة أبها عاصمة عسير إلى سعد بن عفيصان وهو من

---

(١٢٠) صقر الصحراء، ص ٢٩١-٢٩٢.

(١٢١) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(١٢٢) محمد المانع: المرجع السابق، ص ٥٠.

(١٢٣) هاشم النعمي: المصدر السابق، ص ٣٦٧.

رجاله الأوفياء المخلصين للدولة السعودية(١٢٤)، وأبقى معه حامية عددها (٥٠٠) جندي لحماية عسير، ثم عاد إلى الرياض، فوصلها في ١٣٤١/٥/٢١هـ الموافق ١٩٢٣/١/٨م(١٢٥)، وكانت أخبار انتصاراته الباهرة قد سبقت وصوله إليها(١٢٦)، بل تعدت الأخبار المحلية حيث كان لنصر الأمير فيصل في عسير صدى في العالم، فقد وصل في ١٥ أكتوبر ١٩٢٢م (١٣٤١/٢/٢٤هـ) البرقية الأولى من البحرين، تفيد بأنّ السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود قد صرح بأنّ قواته قد استردت أبها بقيادة ابنه الأمير فيصل، بينما هناك تقرير آخر يفيد بأنّ فيصل قد هزم، أما البرقية الثانية فقد وصلت من الكويت تفيد بأنّ الأمير فيصل قد أخضع تهامة عسير للنفوذ السعودي(١٢٧)، وتلا ذلك بما يؤكد من مكتب الهند البريطاني في ٤ ديسمبر ١٩٢٢م (١٣٤١/٤/١٥هـ) برقية محولة من الكويت والبحرين تفيد بأنّ الأمير فيصل قد هاجم أبها، وانتصر عليها، كما أخضع تهامة عسير(١٢٨).

وعقدت الدهشة الألسن حين شكك بعض من الناس، ولم يكن يصدق قدرة الأمير فيصل في الوصول إلى الحرملة واقتحامها، إلا أنّ هناك رجلاً واحداً لم يشك في قدرة الفيصل، ولم يثره ذلك الانتصار؛ لأنه يعرف ويعلم أنه أهل لهذه الثقة رغم المهمة الشاقة، وينتظر منه ذلك الانتصار لفراسته المبكرة في هذا البطل، وكان ذلك الرجل هو السلطان عبدالعزيز والذي همس لابنه عند عودته وهو يراه منتصراً بقوله: "هذا ما كنت أرقبه من فيصل، وهذا هو نجل

(١٢٤) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(125) F. O: 371/8951, Adan News Letter Secret, 30th Nov, 1923.

أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(١٢٦) أمين الريحاني: المصدر السابق، ص ٣٠٣.

F. O: 371/8951, Ibid.

(127) F. O: 371/7716, No: (4873) From Indai Office, 4/11/1922.

(128) F. O: 371/7716, Wahabi File, No: (28), Dec. 1922.



عبدالعزيز، وليس لنجل عبدالعزيز أن يعود إلا والنصر معقود له وأكاليل الغار تعصب منه الجبين"[١٢٩].

وقد كان السلطان عبدالعزيز على حق حين رد بتلك الكلمة التي تحمل كل معاني الأبوة عندما قال: "لقد كنا على حق حين سميناه باسم جده"[١٣٠].

وبعد وصوله إلى الرياض في ١٣٤١/٥/٢١هـ الموافق ١٩٢٣/١/٨م، أخذ يستقبل المهنئين[١٣١]، وقد خرج لاستقباله أكثر من (٥٠٠٠) رجل، اجتمعوا خارج أسوار الرياض[١٣٢]، وقد جرى له استقبال رائع، وكان على رأس مستقبليه جده الإمام عبدالرحمن، الذي خرج لاستقباله خارج أسوار الرياض، وازدحم أبناء الرياض لتحية بطل عسير، ومرت فرقة من الفرسان، ثم أطل الأمير فيصل على رأس كوكبة من رجاله الأشاوس شاهرا سيفه مرتدياً ثياب الميدان، وفي عينيه وميض الذكاء، ويرتسم على جبينه وقار القائد الحازم، ثم ترجل الأمير فيصل ليحيي جده، فما كان من الإمام عبدالرحمن - وقد أدمعت عيناه لما رأى حفيده الباسل الظافر - إلا أن قبله بحرارة وعانقه طويلاً.

أما والده السلطان عبدالعزيز فلم يستقبل الفيصل استقبال الوالد لولده، بل استقبله قائدًا أعلى كما يستقبل أحد قادته العائد من ساحة الحرب، وكانت دموع الفرح والاعتزاز ظاهرة في عين السلطان لا يستطيع إخفاءها[١٣٣].

(١٢٩) بيار روفايل: المرجع السابق، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(١٣٠) قدري قلعجي: موعد مع الكرامة، قبس من حياة فيصل بن عبدالعزيز وآرائه السياسية، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ٤١.

(١٣١) أحمد عبدالغفور عطار: المرجع السابق، ص ٣٥٣.

(١٣٢) عبدالرحمن الحصين: المرجع السابق، ص ٥١.

(١٣٣) بيار روفايل: المرجع السابق، ص ٤٢٢-٤٢٣.

وقد تحدث أمين الريحاني، المعاصر لهذه الأحداث في كتابه المنشور باللغة الإنجليزية بعنوان: "ابن سعود والجزيرة العربية" عن عودة الفيصل إلى الرياض بقوله: "شهدت يومئذ، وأشهد الآن من أعماق القلب وبحرارة أنّ الفيصل ممتاز، ولو افترضنا أنه لم يقم بقتال كبير، فإن زحفه من الرياض إلى جبال عسير على رأس خمسة آلاف من القوات هو في حد ذاته عمل بطولي عظيم، متى عرفنا أنّ قائد هذه المسيرة فتى لم يبلغ العشرين من العمر"(١٣٤).

وبعد هذا النصر أطلق عليه أهل نجد والناس لقب بطل عسير، وظهر للناس جميعاً أنه قائد شجاع مظفر يجمع بين الحرب والسياسة وبين القوة والكياسة(١٣٥).

فمولد هذا البطل كان في شهر شوال ١٣٢٤هـ الموافق ١٩٠٦م بعد انتصار والده على خصمه العنيد عبدالعزيز بن رشيد والقضاء عليه، في معركة "روضة مهنا" المشهورة، واستخلاص القصيم من أيدي آل رشيد وأنصارهم (الدولة العثمانية) في معركة فاصلة كانت فاتحة عهد الانتصارات، والتي أحرزها عاهل الجزيرة العربية السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود.

وهذا ما قد يرمز إليه الاسم الذي اختاره له السلطان الوالد لنجله الثاني فيصل(١٣٦)، وهو الآن كما توقع السلطان عبدالعزيز، فقد حسم معركة عسير لصالحه، وضمها للدولة بعد أن بذل جهدًا عظيما رغم صعوبتها، ووعورة المكان الذي تقع فيه تلك المدينة التي يستحيل ارتقاؤها إلا من منافذ لا يعرفها سوى أهلها، وقد استعصت على من كان قبله.

(١٣٤) حسين الطنطاوي: الفيصل الإنسان، الاستراتيجية، دار وهدان للطباعة والنشر، القاهرة، ص ٣٦-٣٧.

(١٣٥) المرجع السابق.

(١٣٦) وثيقة رقم (٣٨٩) صادرة من ديوان نائب جلالة الملك (المكتب الخاص) في ٤ ذي الحجة ١٣٧٠هـ الموافق ٦ سبتمبر ١٩٥١م، الطائف، ص ١.



ويعود ذلك إلى نشأة فيصل، فقد عرف عن كثب نهاية العهد الذي سبق الاستقرار للدولة مع والده السلطان عبدالعزيز، ورأى بعينه المحاولات الحربية اليائسة التي كان يقوم بها آل رشيد ضد الدولة السعودية، فكان حظ آل رشيد الهزيمة، ولم يفته كذلك مشهد الحصار الذي ضرب على حائل والتي تدفقت فيه روح الفتى الطامح إلى المجد والكفاح بعد أن تشبعت غرائز الطفل فيه، بحوافز البطولة التي كان يحيا في جوها باستمرار.

لذلك لم يخب ظن والده (السلطان عبدالعزيز) فيه عندما اضطرب الأمر في عسير بعد أن خضعت لحكمه، فأرسل إليها نجله الأمير فيصل ومعه كوكبة من الجنود الأشاوس، فلم يمض أكثر من خمسة أشهر حتى استسلمت، وسقطت عسير في يد هذا البطل الشاب (فيصل)[١٣٧]، فأصبح بطل عسير، وتم فيها نشر العقيدة السلفية، والتي تسعى الدولة الفتية جاهدة في نشرها في كل مكان تصل إليه، فساد فيها الأمن والاستقرار، وشاع فيها العدل والرحمة بدل الحرب.

ولكن الشريف الحسين بن علي لما علم بعودة الأمير فيصل إلى الرياض حاول مرة ثانية أن يعكر صفو هذا الأمن، فجهز حملة إلى أبها يريد طرد الحامية السعودية منها، وإعادة حكم آل عايض عليها؛ لتكون تحت نفوذه[١٣٨]؛ وكان يرافق هذه الحملة حسن آل عايض، فحاصرت هذه القوة سعد بن عفيصان وجنوده النجديين في أبها، فاستنجد ابن عفيصان بمن حوله من عرب قحطان، فجاؤوا لنجدته

(١٣٧) وثيقة رقم (٣٨٩) المصدر السابق.
(١٣٨) سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٩.

F. O: 371/7715, Op. cit.

F. O: 371/8939, No: (381), 12, Sep. 1923.

F. O: 371/8951, Op. cit.

على رأس رئيسهم (متروك بن شلفوت)، فخرج ابن عفيصان بعد وصول هذه النجدات، واشتبك مع حملة الشريف في قتال عنيف، أجبر فيه آل عايض ومن معهم من قبائل عسير وجنود الشريف بالتقهقر إلى محايل والقنفذة(١٣٩).

بيد أنّ حسن آل عايض ومن معه من أنصاره فارقوا الحملة، واستطاعوا النفوذ إلى حرملة؛ ليتحصنوا فيها، وما لبث أن توفي الأمير سعد بن عفيصان بعد أن فك الحصار عن أبها بأيام قليلة، فعين السلطان عبدالعزيز على أبها عبدالعزيز بن إبراهيم أميراً على عسير خلفا لابن عفيصان.

كان هذا الرجل حازماً قوي الشكيمة مع شيء من الدهاء وحسن التصرف، فاستطاع أن يفاوض حسناً حتى اطمأن له ومعه أسرته كافة، فذهب ابن إبراهيم إلى الحرملة بنفسه، وجاء بهم إلى أبها، ثم بعد ذلك أرسلهم إلى الرياض، وعندما وصلوا إليها عفا عنهم السلطان عبدالعزيز، وأجزل لهم العطاء، وخصص لهم المخصصات المالية الشهرية، فأقاموا في الرياض مكرمين حتى أدركهم الموت، وما زال من أحفادهم حتى اليوم في الرياض(١٤٠).

(139) F. O: 371/8951, Ibid.

سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٩-١٥٠.

(١٤٠) سعود بن هذلول: المرجع السابق، ص ١٤٩-١٥٠.

تقرير الشريف محمد بن عون
إلى محمد علي باشا عن حملته على عسير
أواخر سنة ١٢٥٠-١٢٥١هـ/٣٤-١٨٣٥م
دراسة وتعليق

إعداد

د. أحمد بن يحيى آل فائع

قسم التاريخ ـ كلية العلوم الإنسانية

جامعة الملك خالد في أبها

١٤٣٣هـ/٢٠١٢م

تقرير الشريف محمد بن عون إلى محمد علي باشا
عن حملته على عسير أواخر سنة ١٢٥٠-١٢٥١هـ/٣٤-١٨٣٥م
دراسة وتعليق

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث بالدراسة والتعليق والتحليل التقرير المفصَّل الذي بعثه الشريف محمد بن عون إلى محمد علي باشا في ٣ صفر سنة ١٢٥١هـ/٣١ مايو ١٨٣٥م،والذي يكشف فيه تفاصيل مهمة عن الحملة التي شنها على بلاد عسير في ذلك العام،ويصف التحركات التي قام بها،والمواجهات العسكرية التي وقعت مع القوات العسيرية بقيادة الأمير عائض بن مرعي،والانتصارات التي حققها الشريف محمد بن عون وقواته أثناء تقدمهم إلى السقا معقل الأمير عائض،كما يصف الأعمال التي ارتكبتها قوات محمد علي في حق السكان من قتل وأسر وإتلاف المزروعات وهدم القلاع والحصون؛ بهدف إخضاع المنطقة بالقوة.ومن ثم ختم التقرير بالحديث عن تفاصيل الهزيمة التي تعرض لها جيشه،وكيفية انسحابهم من بلاد عسير .

A report by Sherif Mohammed Bin Aun to Muhammad Ali Pasha concerning his campaign against Asir late 1250-1251 AH / 34-1835 AD- Study and commentary

Abstract:

This paper studies, comments, and analyses the detailed report sent by *Sharif Mohammed Bin Aun* to *Muhammad Ali Pasha* in *Safar* 3, 1251 AH / May 31, 1835 AD, in which he reveals the important details about the campaign waged by him against Asir this year. He describes the actions taken, and military confrontations that took place between Asir troops led by Prince *Aidh Ben Mari*, and the victories achieved by Sherif *Mohammed bin Aun* and his troops during their advance to Sakka, a stronghold of Prince Aidh. As well he describes the crimes actions committed by the forces of *Mohammed Ali* in the right of the population as they killed, captured and destroyed the crops to subject the region by force. Then he concluded the report by talking about the details of the defeat suffered by his army, and how difficult was their withdrawal from Asir.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

تُعد الوثائق التاريخية مادةً علميةً خصبةً ومهمة للباحث في المجال التاريخي،فهي إذا ما تعامل معها الباحث بحذر وحيادية ودراية،تكشف لقربها من الحدث حقائق وتفاصيل مهمة قد لا توجد في غيرها من المصادر المعاصرة.ومن هذا المنطلق اخترت تقرير الشريف محمد بن عون عن حملته التي قام بها على عسير تنفيذًا لأوامر محمد علي باشا حاكم مصر آنذاك لتكون مادة هذا البحث ومحوره.

فأحداث التاريخ العسيري في القرن الثالث عشر الهجري،التاسع عشر الميلادي لا تزال بحاجة إلى المزيد من البحث المتعمق من خلال دراسة الوثائق،وتحليلها للكشف عن تفاصيل دقيقة لأحداث تناولتها المصادر التاريخية بشكل مُجمَل،وهذا ما ينطبق على الحملة التي قام بها الشريف محمد بن عون على عسير أواخر سنة ١٢٥٠هـ،ومطلع سنة١٢٥١هـ/ ٣٤ـ١٨٣٥م؛حيث تناولتها المصادر بشكل مجمل دون الخوض في تفصيلاتها الدقيقة؛ ليأتي تقرير الشريف محمد بن عون؛ وهو قائد تلك الحملة ليكشف لنا تفاصيل مهمة عن تحركات تلك الحملة وسيرها،وعن الأفعال التي قام بها جنود محمد علي من قتل وأسر لأهل المنطقة،وهدم للقلاع والحصون،وإتلاف للمحاصيل الزراعية؛ بهدف إخضاع المنطقة بالقوة،وعن تفاصيل تلك الهزيمة التي تعرض لها جيشه،وكيفية انسحابهم من بلاد عسير،ومن هنا تتضح لنا أهمية نص هذا التقرير.

أما بالنسبة لبيان منهج الدراسة المتبع؛فسوف يكون على النحو الآتي :ـ

١ ـ مقدمة .

٢ ـ التعريف بالتقرير وأهميته .

٣ ـ دراسة الأوضاع السياسية في منطقة عسير فترة التقرير .

٤ ـ دراسة أسباب هزيمة الشريف محمد بن عون التي دفعته لكتابة ذلك التقرير ونتائجها .

٥ ـ إيراد نص التقرير؛ومن ثَمَ التعليق عليه،والتعريف بأبرز الشخصيات الواردة في التقرير،وتحديد الأماكن الجغرافية التي دارت عليها الأحداث حسب منهج التحقيق .

ويُعد نشر هذا التقرير ودراسته إضافةً حقيقيةً مهمةً لتاريخ الجزيرة العربية الحديث عمومًا،ولتاريخ عسير وعلاقتها بأشراف الحجاز ومصر في القرن الثالث عشر الهجري،التاسع عشر الميلادي على وجه الخصوص،وبهذا فأرجو أن أكون قد قدمت بهذه الدراسة إضافةً جديدةً للمكتبة التاريخية العربية .

التعريف بالوثيقة (التقرير) :

هذه الوثيقة عبارة عن تقرير مفصَّل بعثه الشريف محمد بن عون إلى محمد علي باشا في ٣ صفر سنة ١٢٥١هـ/٣١ مايو ١٨٣٥م،يوضح له فيه تفاصيل الحملة التي قام بها على بلاد عسير واصفًا فيها التحركات التي قام بها،والأحداث التي واكبت سير تلك الحملة وصفًا دقيقًا،ثم أخبره بتفاصيل ثورة الأمير عائض بن مرعي،وتحرك القبائل في عسير ورجال ألمع والهزيمة التي ألحقتها بهم.

ويمكن إجمال أهمية التقرير فيما يأتي:

١ - إن مُعِد التقرير هو الشريف محمد بن عون،وهو قائد تلك الحملة،ويُعد شاهد عيان على تفاصيلها وأحداثها ووقائعها.

٢ - يُعد أقدم نص بين أيدينا تناول تلك الحملة.

٣ - كشف لنا الكثير من التفاصيل الدقيقة والغامضة عن تلك الحملة .

٤ ـ أورد لنا التقرير مسميات أماكن جغرافية مرت بها الحملة،لازالت تحمل مسمياتها إلى الآن،ولا تزال آثار حصونها ماثلة للعيان رغم مرور ١٨٢عامًا على تلك الحملة.

وهناك بعض الملحوظات على التقرير يمكن إجمالها فيما يأتي :

١- لم يُحدد الشريف في تقريره تاريخ خروج الحملة من الحجاز.

٢- لم يتطرق الشريف في تقريره إلى سير الحملة من الحجاز إلى أن وصل إلى تنومة ببني شهر شمال عسير .

٣- لم يورد التقرير إحصائيات دقيقة عن الخسائر التي منيت بها تلك الحملة.

٤- يتضح من صياغة التقرير محاولة الشريف تبرير الهزيمة بحيث يتنصل من المسؤولية الملقاة على عاتقه كقائد لتلك الحملة.

أصل (التقرير) محفوظ في دار الوثائق القومية في القاهرة،تحت تصنيف: عابدين، محفظة رقم (٢٥١)، وثيقة رقم (٧٠)، وتاريخ التقرير في ٣ صفر ١٢٥١هـ .

يقع ذلك التقرير في ورقة واحدة باللغة العثمانية،في نهايته ختم الشريف محمد بن عون،وقد تُرجِم ذلك التقرير من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية، ترجمةً دقيقةً تدل على إلمام المُترجم باللغتين العثمانية والعربية،وسعة اطلاعه ومعرفته؛ بدليل ترجمته لأسماء الأماكن في منطقة عسير بشكل صحيح ومدقق،وهذا يُطمئن الباحث على دقة الترجمة التي قام بها المترجمون في دار المحفوظات العمومية بقصر عابدين في عهد الملك فاروق ملك مصر،وروجِعت من قبلِهم ودُقِّقَت ثم حُفِظت في سجل الترجمة المخصص لذلك،ويقع التقرير المُترجم في خمس ورقات،الورقة الأولى بها ٢٨ سطرًا ومتوسط كلمات كل سطر ١٥ كلمة،ويوجد في أسفل الورقة الأولى حاشية من وضع المُترجِم للتعريف بأحد الأماكن. أما الورقة الثانية فتتكون من ٣٤ سطرًا،وبمتوسط ١٠ كلمات ـ ١٢ كلمة في السطر

الواحد،وكذا في الورقتين الثالثة والرابعة، أما في الورقة الخامسة،فقد تكونت من ٣١ سطرًا فقط.

وأسلوب ذلك التقرير جيد وسلس العبارات وسهل الفهم،ولكن لا تخلو كتابة النص(التقرير المُتَرجم) من بعض الأخطاء النحوية مجملها في الهمزات (القطع والوصل) التي لم يهتم بها كاتب النص،ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر (إلى ـ أما ـ إبراهيم ـ أورطة ـ أعراب ـ إليه ـ أهالي ـ ألمع) وغيرها؛ مما تم تصحيحه في المتن دون الإشارة إليه في الحواشي خشية إثقالها بالإحالات،وعدا ذلك،فلا توجد كثير من الأخطاء الإملائية والنحوية في النص .

أما كيفية الحصول على ذلك التقرير؛ فقد حصلت على النسختين التركية والعربية المُترجمة،من الصديق الباحث حمد بن عبدالله العنقري، الذي تفضل بها مشكورًا بحكم تخصص الباحث في التاريخ الحديث والمعاصر.

وأود أن أنوه هنا إلى أن هذا التقرير قد نشره الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم في كتابه:من وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث [1]. ووجدت أنه نشر التقرير كنص وثائقي ضمن الوثائق المنشورة في مجلدين من مجلداته السبعة،وهما المجلد الثالث الخاص بإدارة شؤون الحجاز،والمجلد السادس الخاص بوثائق عسير واليمن؛ دون دراسة تحليلية وتعليق تاريخي على الأحداث،وهو المنهج الذي اتبعه في كتابه،واكتفى بإيراد بعض التوضيحات للأسماء والأماكن،ومع ذلك يؤخذ عليه ما يأتي:

١- وجود العديد من الأخطاء التي تتعلق بموضوع الوثيقة والتواريخ والأسماء والأماكن الواردة فيها .

٢- أخطاء وتناقضات في التواريخ ؛ فمثلاً أورد تاريخ تحرك الحملة من تنومة في تعليقه في مج ٣ بـ ٥ محرم ١٢٥١هـ/٣٠ إبريل ١٨٣٥م ، وفي مج ٦ بـ ٢ محرم ١٢٥١هـ/٣٠ إبريل ١٨٣٥م.

٣- نسبته بعض الأماكن إلى مناطق أخرى بشكل خاطئ ومتناقض؛ فينسب،لاع،إلى قرى باشوت بمنطقة بيشة .ومسفرة التي جعلها في مج ٣

سفرة،وذكر أنها في تهامة. وملاحة التي جعلها من قرى بالأسمر،وجعلها في مج٣ من المظيلف في القنفذة على الرغم أنها في المتن من قرى عسير.وقال عن سنومة: أنها سنور وقال: أنها من الليث . وكذا في باحة ربيعة،التي جعلها في رجال ألمع . وريدة التي جعلها ديدة في مج ٣ ،وقال أنها من قرى بني عمرو في تهامة.وعزيزة التي جعلها من أُضم في الليث،وخميس مشط التي جعلها من خميس مطير،ونجاد التي جعلها من قرى باللسمر،والقوز التي جعلها من قرى بيشة،وأم الجرم التي جعلها في عسفان التابعة لإمارة مكة،وهي في القنفذة،وغيرها الكثير .

٤- إن المتتبع للتقرير المُشار إليه يجد الاختلافات والتناقضات التي لا حصر لها،ولا مجال للتفصيل فيها،وهذا يثير الدهشة والغرابة وكأن الجزأين ليسا لمؤلِف واحد.

لأهمية هذا التقرير من الناحية التاريخية والجغرافية،وأمام هذه الأخطاء والتناقضات التي شوهت الحقيقة التاريخية للتقرير،وبدَّلت وغيَّرت مفهوم الأماكن والأسماء ومعانيها؛تأتي أهمية دراسته والتعليق عليه.

الأوضاع السياسية في عسير :

شنّت الحكومة العثمانية حربًا ضروسًا على شبه الجزيرة العربية عن طريق محمد علي باشا حاكم مصر منذ سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م،ونتج عن ذلك سقوط الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م . ومن ذلك الوقت وحملات محمد علي(٢) تتوالى على الجزيرة العربية بهدف تعزيز نفوذه فيها، وتحقيق طموحاته في إقامة دولة كبرى تشمل مصر،والسودان،وبلاد الشام، والجزيرة العربية، والعراق (٣) .

وبالحديث عن منطقة عسير مجال هذه الدراسة،نجد أن حملات محمد علي استمرت تتوالى على هذه المنطقة المهمة إستراتيجيًا وعسكريًا، فهي تمثل حلقة الوصل بين الحجاز واليمن (٤) والسيطرة عليها يحقق له حماية الحجاز من

جهة، ويُسهِّل له السيطرة على المخلاف السليماني(جازان) واليمن من جهة أخرى؛ هذا بالإضافة إلى أنه يفكك وحدة الجزيرة العربية،ويفقد نجد حليفًا قويًا،ولا أدل على ذلك من موقف أهالي عسير المشرِّف مع الدولة السعودية الأولى في حربها ضد الدولة العثمانية(٥) .

فبعد سقوط الدرعية حاول محمد علي الإبقاء على عسير تحت نفوذه وتم تعيين الشريف محمد بن عون (٦) أميرًا عليها،وبالفعل فقد تم له ذلك،لكنه لم يستمر طويلاً؛ فقد ثار عليهم الأمير سعيد بن مسلط (٧) ومعه قبائل عسير الذين تمكنوا من إخراج الشريف منها سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م،وهو ما دعا محمد علي إلى إرسال حملة عسكرية أخرى في السنة التالية ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م،تحت قيادة الشريف محمد بن عون ومحافظ الحجاز أحمد باشا يكن،ووقعت عدة مواجهات،قوية انتهت بعقد صلح بين الطرفين سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م،خرج على إثره الشريف محمد بن عون ومن معه من بلاد عسير(٨) .

وفي سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م،صدر الفرمان العثماني بتعيين الشريف محمد بن عون أميرًا على الحجاز(٩)، فانشغل مُنذ ذلك التاريخ عن شؤون عسير التي انتقلت فيها الإمارة إلى الأمير علي ابن مجثل المغيدي(١٠).

ويمكن إجمال أهم أسباب انشغال الشريف محمد بن عون عن عسير خلال تلك الفترة فيما يأتي:

أ- انشغال محمد علي باشا حاكم مصر بحروبه في بلاد الشام والسودان ومواجهة الدولة العثمانية (١١) .

ب- انشغال الشريف محمد بن عون بالخلافات الداخلية مع أشراف الحجاز(١٢) .

وبعد وفاة الأمير علي بن مجثل سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م،خلفه على إمارة عسير الأمير عائض ابن مرعي(١٣)،فاستغل محمد علي باشا الفرصة،وبعث بقوات

عسكرية وأسلحة وذخائر للشريف محمد بن عون،وأمره بالتحرك للسيطرة على عسير،فتوجه الشريف ومعه أحمد باشا يكن محافظ الحجاز،ودوسري بن عبدالوهاب المتحمي(١٤) في شهر صفر سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م،وعند وصولهم إلى بلاد عسير وقعت عدة مواجهات بين الطرفين؛تراجعت خلالها قوات الأمير عائض بن مرعي إلى أعالي جبال عسير؛ لكنهم سرعان ما استعادوا قوتهم وشنوا هجومًا قويًا على القوات الحجازية المصرية،واستطاعوا تكبيدها خسائر فادحة اضطر على إثرها الشريف إلى طلب الصلح مع أمير عسير وغادرها متوجهًا إلى الحجاز(١٥) .

والواقع أن تلك الهزيمة التي منيت بها قوات الشريف محمد بن عون كانت بمثابة الدافع والمحرك لمحمد علي للانتقام من أهالي عسير لما حل به من هزائم على مدى السنوات الماضية؛ فقرر التحرك مرةً ثانيةً بعد عدة أشهر من الصلح السابق،وأصدر أوامره للشريف محمد بن عون بالتحرك ومعه قوة أكثر تنظيمًا وعددًا وعدة،والتوجه بها إلى عسير لإخضاعها،وبالفعل تحرك الشريف محمد في شهر ذي الحجة سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م،وهاجم عسير عبر ثلاثة طرق هي كالآتي:

١ - حملة يقودها الشريف محمد بن عون بنفسه عن طريق بيشة .

٢ - حملة يقودها دوسري بن عبدالوهاب المتحمي عن طريق القنفذة محائل رجال ألمع .

٣ - حملة يقودها إبراهيم باشا والي الحديدة عن طريق درب بني شعبة (١٦).

وصلت تلك القوات إلى عسير،وسيطرت على عدة أماكن بسبب كثرة ذلك الجيش وسلوكه عدة طرق؛ مما أدى إلى تشتيت قوات عسير،وتراجع الأمير عائض،وتحصنه في أعالي الجبال (١٧).

أدرك الأمير عائض صعوبة المواجهة المباشرة مع تلك القوات المجهزة عسكريًا،والتي تحتل أماكن متفرقة من عسير،فاستخدم تكتيكًا عسكريًا جيدًا تمثل في إعلان الثورة في عدة مواقع في آن واحد[١٨]؛ ففي الوقت الذي ثارت فيه قوات عسير السراة تحركت قبائل رجال ألمع من الخلف،وضيقت الخناق على قوات الشريف محمد بن عون،وألحقوا بهم خسائر فادحة؛ الأمر الذي دفع بالكثير منهم للهرب طلبًا للنجاة،ونتيجة لذلك قرر الشريف محمد وأحمد باشا التراجع والانسحاب إلى الحجاز [١٩]، وذلك في أواخر شهر محرم مطلع شهر صفر سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م[٢٠].

لذلك فشلت تلك الحملة في السيطرة على بلاد عسير وإخضاعها لطاعة محمد علي وأشراف الحجاز،وقد أدى ذلك الفشل إلى أن يدب الخلاف بين الشريف محمد بن عون وأحمد باشا؛ حيث أخذ كل منهما يُلقي باللائمة على الآخر،فقام محمد علي باشا باستدعائهما إلى مصر سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م[٢١].وقد أبقى محمد علي باشا الشريف محمد بن عون عنده في مصر،وأعاد أحمد باشا إلى الحجاز بعد أن تعهد له بالسيطرة على بلاد عسير في غضون ثلاثة أشهر [٢٢] .

ويمكن إيجاز أهم الأسباب التي أدت إلى تلك الهزيمة،وأبرز نتائجها فيما يأتي:

أ - **أسباب الهزيمة :**

١ - الخلاف بين الشريف محمد بن عون وأحمد باشا محافظ الحجاز[٢٣] .

٢ - صعوبة وصول الإمدادات والمؤن العسكرية من الحجاز إلى بلاد عسير[٢٤].

٣ - تدهور الأوضاع الاقتصادية للحملة بشكل كبير .

٤ ـ عدم التنسيق الجيّد بين قوات الشريف محمد بن عون الرئيسة مع قوات دوسري المتحمي وإبراهيم باشا المتمركزة في رجال ألمع .

٥ ـ قطع القوات العسيرية لطرق الاتصال بين القوات المصرية الشريفية في بلاد عسير .

٦ ـ حسن التخطيط والتكتيك العسكري الجيّد الذي اتبعته القوات العسيرية بقيادة الأمير عائض ابن مرعي في مواجهة تلك القوات .

٧ ـ خبرة القوات العسيرية في التعامل مع تلك الحروب،وهي نتيجة طبيعية لكثرة الحملات المصرية الشريفية على شبه الجزيرة العربية عمومًا، وعسير على وجه الخصوص .

ب ـ أما أبرز النتائج التي ترتبت على تلك الحملة فتمثلت فيما يأتي:

١ ـ انتصار القوات العسيرية وخروج القوات الغازية،وتراجعها إلى الحجاز.

٢ ـ تفرغ الأمير عائض بن مرعي لإقرار الأمور في بلاد عسير واستعادة المناطق التي خرجت من تحت نفوذه، كالمخلاف السليماني (جازان) وبلاد غامد، وزهران،وبيشة [٢٥].

٣ ـ استدعاء محمد علي باشا للشريف محمد بن عون وأحمد باشا إلى مصر .

٤ ـ أبقى محمد علي باشا الشريف محمد بن عون عنده في مصر،وأعاد أحمد باشا إلى الحجاز بعد أن تعهد بإخضاع عسير لطاعته [٢٦] .

٥ ـ شن أحمد باشا محافظ الحجاز عدة حملات انتقامية على عسير سنة ١٢٥٣ -١٢٥٤هـ/١٨٣٧ -١٨٣٨م [٢٧] .

وبعد هذا العرض الموجز نَدلُف إلى دراسة نص التقرير موضوع البحث والدراسة:

تقرير عبدكم الهاشمي[٢٨] :

في الموقع المسمى تنومة[٢٩] بني شهر؛تلقيت أمركم العالي الواجب الطاعة الذي حمله إلينا عبدكم حسني أفندي معاون جنابكم العالي. ولدى وروده سارعنا إلى التهيؤ والحركة طبقًا لإرادتكم الكريمة،وحررت إلى ولدكم حضرة صاحب الدولة أخينا إبراهيم باشا[٣٠] قائد القوات اليمنية المُقيم في القنفذة،كتابًا مفصلاً في صورة تقرير،بينت له فيه أسهل طريق يسلكه حين قيامه مع القوات التي في قيادته،إلى الموقع المسمى "محايل"[٣١] وأوصيته فيه بالعمل بعد وصوله إلى هناك،وفقًا لمقتضيات الحالة بعد التشاور فيما يتعلق بالقيام والحركة،وبعثت به إلى دولته مع الأفندي سالف الذكر كما قدمت صورة منه إلى الأعتاب .

وفي يوم الخميس الموافق الثاني من شهر محرم [١٢٥١هـ][٣٢] الماضي قمنا من تنومة مع عبدكم الميـر[٣٣] لواء عمر بك،مستصحبًا القوة المرابطة بها،ونزلنا قرية "سدوان" [٣٤] من قرى باللسمر[٣٥]،ومنها انتقلنا إلى قصر"مانع"[٣٦] شيخ باللسمر،الكائن في قرية"لاع" [٣٧]،وكان فيها بعض أعراب عسيريون[٣٨]، وبمجرد وصولنا لاذوا بالفرار،وإنما قابلنا الشيخ وبعض جماعته،وقررنا أن نقيم بها يومين.وفي اليوم الثاني من وصولنا بدأ بعض أشخاص من جماعة الشيخ في القتال؛ بأن أطلقوا البنادق من الجبال والقصور،فسُقنا عليهم قوة من الجيش المنصور،فرمتهم،وأحرقت القصور التي كانوا يقاتلوننا متحصنين فيها،وهدمنا قصر الشيخ أيضًا،وأسرنا ابنه،وبعض جماعته [٣٩] ثم غادرنا هذه القرية قاصدين النزول بالموضع المسمى "المضفاة"[٤٠]،ولكن لما كان فيه عدد كبير من ثوار عسير[٤١]، وباللحمر[٤٢]، وباللسمر[٤٣]، وشهران[٤٤]، ورفيدة[٤٥]،استعجلنا العساكر المنصورة، والمدافع، وعساكر الأعراب التي في معيتنا،فهاجمناهم على غرة دون أن نمكنهم من الالتفات إلى أنفسهم،ودامت المعركة من الصباح إلى وقت العصر،ولم يكد الليل يُقبل حتى استماتت سكان القرية بسبب عنف القتال وشدته،وفر الثوار العسيريون والأعراب المتجمعة من حوالي عسير،وهدمنا بيوتهم الحجرية التي

تصلح لأغراض حربية،فأعطينا أهل القرية الأمان بعد أن أخذنا منهم رهائن. وغادرنا الموقع المار الذكر[٤٦] أيضًا فنزلنا بوادي بيحان[٤٧] من بلاد باللحمر،فعمدنا إلى بيوتهم الحجرية،فتناولناها كلها بالهدم والإحراق،وجعلنا مزروعاتهم طعمة للدواب، وأخذنا منهم رهائن،وجعلنا الذين يحملون منهم السلاح يرافقوننا،ثم نزلنا مع الجيش بالموضع المسمى" وادي صبح"[٤٨] فتركنا الدواب ترعى مزروعاتهم، وأخذنا منهم الرهن،ثم نزلنا بالقرية المسماة "مسفرة "[٤٩] من بلاد معتق بن الأصلع[٥٠].وهنا،وافانا أدهم أفندي معاون الجناب العالي حاملاً أوامركم السنية،فبعد ما سلمها إلينا،وبلّغ اللازم غادرنا هذه القرية أيضًا إلى "الملاحة"[٥١] من بلاد عسير،فنزلنا بها وكان في قرية " سنومة "[٥٢] القريبة منها جماعة من الثوار مؤلفة من أعراب عسير،وعبيدة[٥٣]،وشهران،ورفيدة قحطان[٥٤].وكان محمد بن مفرح[٥٥] رئيس الثوار الذي كان يُقيم في الحديدة، قبلاً[٥٦] قد نزل من عسير السراة وأقام في جهات طبب [٥٧] ورأس عقبة رجم[٥٨] واقفًا هناك بالمرصاد؛ لكيلا يتسرب أحد من الجيش المنصور المرابط في " محائل" إلى بلاد عسير، ولذلك لما نزلنا بالملاحة سقنا على محمد بن معدي[٥٩] أورطة [٦٠]من الجهادية مع عساكر الأعراب [و] [٦١] حملنا عليه حملة جعلته يفر مع الثوار الذين في معيته،فأحرقت العساكر قراهم،ونهبت ما وصلت إليه أيديهم من الأموال، ولما بلغ هذا الخبر ابن مفرح المُقيم بين طبب وعقبة رجم،لاذ هو أيضًا إلى الفرار[٦٢]مع جماعته،وبينما كان قاصدًا إلى المكان المسمى "السقا"[٦٣] مقر الأشقياء،لاقاه في الطريق عائض بن مرعي،كبير ثوار عسير بعد المغرب،وهو قادم لنجدة محمد بن معدي في الملاحة،ولما رأى ما هم عليه من الهزيمة،وتشتت الحال سرت روح الهزيمة في الجميع، فتجمع في موضع واحد هؤلاء الجماعات الثلاث[٦٤] من الثوار العسيريين،ولاذوا بالفرار متجهين إلى "السقا"،ثم حضر جميع أهالي عسير السراة،وربيعة ورفيدة،وبني مالك، وبعض علكم،وبعض بني مغيد،وعلي بن مشيط[٦٥]،وأعراب شهران، طالبين الأمان فأُمِّنوا طبقًا لما تقتضيه الحالة،ثم نزلنا بطبب،وأقمنا بها ثلاثة أيام،ومنها أعدنا عبدكم

المعاون أدهم أفندي السالف الذكر،وفهّمناه شفهيًا ما يلزمنا(من الجنود والمعدات)[٦٦] وأُشعِر بذلك كتابيًا إلى ولدكم أخينا إبراهيم باشا،حيث طلبنا من دولته بصفة مؤكدة أن يرسل إلينا من محائل،أورطتين ،وكمية من المؤن من خلفنا حتى إذا وصلت الأورطتان قامتا بحراسة العقبات والمعدات التي في طبب وحواليها على ألاّ يقطع المدد من خلفنا،وفي ليلة اليوم الذي سافر الأفندي السالف الذكر إلى القنفذة، هجم محمد بن مفرح،من ثوار عسير،وشرعوا في القتال بأن أطلقوا البنادق من الجبال على الخفراء،وفورًا سقنا عليهم قوة في ظلام الليل؛فهزمناهم بحول الله وقوته،وطاردناهم إلى الموضع المسمى "الشط "[٦٧]، وقُتِل منهم في هذه المعركة عشرون شقيًا،ثم قام الجيش المنصور من طبب فنزل بالمحل المسمى" باحة ربيعة"[٦٨]،وأقمنا بها أربعة أيام في انتظار ورود الأخبار من الجهات. وفي هذه الفترة نزل أهالي رجال ألمع [٦٩] إلى وادي "حلي" [٧٠]،فحفروا فيه خندقًا رابطوا خلفه لحراسة رجال ألمع . وأيضًا قوَّى عائض بن مرعي مع الثائرين الذين في معيته " السودة"[٧١] التي تقع على مسافة ثلاث ساعات من "باحة ربيعة"معسكر الجيش،ثم غادرها مستصحبًا جماعته التي في معيته، والفارين من كل قبيلة،وهي قبائل عبيدة، ورفيدة، وشهران، وسنحان[٧٢]، وباللحمر، وباللسمر، وبني عمرو[٧٣]، فهجموا على الجيش المنصور[٧٤] المرابط في " باحة ربيعة"، فقابلناهم بمن في معيتنا من الأعراب والعساكر الجهادية،فقاتلناهم من الظهر إلى العصر،حتى اضطروا إلى الارتداد مهزومين فارين تاركين عددًا كبيرًا من القتلى،هذا؛ وكان إبراهيم باشا المُشار إليه قام من القنفذة،قبلاً،ووصل إلى محائل وأقام بها،ولكنه قام في هذه الفترة من محائل في ألفي نفر من العساكر الجهادية،وعدد من الفرسان،وتوجه بهم توًا إلى رجال ألمع،تاركًا في معسكر محائل،عثمان بك أمير اللواء،وشيرين بك ميرالاي الآلآي السابع،وإبراهيم بك ميرالاي الآلآي التاسع،ومحمد بك مير ألاي الألآي العشرين،وإنما استصحب هو عساكر معلومة المقدار،فهجم بها على" رجال ألمع الشام"[٧٥]،فاستولى عليها بعد قتال،ثم حضر إلى وادي حلي،وقام منه فنزل بمكان

ضيق يسمى" الشعبين" (٧٦)،وهناك التمس من دولته رجال ألمع الشام الأمان.وفي هذه المدة قمت مع الجيش المنصور من " باحة ربيعة"، وقصدت(٧٧) السودة التي يُقيم بها الثوار،ولم نصل إليها،إلا وقد فر الثوار بلا قتال،فجاء أهاليها يطلبون الأمان،فأُعطوه بعد أن أُخِذ منهم عشر(٧٨) رهائن.ونظرًا لكونهم في وسط الطريق بذلنا لهم الوعد والوعيد، والتأكيد،فأخذنا منهم التعهد بألاَّ يتعرضوا لرسلنا التي تمر بهم بسوء وأقمنا بالسودة يومًا،أحرقنا فيه قصورهم التي تصلح لأغراض حربية،وقمنا منها قاصدين إلى السقا،وكان فيها عائض بن مرعي،ولما بلغه نبأ زحف الجيش المنصور إلى السقا استبدل الفرار بالقرار والثبات فوصلنا إليها مع الجيش يوم الثلاثاء ٢٨ محرم سنة[١٢٥١هـ].(٧٩).

وفي هذا الوقت،لما وصل الشريف سلطان بن شرف (٨٠)، أمير بيشة إلى الموقع المسمى خميس مشيط (٨١)،في وادي شهران (٨٢)،على رأس خمسمائة وألف نفر من المشاة،وثمانين فارسًا من فرسان الأعراب،وهم من أهالي بيشة،أرسلنا من طرفنا إلى الشريف الآنف الذكر في خميس مشيط مائة وخمسين فارسًا من فرسان المغاربة،على أن يقوموا من هناك مجتمعين، وتوجهوا إلى بلاد رفيدة،ويُخضِعوا فيها طوعًا أو كرهًا جماعة أبو مدرة(٨٣)، ويُخضِعوا جماعة شهران في بلاد الشعف(٨٤)، وهما اللتان يُظن أنه يرد منهما مدد لعائض بن مرعي،ثم يغادروا هذه الجهة إلى مناظر(٨٥)،وفعلاً،لما طُلب من جانب اليمن أن يُقدِّم الشريف المار الذكر معونة للجيش المنصور،قام سيادته من خميس مشيط،فجاء إلى القبائل المتقدمة الذكر فلم يقدموا(٨٦) له الطاعة،فقاتلها وأحرق قراها حتى أخفاها،فوصل إلى بُعد منزِلة من مناظر،وبعد أن أقام الجيش المنصور في "السقا" يومين هجم عائض المار الذكر مع جماعة على الجيش،وشرعوا في القتال،بإطلاق الرصاص من الجبال،فقابل الجيش المؤلف من العساكر والأعراب هجومهم بالمثل، وأقدموا فيه فلم يقو الثائرون أمام هجماتنا،فلاذوا بالفرار،فأحرقت قريتان في أطراف " السقا "،ولما كانت القرية التي يقال لها "السقا " مقر الثوار قد أقام (٨٧) بها الجيش المنصور،وهي تقع تجاه الموقع الذي تحصن

فيه العدو. هذا؛ ولم يصل أحد من الأورطتين اللتين سبق أن طلبنا إرسالها من الجيش المرابط في محائل طلبًا شفهيًا،بمعرفة أدهم أفندي،وكتابيًا أيضًا،ولذلك قد انكشفت جهاتنا الخلفية،فخلت طبب وما جاورها من المواقع التي تحت احتلالنا من القوة،وأصبح طريق محائل مسلوب الأمن .

وفي يوم الأحد ٣ صفر[١٢٥١هـ][٨٨] لما توجه المير ألآي مستان بك في أورطة من العساكر،بإذن من المير لواء عمر بك،إلى القرية المسماة "العزيزة"[٨٩]،بالقرب من السقا للاستيلاء على مزروعاتها،وإحراق بيوتها عززناه من قبلنا بجماعة من عساكر الأعراب أيضًا،وبالرغم من ذلك قد هجم على البك الآنف الذكر [مستان بك][٩٠] عدد كبير من جماعة عائض،وشرعوا في القتال، وقد جرح فيه مستان بك،وقتل حسن آغا بكباشي الأورطة الثانية،وقد استمر القتال بإقدام[٩١] من الطرفين،ولما علمنا ذلك أخذنا فورًا أورطة من الجيش وعساكر الأعراب،وتوجهنا بهم لنجدة مستان بك،فهجمنا على الثوار،فلم يستطيعوا الثبات أمامنا؛فلاذوا بالفرار،وسقنا قوة من خلفهم تطاردهم بإطلاق النار عليهم إلى تهامة تلك الجهات،وكانت القرية المسماة "ريدة "[٩٢] قريبة من موضع المعركة المذكورة،فشاهدناها بأعيننا.

وكان وصل إلينا،قبلاً،كتابان من قبل حضرة الدولة إبراهيم باشا،استدعى فيها أهل ربيعة ورفيدة من الأعراب التي في معيتنا،وأشار أنه أنما يطلبهم لإرسالهم إلى رجال ألمع،وإجابة [٩٣] لطلب دولته كنا أرسلنا هؤلاء الأعراب إلى دولته،ولدى وصولهم قد أمرت عليهم " طامي "[٩٤] ابن عم دوسري أبو نقطة، فأرسلهم إلى القرية المسماة" قُلَّة "[٩٥]،حيث فيها أهالي رجال ألمع اليمن،ولكنهم خانوهم[٩٦]،فإنهم قد وزعوا هؤلاء الأعراب المُرسلة إليهم على القرى ثُلاث،وخُماس،وخدعوا طامي المار الذكر،ووضِعوا كلهم في القيود والأغلال بأساليب الخداع،وجردوهم من أسلحتهم،ولما وضِع طامي في القيد،أرسل إلى الباشا المُشار إليه من يخبره بما حل به وبجماعته الذين وضِعوا [٩٧] كلهم في القيود طالبًا الإمداد، فأرسل إليه دولته أورطة لنجدته،كما أرسل إلى بلاد

بني جونة [٩٨] أورطة أخرى،ومختار آغا، ورئيسين آخرين من رؤساء الفرسان،ولما علم ذلك أهالي رجال ألمع اتفقوا جميعًا،وفي يوم الأربعاء ٦ صفر[١٢٥١هـ] [٩٩] هجموا أولاً على الأورطة المرسلة إلى طامي،وطوقوا بها،وقاتلوها حتى هزموها،وأسروها،ثم قصدوا إلى الأورطة والفرسان المرسلين إلى بلاد بني جونة،وفعلوا بها ما فعلوا بأختها،وقبضوا على مختار آغا،وعلى خيول الفرسان .

وفي يوم الخميس ٧ صفر [١٢٥١هـ][١٠٠]،فعلوا بالأورطتين سالفتي[١٠١] الذكر ما أنزلها إلى درجة الفناء والعدم،وعقب ذلك انتهزوا هذه الفرصة،فانقضوا على الباشا المُشار إليه فقاتلوه إلى ظهر ذلك اليوم،وكان الموضع الذي رابط فيه الباشا ضيقًا،ولم يكن صالحًا للثبات فيه كثيرًا وقت المعركة،فشاء قضاء الله وقدره،أن يظهر في صفوف الباشا آثار الهزيمة؛ مما اضطره إلى ترك الجيش والمدفع،والانسحاب إلى معسكر محائل في تلك الليلة مع " دوسري أبونقطة"[١٠٢] في عدد من العساكر .

وفي يومي الأربعاء والخميس،قد أوصل[١٠٣] أهالي رجال ألمع نبأ أنهم هزموا،يوم الأربعاء الموافق اليوم السادس من صفر أورطتين في قرية " قُلَّة "؛ وأنهم هجموا في يوم الخميس التالي على الباشا المُشار إليه في " الشعبين" واستولوا عليه،وإن الباشا عاد إلى محائل . نعم،وأبلغوا هذا النبأ الموحش باسم البشارة [١٠٤] إلى عائض شيخ عسير،وغيره من الثوار القريبين منه،وأوصلوا أيضًا إلى مسامع أعراب " عسير السراة " أن أهالي ربيعة ورفيدة الذي يمر بهم الطريق الذي تأتينا منه المؤن والذخيرة،هم،و طامي[١٠٥] محبوسون ومقيدون لديهم [أي أهالي رجال ألمع][١٠٦]،حتى أسمعوا ذلك سرًا الأعراب التي نستخدمها في معيتنا باسم العساكر[١٠٧]؛فأذكت هذه الأخبار نار الفتنة التي أوقدها الأعراب سيئوا[١٠٨] النية،وازدادت ثورتهم، وإني قد أُخبِرت بذلك يوم الجمعة،وأنا في السقا مع الجيش،وعلمت الهزيمة النكراء التي مني بها الجيش المنصور في جهة رجال ألمع،ورجوع الباشا إلى محائل،وفي ليلة الجمعة أصبحت الأعراب التي في معيتنا

تتوق نفس كل منهم أن تفر إلى جهة معتبرين هذا الفرار غنيمة لهم،وكانوا على تمام الأهبة والاستعداد،في حين أن هؤلاء الأعداء كانوا قادمين من الجهات الأربع،وأن ثوار رجال ألمع ظهروا [١٠٩] من العقبات زاحفين[١١٠] نحو الجيش المنصور،والجيش ليس فيه سوى ثلاثمائة [١١١] وألفي نفر؛ كما أنه لم يكن في جهة طبب،وعلى رؤوس العقبات،عساكر مقامة من قبلنا،ولا رجال آخرين[١١٢] يوثق بهم،يُضاف إلى ذلك أن عائض ابن مرعي،قد أفسد الأعراب التي في معيتنا،ومن أجل هذا كله،شاورت أنا،وعمر بك المير لواء في الساعة السابعة ليلاً،وقررنا أن نسحب الجيش من السقا في الصباح الباكر إلى قرية النجاد [١١٣] بالقرب من طبب وقلنا: الأحسن أن نتخذها معسكرًا،فإن الجيش المنصور المرابط في محائل ما زال مقيمًا،وقبل أن نشرع في تسيير الجيش يوم الجمعة صباحًا،أخذت طائفة الأعراب التي في معيتنا يشدون الرحال على جمالهم،ويرجعون إلى الخلف بغير إذن[١١٤]، فاضطررنا أن نُسيِّر الجيش أيضًا[١١٥]،وبينما كنا سائرين نحو طبب ففي السقا،أظهر باللحمر من الأعراب التي في معيتنا وجميع أهل عسير الذين كانوا معنا خيانة [١١٦] فصوبوا بنادقهم علينا،هم من جهة، وجماعة الأعداء من جهة أخرى،وسدوا علينا الممرات والجبال،وشرعوا في القتال من الجهات الأربع [١١٧] . وبالرغم من ذلك وصلنا إلى طبب،أنا والمير لواء عمر بك،وإسماعيل آغا البكباشي الأول،ورشيد آغا البكباشي الرابع،ونحو ثمانين نفرًا من العساكر والضباط.

وكان المأمول أن يتم الشفاء للمير ألآي مستان بك،من إصابته السابقة،بفضل المداواة والعناية؛ غير أنه لم يمض على جرحه خمسة أيام، حتى أصيب مرة أخرى برصاصة في المعركة التي حصلت أثناء الانسحاب من السقا،فسقط عن جواده بلا حراك،وتوجه بعض العساكر مع عبدكم أخينا الشريف هزاع [١١٨] إلى جهة بني شهر؟ [١١٩] مجتازين عقبة " طولوز أوغلو"[١٢٠]،وأما بقية العساكر،فقد جردوهم الثوار من الأسلحة،فبقوا في عسير مع مصطفى أفندي البكباشي الثالث،وأما الشريف سلطان أمير بيشة،فإنه كان وصل إلى مسافة منزِلة

من مناظر[١٢١]،مع أعراب بيشة، والفرسان العرب المرسلة من طرفنا؛ غير أنهم لما سمعوا عقب وصولهم هزيمة " رجال ألمع" غادروا[١٢٢] الموضع الذي نزلوا فيه،وعادوا من حيث أتوا،إلى خميس مشيط،ومنه إلى بيشة،وأما نحن،أنا،والمير لواء عمر بك،وسائر العساكر التي في معيتنا؛ فقد قررنا القيام من طبب،والنزول من عقبة طبب إلى معسكر محائل،حيث يوجد فيه الباشا المُشار إليه،ولما وصلنا بهذا القصد إلى رأس العقبة،خاننا أهالي رفيدة ـ وهم جماعة الشيخ دوسري[١٢٣] ـ حيث هجموا علينا مصوبين بنادقهم إلينا،وكان عمر بك،يتقدمنا قليلاً في العقبة؛فأصابته رصاصة أردته قتيلاً،وكذلك جُرح وقُتل بعض الذين كانوا لدينا،وقد ظلوا يطلقون البنادق،وأخيرًا سلبوا [ما][١٢٤] بداخل العقبة الخمسة عشر جوادًا،التي بقيت عندنا،ومع ذلك ....[١٢٥] أطال الله عمر مولانا،فواصلنا السير مع البكباشي إسماعيل آغا،ورشيد آغا،وعدد من العساكر غير ملتفتين إلى ما يحدث في يميننا ويسارنا،حتى وصلنا إلى محائل،وهناك،علمنا أن الباشا المُشار إليه قد استصحب الجيش المرابط فيها،مع أمير اللواء عثمان بك،والمير ألآي شيرين بك،وإبراهيم بك،ومحمد بك،والمدفع،وجميع عساكر الجهادية،وانسحب بهم إلى وادي الريش[١٢٦] تاركًا فيها جميع المؤن والعتاد،ولما كانت العساكر التي في معيتنا قليلة العدد لم يمكن الدخول فيها على هذه الحالة،وإنما تعقبنا من الخارج إثر الباشا المُشار إليه،حتى لحقنا بدولته،والجيش كله في وادي الريش،وأردنا أن نقيم بها بعض أيام في انتظار وصول ما بقي من العساكر في جهة عسير،ورجال ألمع،ولم يتيسر ذلك نظرًا؛ لعدم المؤن،والخيام،والدواب،فغادرناه مع الجيش،فبدأ الثوار يضايقوننا؛ بأن أطلقوا علينا النيران من جميع الجهات،فسار الباشا،ومعه خمس أورط،والمدفع بين مضايقة الثوار ونيرانهم،حتى وصلوا إلى الموضع المسمى قوز أبا العير[١٢٧] بالقرب من القنفذة،ثم قام من قوز أبا العير أيضًا،فوصل إلى القنفذة،وعسكر الجيش في الموضع المسمى أم الجرم[١٢٨] الكائن على وادي القنفذة[١٢٩]،وقد أقام الباشا المشار إليه،والمير لواء عثمان بك،وسائر المير الآيات،في الموضِع المذكور،وأما عبدكم ـ يعني نفسه ـ فقد غادرته إلى مكة؛ لأبادل الرأي مع ولدكم صاحب الدولة أخينا أحمد باشا القائد العام

للحجاز،وناظر الجهادية العام،فيما يجب اتخاذه من التدابير اللازمة لشؤون القنفذة والحجاز،ولما وصلت إليها استشرت دولته،فأرسلنا البكباشي خورشيد آغا،المُقيم بمكة مع عساكر الجهادية التي بمعيته إلى جدة،ومنها إلى القنفذة،كما أرسلنا البكباشي شاهين آغا، مع ثلاثمائة(١٣٠) جندي إلى الطائف،وبعثنا إلى بلاد الحجاز بمنشورات(١٣١) الشرفاء(١٣٢) كما وجهت إلى بلاد غامد، وزهران، وبالقرن، وشمران، وبني شهر،كتب تأكيد وتقوية(١٣٣)،وكذلك قد أُرسِل إلى جهة عسير جواسيس، لمعرفة أحوالها،والعمل بموجبها (١٣٤).

وهاءنذا (١٣٥) يا مولاي قد عرَّفت الحالة بإسهاب وتفصيل،وبعد،فالأمر فيها وفي الحالات كلها لحضرة مولاي ولي النعم .

٣ صفر سنة ١٢٥١ محمد بن عون(١٣٦)

الخاتمة

تناولت الدراسة تقريرًا مفصَّلاً بعثه الشريف محمد بن عون،إلى محمد علي باشا،في ٣ صفر سنة ١٢٥١هـ/٣١ مايو ١٨٣٥م،يكشف فيه تفاصيل مهمة عن الحملة التي شنها على بلاد عسير في ذلك العام،ويصف التحركات التي قام بها،والمواجهات العسكرية التي وقعت مع القوات العسيرية بقيادة الأمير عائض بن مرعي،والانتصارات التي حققها الشريف محمد بن عون وقواته أثناء تقدمهم إلى السقا معقل الأمير عائض،ثم ختم التقرير بالحديث عن تفاصيل الهزيمة التي تعرض لها جيشه،وكيفية انسحابهم من بلاد عسير .

وقد تبين للباحث من خلال ذلك،أهمية دراسة الوثائق في الكشف عن كثير من الحوادث المُهملة أو التي تعرضت لها المصادر بشيء من العمومية،دون الدخول في تفاصيلها الدقيقة.

كما كشفت الدراسة تفاصيل مهمة ودقيقة عن تحركات الشريف محمد بن عون العسكرية في منطقة عسير،وبينت كذلك الأساليب القمعية والتخريبية التي كان يمارسها جيش محمد علي باشا بقيادة الشريف محمد بن عون مع السكان وفي القرى بمنطقة عسير .

وأوضحت الدراسة كيف تعامل الأمير عائض بن مرعي وقبائل المنطقة عسكريًا وتكتيكيًا مع الحملة،وهو ما مكنهم من هزيمة تلك القوة العسكرية،وطردها من عسير دون تحقيق الهدف الذي جاءت من أجله.

ومن خلال هذه الوثيقة تم تحديد أماكن تحركات الحملة بدقة، والتعريف بها جغرافيًا،واستتبع ذلك أيضًا التعريف ببعض الشخصيات المهمة التي كانت لها علاقة بالحملة،وهذا الأمر يجعلنا نشدد على أهمية البحث المتعمق في الوثائق لما تحويه من معلومات جديدة ومهمة عن الأحداث التاريخية،لكونها معاصرةً،ولأنها تُعدُ من المصادر الأولية للمعلومة التاريخية.

الهوامش

(١) عبدالرحيم، عبدالرحمن عبدالرحيم: من وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث،٧ أجزاء،دار الكتاب الجامعي،القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ومن الملاحظ أن هناك خطأً من الناشر في تاريخ صدور الكتاب؛فالمؤلف يذكر في مقدمة مج ٣ أنه فرغ منه في عام ٢٠٠٢ ، وفي مج ٦ عام٢٠٠٣م، مج ٣ ، ص ص٤٠٧-٤١٧، ومج ٦ ص ص ١٨٠-١٩٠.

(2) ولد محمد علي في بلدة براوسطة التابعة لقوله سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٩م،وتوفي والده وهو صغير فرباه عمه وزوجه ابنته بعد أن كبُر،ثم عمل بالتجارة،لا سيما تجارة الدخان لفترة من الزمن ،وقد أُرسِل محمد علي على رأس فرقة عسكرية إلى مصر بعد الاحتلال الفرنسي لها سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م ، وشهد وقعة أبي قير ثم عينه خسرو باشا والي مصر برتبة (سرجشمة) أي قائد فرقة ، وقد استطاع محمد علي بما أوتي من قدرات عقلية وذكاء أن يسيطر على الأمور في مصر وأن يختاره المصريون واليًا عليهم،وكتبوا بذلك إلى الباب العالي فأصدر فرمانًا بذلك،ووصل ذلك الفرمان مصر في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٢٢٠هـ ٨ يوليه ١٨٠٥م ،وبعد ذلك أوكل السلطان العثماني لمحمد علي باشا محاربة السعوديين، فخاض معهم حربًا ضروسًا بدأها سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م ، وانتهت بسحب محمد علي باشا لقواته من الجزيرة العربية بعد معاهدة لندن ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م ، ويُعد محمد علي باشا بحق مؤسس نهضة مصر الحديثة ، فقد عمل منذ تسنمه السلطة في مصر إلى الإفادة من جملة الإصلاحات الفرنسية المختلفة ، وعمل على تطويرها ، فشق القنوات ، ووزع الأراضي على الفلاحين ، وأنشأ المصانع، وأرسل البعثات إلى الخارج، ووسع التعليم وطوّره، وأوجد الصحافة ، واهتم بالشؤون العسكرية فبنى جيشًا كبيرًا لمصر،وأسس الأسطول البحري المصري، وأوجد المدارس العسكرية ، وكثيرًا من الإصلاحات التي قفزت بمصر، وأسهمت في تقدمها في مختلف المجالات ، وقد استمر محمد علي باشا في حكم مصر حتى وافته منيته في القاهرة سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م ، بعد أن أسس لحكم أسرته في مصر حتى أزالت الثورة

المصرية حكمهم في يوليو عام ١٩٥٢م . انظر فريد ، محمد : تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ص١٩٢-١٩٣؛ وعن الحروب التي خاضها في الجزيرة العربية يمكن الرجوع إلى الجبرتي ، عبدالرحمن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار،٤أجزاء، دار الجيل ، بيروت، بدون تاريخ ، ج٣ ، ص ص ٣١٨ وما بعدها؛ و ابن بشر ، عثمان بن عبدالله : عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ ، جزءان ، ط٢ ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١ ، ص ص ٣٢١ـ ٣٦٨ ، وج٢ ، ص ص ٢٥ـ ١٨٦ ؛ وانظر الرجبي ، خليل بن أحمد : تاريخ الوزير محمد علي باشا ، تحقيق دانيال كريسيليوس وحمزة عبدالعزيز بدر وحسام الدين إسماعيل ، ط١، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ص ١١٥-١٦٥ ؛ وعبدالرحيم،عبدالرحمن عبدالرحيم: محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤ـ ١٢٥٦هـ/١٨١٩ـ ١٨٤٠م، ط٢ ، دار الكتاب الجامعي ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م ، ص ص ٥ وما بعدها ؛ وعن جملة الإصلاحات يمكن الرجوع إلى الرجبي ، تاريخ الوزير محمد علي باشا ، ص ص ١٧٧ ـ ٢٠٨ ؛ والرافعي ، عبدالرحمن : عصر محمد علي ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ص ص ٣٢١ـ ٥٥٣.

(٣) يمكن لمن أراد الاستزادة والتوسع الرجوع إلى المصادر والمراجع الآتية:ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١، ص ص ٣٢١ وما بعدها ؛ وانظر عبدالرحيم ، عبدالرحمن عبدالرحيم : الدولة السعودية الأولى ، ج١ ، ط٥ ، دار الكتاب الجامعي ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص ص ٣٠٥ وما بعدها ؛ وله أيضًا ، محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤ ـ ١٢٥٦هـ/١٨١٩ ـ ١٨٤٠م ، ص ص ٥ وما بعدها .

(٤) شاكر ، محمود : شبه جزيرة العرب ـ عسير ، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروتـ دمشق ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص١٤٢ .

(٥) للاستزادة والاطلاع على مواقف أهالي عسير خلال تلك الحقبة يمكن الرجوع إلى آل زلفة ، محمد بن عبدالله : دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتأثيرها على

مقاومة بلاد عسير ضد الحكم العثماني ـ المصري من عام ١٢٢٦ـ ١٢٥٥هـ/١٨١١ـ ١٨٤٠م ، ط١ ، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ص ٤٧- ١٠٣ ؛ وآل فائع ، أحمد يحيى : دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها ١٢١٥ ـ ١٢٣٣هـ /١٨٠٠ـ ١٨١٨م ، ط١ ، مطابع الحميضي، الرياض ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م،ص ص ٢٧٥ وما بعدها .

(٦) هو الشريف محمد بن عبد المعين بن عون بن مُحسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن أبي نُمي ، من الأشراف العبادلة ، ومن أبرز الأشراف الذين حكموا في الحجاز وأقواهم ، شارك مع القوات التي بعثها محمد علي باشا في حروب عسير في عهد الدولة السعودية الأولى . فلقد رافق محمد علي في الحملة التي قادها إلى تربة ورنية وبيشة ومنها إلى بلاد عسير حيث قُبِض على أمير عسير آنذاك طامي بن شعيب المتحمي سنة ١٢٣٠هـ/١٨١٥م ، وقد أشار دحلان إلى أن الشريف محمد بن عون كان من أعظم الأشراف الذين رافقوا محمد علي في حملته تلك ؛ مما يدل على علو مكانته بين الأشراف حتى قبل توليه إمارة مكة المكرمة ، وقد تولى عدد من إمارات البلدان التابعة للحكومة العثمانية ، فقد تولى إمارة تربة ، ثم تولى إمارة عسير بعد سقوط إمارة آل المتحمي التابعة للدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م ، ومكث فيها عدة سنوات لم ينعم خلالها بالاستقرار؛ نظرًا للثورات المتواصلة ضده ، والتي كان من أبرزها ثورة الأمير سعيد بن مسلط ، وأهالي عسير سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م ، وما تبعها من حوادث . وفي سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م ، أصدر السلطان العثماني محمود فرمانًا يقضي بتعيين الشريف محمد بن عون أميرًا على الحجاز خلفًا للشريف عبدالمطلب بن غالب ، وبقي بها حتى سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م، حيث تم استدعاؤه إلى مصر نتيجة الخلاف الذي وقع بينه وبين أحمد باشا يكن على إثر هزيمتهما في بلاد عسير سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م ، ومكث في مصر حتى سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م ، ثم أُعيد للمرة الثانية لإمارة الحجاز، ومكث فيها حتى سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م ،حيث صدر قرار عزله عن الإمارة وإعادة الشريف عبدالمطلب بن غالب . ومن ثم ولي إمارة الحجاز للمرة الثالثة في الفترة من سنة ١٢٧١هـ-١٨٥٣م،وحتى ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م ، وهي السنة التي توفي فيها

وخلفه على شرافة مكة ابنه الشريف عبدالله بن محمد بن عون . انظر دحلان، أحمد زيني : أمراء البلد الحرام ، الدار المتحدة للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان (د. ت . ط) ص ص ٣٣٦-٣٦٦؛ و عن تلك الحروب انظر دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر معية تركي رقم ١٤، وثيقة رقم ٢٠،من محمد على إلى أحمد يكن عن العمليات ضد الثورة العسيرية،بتاريخ ١٢ رجب ١٢٣٨هـ/٢٥ مارس ١٨٢٢م. عبدالرحمن عبدالرحيم، من وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث،٧ أجزاء،مج ٦ ، ص ص ٧٩-٨١؛ والنعمي ، هاشم بن سعيد: تاريخ عسير في الماضي والحاضر،صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص ص ٢٠٤ ـ ٢٠٨ ؛ وابن مسفر، عبدالله : أخبار عسير، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،ص ص ٨٦ ـ ٨٧؛ وعن إمارته للحجاز وما تلاها من أحداث، انظر دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة رقم٢،عابدين، وثيقة رقم ٢٩١، من محمد على إلى أحمد يكن يخبره بتعيين الشريف محمد بن عون أميرًا على مكة،بتاريخ ٢٧ صفر ١٢٤٣هـ/ ١٩سبتمبر ١٨٣٧م . عبدالرحيم عبدالرحمن، من وثائق تاريخ شبه الجزية العربية في العصر الحديث،مج ٦، ص ص ١٦٣-١٦٤ ؛ و دحلان ، أمراء البلد الحرام، ص ص ٣٤٢ ؛ ورواه ، عبدالفتاح حسين ، جداول أمراء البلد الحرام ، ط١ ، مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، ص ص ٢٠٥ـ ٢٠٦ ؛ وله، تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام ، مكتبة المعارف، الطائف، (د. ت .ط)،ص ص ٣٦٦ـ ٣٨٠ .

(٧) الأمير سعيد بن مسلط المغيدي ،أمير عسير في الفترة من ١٢٣٩ـ ١٢٤٢هـ/١٨٢٣ ـ ١٨٢٦م ، من أبرز أمراء عسير في العصر الحديث ومن أبرز المتشبعين بالدعوة الإصلاحية . خاض عدة حروب ضد الشريف محمد بن عون، وبسط نفوذ عسير حتى المخلاف السليماني وأقر الأمور بها بعد خروج القوات العثمانية . انظر هاشم النعمي، تاريخ عسير ، ص ص ٢٠٤ ـ٢١١ ؛ وابن مسفر، أخبار عسير، ص ص ٨٦ ـ ٨٨ .

(٨) هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ص ٢٠٨. ٢٠٩ ؛ وعسيري ، علي أحمد عيسى : عسير من ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م ـ ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م ـ دراسة تاريخية ، ط١، مطبوعات نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص ص ١٣٦. ١٤٨ .

(٩) دحلان ، أمراء البلد الحرام ،ص٣٤٢ .

(١٠) الأمير علي بن مجثل المغيدي ، ابن عم الأمير سعيد بن مسلط ، وأحد أبرز أمراء عسير وأشهرهم في القرن الثالث عشر تولى إمارة عسير في الفترة ما بين سنتي ١٢٤٢. ١٢٤٩هـ/١٨٢٦. ١٨٣٣م ، كان متشبعًا بمبادئ الدعوة الإصلاحية، استطاع أن يمد إمارة عسير من بلاد غامد وزهران شمالاً حتى جزر دهلك في البحر الأحمر وزبيد والمخا جنوبًا ، ومن بيشة شرقًا إلى البحر الأحمر غربًا.انظر هاشم النعمي، تاريخ عسير، ص ص ٢١٢. ٢٣٠؛ وابن مسفر، أخبار عسير، ص ص ٨٩ ـ ٩٤ .

(١١) هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص٢١٣ ؛ وعلي عسيري ، عسير ، ص١٥٠ .

(١٢) السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج١ ، ط٧ ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ص ص ٥١٨ ـ ٥٢١ .

(١٣) الأمير عائض بن مرعي المغيدي ،أمير عسير في الفترة ما بين سنتي ١٢٤٩ـ ١٢٧٣هـ/١٨٣٣ ـ ١٨٥٦م . كان الأمير عائض من أنبل رجالات عسير وأقواهم وأكثرهم حكمة وشجاعة ، وصلت عسير في عهده إلى أقصى اتساعها،فقد امتد نفوذه من بلاد غامد وزهران شمالاً حتى المخا وزبيد وصعدة ووادعة جنوبًا ، وشرقًا بيشة ، وغربًا البحر الأحمر . وقد نعمت عسير في عهده بالأمن والاستقرار بعد أن أخمد كثيرًا من تمردات القبائل ، وقعت في عهده الكثير من الحروب مع القوات المصرية الحجازية،واستطاع الانتصار في معظم تلك الحروب . توفي بعد انتشار الجدري في تلك الفترة وخلفه ابنه الأمير محمد بن عائض في إمارة عسير . عنه ينظر : هاشم النعمي ، تاريخ عسير، ص ص ٢٣٠ ـ ٢٥٩؛ وابن مسفر، أخبار عسير، ص ص ٩٤. ١١٠؛ وعلي عسيري ، عسير ، ص ص ١٦٠ ـ ٢٥٥ .

(١٤) دوسري بن عبدالوهاب بن محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي ، من قبيلة ربيعة ورفيدة ، كان من ضمن الأسرى الذين أخذهم محمد علي باشا إلى مصر بعد سقوط الدرعية . انظر ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص١٣٧؛ وهاشم النعمي، تاريخ عسير ، ص٢٣٣ . وقد حاول محمد علي باشا الإفادة من مكانة أسرة دوسري في بلاد عسير وإخضاع المنطقة لطاعته ، وذلك بتعيينه أميرًا عليهم؛لكنه لم ينجح في ذلك . انظر تاميزيه ، موريس : رحلة في بلاد العرب ـ الحملة المصرية على عسير ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م ، ط١، ترجمة وتعليق محمد بن عبدالله آل زلفة ، مطابع الشريف ، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، ص ص ١١٨ ـ ١٢١.

(١٥) هاشم النعمي ، تاريخ عسير، ص ص ٢٣٣ـ ٢٣٥ ؛ وعلي عسيري ، عسير ، ص ص ١٦٠ـ ١٦٢ .

(١٦) هاشم النعمي ، تاريخ عسير، ص٢٣٧ ؛ وابن مسفر، أخبار عسير ، ص ٩٦ ، وذكر أن قائد تلك الحملة هو أحمد بن عون،والصحيح ما ورد في النص أعلاه .

(١٧) هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص٢٣٧ ؛ وآل زلفة ، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ص١٣٤ .

(١٨) هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ص ٢٣٨ـ ٢٣٩ ؛ وابن مسفر ، أخبار عسير ، ص٩٧.

(١٩) تقرير الممثل البريطاني في جدة بعثه إلى الكولونيل كامبل عام ١٨٣٥م ، نقلاً عن آل زلفة ، دور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ص١٣٤ .

(٢٠) دحلان ، أمراء البلد الحرام ، ص٣٥٠ .

(٢١) دحلان ، أمراء البلد الحرام ، ص٣٥١ ؛ وعلي عسيري ، عسير ، ص١٦٢ ؛ والسباعي ، تاريخ مكة ، ص٥٢١ .

(٢٢) دحلان ، أمراء البلد الحرام ، ص٣٥١ ؛ والسباعي ، تاريخ مكة ، ص٥٢١ .

(٢٣) دحلان ، أمراء البلد الحرام ، ص ص٣٥١-٣٥٠ ؛ وهاشم النعمي ، تاريخ عسير،ص ٢٤١؛ والسباعي ، تاريخ مكة، ص ٥٢١.

(٢٤) هاشم النعمي ، تاريخ عسير، ص ٢٤١.

(٢٥) هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ص ٢٤١ ـ ٢٤٤ .

(٢٦) دحلان ، أمراء البلد الحرام ، ص٣٥١ ؛ والسباعي ، تاريخ مكة ، ٥٢١ .

(٢٧) هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ٢٤٤ ؛ وعلي عسيري ، عسير ، ص ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٢٨) الشريف محمد بن عون قائد الحملة .والباحث يستنكر على الشريف محمد أن يُطلق على نفسه لقب العبودية لمحمد علي باشا،حتى وإن فُهِم منها أنه يقصد التبعية لا معنى العبودية الخالصة لله تعالى ؛ لأن العبودية الأخرى تعني الرق،وهذا مذموم من الشريف.

(٢٩) تنومة : بلدة كبيرة وقديمة في سراة بني شهر شمال عسير بحوالي ١٢٠كم ، تقع على وادي ترجس المنحدر من جبال وشعاف الجبال المحيطة بها ويصب في وادي ترج الكبير، وهي ترتفع عن سطح البحر بحوالي (٣٠٠٠) متر، وبها سوق السبت أو سبت تنومة وهو من الأسواق الأسبوعية المشهورة في عسير، وبها مركز للإمارة تابع لإمارة منطقة عسير. انظر الحربي ، علي إبراهيم : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ منطقة عسير ، ج١، مؤسسة خليفة للطباعة ، بيروت ، لبنان ، ١٧ ـ ١٤١٨هـ ، ص ص ٣١٥ ـ ٣١٦ .

(٣٠) سبقت الإشارة إلى أنه والي الحديدة من قبل محمد علي باشا حاكم مصر.

(٣١) مخايل ـ يقصد محائل عسير ، وهو ما أثبتناه في النص، وهو اسم يطلق على المنطقة الممتدة من ساحل البحر الأحمر من محاذاة ميناء البرك من الشمال حتى وادي تيَّه من الشرق ، ومن الشمال من وادي بقرة حتى مشارف قنا والبحر جنوبًا، وعلى وجه التخصيص يطلق على المدينة المشهورة بمدينة محايل الواقعة على ضفة وادي تيَّه الشمالية . انظر هاشم النعمي ، تاريخ عسير، ص٢٨ ؛ وعلي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير ، ج٣، ص ص ١٤٤٧ ـ ١٤٤٨.ومما تجدر الإشارة إليه أن اسم محائل يرد كثيرًا في التقرير باسم مخايل أو المخايل، ولذا سوف يتم التصحيح وفق التعريف أعلاه دون الإشارة إلى ذلك تلافيًا لعملية التكرار .

(٣٢) ما بين المعكوفان،زيادة من الباحث بهد ف التوضيح ، و سنة ١٢٥١هـ توافق ١٨٣٥م.

(٣٣) وهي كلمة فارسية مخففة من أمير بمعنى أمير أو حاكم ، ومنه – على سبيل المثال – لفظ (ميرزا) لفظ مخفف من(أمير زاده) وهو لقب خاص بأبناء الملوك (لأن مير بمعنى أمير ، وزاده بمعنى ابن أو وليد).وقد انتقل هذا اللفظ (مير) من الفارسية إلى التركية ، وهو هنا بمعنى آمر اللواء .انظر التونجي، محمد: المعجم الذهبي (فرهنگ طلائي) ط١،دار العلم للملايين ، بيروت، آذار ١٩٦٩م،ص ٣٠٨ ، ص ٥٥٣.

(٣٤) سدوان : اسم وادٍ ينحدر من شعاف آل السريع من بللسمر،ويلتقي مع وادي ترجس ويفيضان في وادي ترج باتجاه الشمال ، وهو وادٍ قديم ذكره الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب ، ويضم وادي سدوان إحدى عشرة قرية،ويتميز بغاباته الكثيفة ومتنزهاته الجميلة . علي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير ، ج٢ ، ص ص ٨٠٣ ـ ٨٠٤ .

(٣٥) أوردها المُترجِم بلاسمر والصواب باللسمر،وهو ما أثبتناه في النص، قبيلة من قبائل منطقة عسير، من فروع رجال الحجر، وينقسمون إلى قسمين ١ـ بنو منبج ٢ ـ بنو العذمة ، ويعودون في نسبهم إلى بنو الحجر بن الهنوء بن الأزد بن الغوث. عنهم وعن فروعهم وقراهم انظر الأسمري، محمد بن عوضة بن رداد: الأوس بن الحجر ـ باللسمر حاليًا ديارهم وتاريخهم وأخبارهم في الجاهلية والإسلام ، ط١، لم يذكر الناشر،١٤٢١هـ/٢٠٠١م ، ص ص ١٤ وما بعدها.

(٣٦) ذكر أنه من مشائخ باللسمر،ولم أعثر له على ترجمة .

(٣٧) لاع (يُعرف حاليًا باثنين باللسمر)،ولاع بالفتح اسم وادٍ ينحدر من شعاف اثنين باللسمر،ويصبُ في وادي ذبوب أحد روافد وادي عيا الذي يرفد وادي بيشة ، علي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير ، ج٣ ، ص ١٤٠٨ .

(٣٨) في الأصل عسيريين ،والصواب ما أثبتناه في النص.

(٣٩) اتبع العثمانيون وقوات محمد علي باشا في حروبهم على الجزيرة العربية منذ عهد الدولة السعودية الأولى سياسة تخريب البُنى التحتية مثل هدم القلاع العسكرية والحصون وتدمير المزارع أملاً في إضعاف المقاومة وإخضاع الناس

بالقوة ؛ لكن ذلك لم يحدث. وفي عسير اتبع محمد علي والشريف محمد بن عون نفس السياسة بشكل كبير وواضح ؛ وذلك يعود لضراوة المقاومة العسيرية وشراستها،والمتتبع لهذا التقرير سوف يجد أن جميع الحصون والقلاع المزروعات التي مرت عليها هذه الحملة دُمرت.وسوف أكتفي بهذا التعليق لعدم التكرار،إلا إذا احتاج الأمر لذلك.

(٤٠) أوردها في الوثيقة باسم مظف والصواب المضفاة ،وهو ما أثبتناه في النص، وتقع إلى الجنوب من اثنين باللسمر للمتجه إلى بلاد باللحمر. ذكر ذلك الأستاذ طراد بن علي الأسمري ، والأستاذ محمد بن سعيد الأسمري في اتصال للباحث معهما.

(٤١) العسير يقصد قبائل عسير، وهو ما أثبتناه في النص،وهي عسير السراة المعروفة،وهم بنو مغيد وعلكم وبني مالك وربيعة ورفيدة ،وتنقسم هذه القبائل إلى عدة بطون وفروع ، وعسير تهامة وأشهر قبائلها رجال ألمع وتنقسم إلى عشر قبائل كل قبيلة منها تنقسم إلى عدة بطون وفروع ، وتلك القبائل هي : ١ ـ قبيلة قيس بن مسعود ٢ ـ بني ظالم ٣ ـ بني جونة ٤ ـ بني بكر ٥ ـ بني عبد شحب ٦ ـ شديدة ٧ ـ بني زيد ٨ ـ بني قطبة ٩ ـ بني عبد العوص ١٠ ـ قبيلة البناء. عن تلك القبائل وتفريعاتها ، انظر هاشم النعمي ، تاريخ عسير، ص ص ٦٩ ـ ٨١ .

(٤٢) أوردها باسم بلأحمر والصواب باللحمر،وهو ما أثبتناه في النص ، من قبائل رجال الحجر الواقعة شمال منطقة عسير ، وتقع منازلهم على ضفاف وادي عبل وبيحان والماوين ، ويحدهم من الجنوب عسير وشهران ، ومن الشرق شهران ، والشمال باللسمر ومن الغرب بنو ثوعة وآل مشول وآل الحارث . انظر هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ص ٩١ ـ ٩٢ .

(٤٣) باللسمر : سبق التعريف بها .

(٤٤) شهران : وتسمى شهران العريضة ، وتقع منازل هذه القبيلة على ضفاف وادي شهران ، وحاضرتها خميس مشيط ، ويحدها من الشرق تثليث ، ومن الجنوب

قحطان ، ومن الغرب عسير وباللحمر وبنو شهر وبنو عمرو . وتنقسم هذه القبيلة إلى عدة بطون وفروع . انظر آل طالع : عبدالكريم عائض : قبيلة شهران بين الماضي والحاضر ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص ص ٩ وما بعدها ؛ وهاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ص ٨٩ـ ٩١، وسوف يتم التصحيح لاحقًا دون الإشارة لعدم إثقال البحث بالإحالات .

(٤٥) رُفيدة . المقصود هنا قبيلة رُفيدة قحطان ؛ لأنه ذكر قبائل عسير،وهي تضم قبيلة ربيعة ورفيدة كما أسلفت. ورفيدة في الأصل قبيلة عدنانية من بني عنز بن وائل،وأشهر مدنها الآن أحد رفيدة والواديين. وتنقسم هذه القبيلة إلى عدة بطون.انظر هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٤٦) يقصد المضفاة .

(٤٧) وادي بَيْحَانْ : بفتح الباء وسكون الياء فحاء مفتوحة ، مجمع أودية منطقة بيحان باللحمر وأعلاه يسمى وادي صدام نسبة إلى ساكنيه ، ويصب في وادي عيا أحد روافد وادي بيشة ، وهو وادٍ قديم ورد ذكره عند الهمداني . علي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير ، ج١ ، ص٢٦٦ .

(٤٨) أورده باسم وادي صباح والصواب صبح ،وهو ما أثبتناه في النص، وصبَح بفتح الباء ، من أودية بلاد باللحمر ينحدر من منطقة تسمى باسمه ويرفد وادي آل الشاعر المنحدر من جبل الجعد ويسيل في وادي عيا أحد روافد وادي بيشة . علي الحربي، المعجم الجغرافي ـ عسير ، ج٢ ، ص٩٤٦ .

(٤٩) مِسِفِرَة : بكسر الميم والسين والفاء، قرية كبيرة من قرى آل لصلع من باللحمر، تقع في أقصى قرى رجال الحجر جنوبًا وتقع أعلى وادي عبل في بلاد باللحمر. علي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير، ج٣ ، ص١٤٩٢ .

(٥٠) معتق بن الأصلع : لم أعثر له على ترجمة ، ويبدو أنه من مشائخ باللحمر .

(٥١) أوردها باسم ملاَحَة والصواب الملاَحة،وهو ما أثبتناه في النص،والملاَحة بالفتح، من قرى بني مالك عسير ، تقع شمال مدينة أبها على الطريق المؤدي إلى محائل الطائف . علي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير ، ج ٣، ص ١٥٤١ .

(٥٢) سَنومَة : بفتح السين وضم النون وإسكان الواو وفتح الميم ، تقع في بلاد آل الحارث في عسير وتسمى سنومة الحمراء . علي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير ،ج ٢، ص٨٤٦ .

(٥٣) العبيدة يقصد قبيلة عبيدة قحطان،وهو ما أثبتناه في النص ، وتنحدر هذه القبيلة من مذحج القحطانية ، وأهم حواضرها الآن سراة عبيدة ، وتقع إلى الجنوب الشرقي من أبها بحوالي ٧٠كم تقريبًا،وتنقسم هذه القبيلة إلى عدة بطون وفروع. انظر هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٥٤) أوردها المُترجم باسم رفيدة اليمن والصواب رفيدة قحطان، وهو ما أثبتناه في النص.

(٥٥) محمد بن مفرح المغيدي ، من أسرة آل مفرح مشائخ قبيلة بني مغيد إلى وقتنا الحاضر ،كان موضع ثقة الأمير عائض بن مرعي.أوكل إليه عدد من المهام مثل قيادة الجيوش العسيرية في المخلاف السليماني واليمن، كما استبقاه نائبًا عنه في الحديدة، وهو هنا يقود مجموعة من قبائل عسير في مواجهة حملة الشريف محمد بن عون . انظر شيئًا من أخباره لدى هاشم النعمي،تاريخ عسير، ص٢٣٦ وص٢٤٧ وص ٢٤٨ وص٢٥٥ وص ٢٥٨؛ وعبدالرحيم عبدالرحمن، محمد علي وشبه الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص١٦٢ .

(٥٦) سبق لمحمد بن مفرح المغيدي أن عمل أميرًا على الحديدة وزبيد والمخا من قبل الأمير علي بن مجثل أمير عسير بعد أن طرد منها تركجه بليمز ودخلت تحت طاعته سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م . انظر هاشم النعمي ، تاريخ عسير، ص٢٢٩.

(٥٧) تقع طبب في الشمال الغربي من أبها على ضفاف وادٍ يسمى باسمها ، وهي من قرى قبائل ربيعة ورفيدة عسير. كانت مركزًا وعاصمةً لعسير في عهد الدولة السعودية الأولى ، في الفترة ما بين ١٢١٥ ـ ١٢٣٣هـ/١٨٠٠ ـ ١٨١٨م ، في عهد آل المتحمي أمراء عسير خلال تلك الحقبة ، وبها كثير من الآثار تعود إلى تلك المدة ، ولعل أبرزها المسجد الجامع الذي جُدِّد بناؤه في عهد الأمير عبدالوهاب بن عامر المتحمي سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٦م . انظر آل فائع ، دور آل المتحمي ، ص ص ١٤٥ ـ ١٤٧ .

(٥٨) أوردها باسم عقبة رجمى والصواب عقبة رَجْم،وهو ما أثبتناه في النص، ورَجْم بفتح الراء وسكون الجيم، عقبة وعرة المسالك تقع جنوب عقبة شعار المؤدية إلى محائل عسير شمال أبها ، وتمتد من شعاف ربيعة ورفيدة إلى وادي تَيَّه وينحدر منها وادٍ يسمى باسمها وهو من روافد وادي تيَّه ، وسوف يتم تصحيحها في المتن دون الإشارة لها في الحاشية . علي الحربي ، المعجم الجغرافي - عسير ، ج٢ ، ص ص ٧١١ - ٧١٢ .

(٥٩) ورد ذكره كقائد للأمير عائض بن مرعي في كتاب أخبار عسير لابن مسفر،ولم أعثر له على ترجمة وافية.انظر ابن مسفر،أخبار عسير ،ص ٩٨.

(٦٠) *اوطه باشي* : رتبة عسكرية في الجيش العثماني كانت معروفة قبل إلغاء الإنكشارية تعادل رتبة الملازم الآن ، يترأس حاملها مجموعة من العساكر يستقرون في اوضه (غرفة)وقد تكون قياسًا لكلمة : اورطه: لفظ فارسي من أُطاق بمعنى المعسكر،واللفظ أصله فارسي من أُطاق(بضم الألف وبدون همزة) وهو معرب من أوضه، وعندما انتقل إلى التركية أصبح اللفظ أورطة بمعنى فرقة عسكرية،وكما يقال للمسؤول العسكري عن الغرفة أوضه باشي؛ كانت كل أوضه تضم أورطة (فرقة عسكرية) انظر التونجي، المعجم الذهبي (فرهنگ طلائي) ص ٣٨.

(٦١) الواو إضافة من الباحث أثبتناه في النص حتى تستقيم العبارة.

(٦٢) في الأصل إلى الفرار والصواب ما أثبتناه في النص .

(٦٣) أوردها باسم سقا والصواب السُّقَا،وهو ما أثبتناه في النص،والسُّقَا بضم السين المشددة وفتح القاف ، تقع إلى الشمال الغربي من مدينة أبها ، وتبعد عنها قرابة ١٥كم تقريبًا ، كانت عاصمة عسير في عهد الأمير سعيد بن مسلط، والأمير علي ابن مجثل ، ثم آل عائض ، وسوف يتم تصحيحها في المتن دون الإشارة لها في الحاشية. علي الحربي، المعجم الجغرافي - عسير ، ج٢ ، ص ص ٨٢٨- ٨٣١ ، وسوف يتم تصحيحها في المتن دون الإشارة لها في الحاشية.

(٦٤) يقصد الأمير عائض بن مرعي أمير عسير وقادته على تلك القوات محمد بن مفرح والقبائل التي معه، ومحمد بن معدي والقبائل التي معه .

(٦٥) علي بن مشيط ، من أسرة آل مشيط مشائخ قبيلة شهران ، ومقر مشيختهم ذهبان في خميس مشيط، وهو السوق الذي سمي باسمهم،ولا زال يحمل اسمه إلى الآن ، ولا تزال مشيخة القبيلة فيهم إلى وقتنا الحاضر . عنهم انظر عبدالكريم آل طالع ، قبيلة شهران ، ص ص ٤٠ ـ ٤٣ .

(٦٦) الأقواس من وضع المترجم وأثبتها هنا كما هي.

(٦٧) أوردها باسم شط والصواب الشط، وهو ما أثبتناه في النص،و هناك أكثر من موقع في بلاد عسير السراة يحمل اسم الشط، فهناك شط بني تمام من بني مغيد ويقع في قعوة السقا جنوب مركز السودة بحوالي١٠كم ، ويعرف بشط الخضراء، وهناك شط علكم بوادي عشران شمال مدينة أبها . وهناك عدد من الشطوط في رجال ألمع وشهران وبحر أبو سكينة. ومن المرجح لي ومن خلال تتبع سير الحملة أن المقصود هنا شط بني مغيد؛ لأن القوات التي مع الأمير عائض تجمعت في السقا ؛ وبالتالي انطلقت الثورة من الشط القريب منها وهو شط بني تمام . عن مواقع تلك الشطوط انظر علي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير ، ج٢ ، ص ٨٩٤ ـ ٨٩٥ .

(٦٨) أوردها باسم باحة والصواب باحة ربيعة، وهو ما أثبتناه في النص ، وهي بلدة كبيرة تقع شمال مركز السودة بحوالي ١٢كم، على ضفاف وادٍ يحمل اسمها وينحدر من جبل تهلل ، ويفيض في وادي طبب أحد روافد وادي تيَّه ، وهي من بلاد قبيلة ربيعة ورفيدة . انظر علي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير ، ج١ ، ص٢٠٧ .

(٦٩) تقع بلاد رجال ألمع في الجهة الغربية من بلاد عسير وتمتد من محائل شمالاً وحتى درب بني شعبة جنوبًا ، وغربًا البحر الأحمر وبحر ابن سكينة ، وشرقاً الجبال الشرقية لبلاد عسير السراة ، وتنقسم قبائل رجال ألمع إلى عشر قبائل هي : ١ – قبيلة بن مسعود ٢ ـ قبيلة بني ظالم ٣ ـ البناء ٤ ـ بني قطبة ٥ ـ بني جونة ٦ ـ بني عبدالعوص ٧ ـ قبيلة شديدة ٨ ـ بني زيد ٩ ـ قبيلة صلب ١٠ ـ قبيلة بني عبد شحب . انظر الألمعي، يحيى بن إبراهيم : رحلات في عسير ، ج١، مطابع دار الأصفهاني وشركائه، جدة، بدون تاريخ ،ص ص٦٤ ـ ٧٦ .

(٧٠) وادي حلي : بفتح الحاء وكسر اللام ، وادٍ من أكبر أودية تهامة عسير تجتمع فيه الأودية المنحدرة من رجال ألمع وجبال عسير من جهة السودة غربًا وترفده كذلك الأودية المنحدرة من باللحمر وباللسمر وبني شهر وتبلغ أكثر من ثلاثين واديًا ، ويبلغ طول وادي حلي ١٢٠كم تقريبًا ، وتقع عليه مدينة حلي ابن يعقوب بالقرب من مصابه على البحر الأحمر غربًا . انظر علي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير ، ج١ ، ص ص ٥٠٠ ـ ٥٠٢ .

(٧١) أوردها باسم سودة والصواب السودة،وهو ما أثبتناه في النص،وهي جبال شاهقة الارتفاع تقع شمال مدينة أبها بحوالي ٢٥كم ، وترتفع عن سطر البحر بحوالي ٣١٥٠ متر. وتكسوها الغابات الطبيعية ، وهي من أبرز المنتزهات السياحية في عسير في وقتنا الحاضر، وسوف يتم تصحيحها في المتن دون الإشارة لها في الحاشية . علي الحربي، المعجم الجغرافي ـ عسير، ج٢ ، ص ص ٨٤٨ـ ٨٥٢ ؛ ويحيى الألمعي، رحلات في عسير ، ص ١٤ .

(٧٢) سنحان، قبيلة من قبائل قحطان تقع ديارها على وادٍ يسمى باسمها وهو وادي راحة سنحان شرق عسير ، وتحدها من الجنوب قبيلة وادعة ، ومن الشمال قبيلة شريف من قحطان ومن الغرب قبيلة جنب ، ومن الشرق شريف أيضًا ، وتنقسم إلى عدد من البطون والفروع . انظر هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ص ٨٣ ـ ٨٤ .

(٧٣) أوردها باسم بني عمر والصحيح بني عمرو، وهو ما أثبتناه في النص،وتقع منازل هذه القبيلة شمال سراة الحجر شمال عسير ، وهناك تداخل في المساكن بينهم وبين بني شهر أبناء عمومتهم ، ويحد هذه القبيلة من الشمال بالقرن،ومن الغرب عمارة والنواشرة ، ومن الشرق بيشة ، ومن الجنوب بني شهر ، وتنقسم هذه القبيلة إلى عدة بطون وفروع . انظر هاشم النعمي، تاريخ عسير ، ص ص ٩٨ ـ ٩٩ .

(٧٤) يلاحظ هنا أن الشريف يصف جيشه بالمنصور،وفي الوقت ذاته يصف من يدافعون عن أنفسهم وأرضيهم بالأشقياء،والثوار، وهنا تكون المفارقة العجيبة.

(٧٥) ألمع الشام : أي قبائل رجال ألمع الشمالية ، وهناك ألمع اليمن : أي قبائل رجال ألمع الجنوبية . وتفصلها عقبة (رز) ، وأبرز مدن ألمع الشام الشعبين وألمع اليمن أو الجنوب بلدة رُجال . يحيى الألمعي ، رحلات في عسير ، ص ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٧٦) أوردها باسم شعبين والصواب الشعبين ،وهو ما أثبتناه في النص،وهي حاضرة رجال ألمع في الوقت الحاضر ، تبعد عن مدينة أبها غربًا بحوالي ٥٠كم ، وتفصلها عن بلدة رُجال حاضرة ألمع في الماضي عقبة (رز) . وقد ذكر الشيخ هاشم النعمي أن تأسيسها يعود إلى سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧٠م ، إبان احتلال محمد رديف باشا لعسير في عهد الأمير محمد بن عائض ، ونقل عنه الحربي. والصحيح أن هذا الكلام غير دقيق؛ بدليل وجود اسم الشعبين في تقرير الشريف محمد بن عون موضوع هذه الدراسة ، وذلك سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م ، أي قبل التاريخ الذي أورده النعمي بخمس وثلاثين سنة، وأجزم أنها موجودة قبل هذا التاريخ بكثير فهي قاعدة لقبيلة بني قطبة ، ومن المؤكد أن هناك الكثير من الوثائق التي تعطينا صورة واضحة عن قِدَم تلك البلدة التي أصبحت مدينة كبيرة وحاضرة لقبائل رجال ألمع .انظر هاشم النعمي، تاريخ عسير ، ص ص ٢٧ـ ٢٨؛ وعلي الحربي، المعجم الجغرافي ـ عسير، ج٢ ، ص ص٩٠٦ ـ ٩٠٨.

(٧٧) في الأصل المُترجَم وقصدت (إلى) السودة ، وقد حذفت(إلى)من النص حتى تستقيم العبارة .

(٧٨) في الأصل المُترجم عشرة رهائن .

(٧٩) في الأصل المُترجم سنة ٢٥١.

(٨٠) يُنسب الشريف سلطان بن شرف إلى الأشراف آل حازم الذين يُنسَبون إلى حازم بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن الحسن بن محمد بن أبو نمي الثاني. ويسكنون في تربة . الحسني ، محمد بن علي : العقود اللؤلؤية في بعض الأسر الحسنية الهاشمية بالمملكة العربية السعودية ، ط٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، ص ٢٧٣ .

(٨١) خميس مشيط : تقع إلى الشرق من مدينة أبها وتبعد عنها قرابة ٢٥كم تقريبًا ، وسميت على وجه التخصيص على السوق المعروف بخميس مشيط ، نسبة إلى مشيط بن سالم جد الأسرة التي تتوارث مشيخة قبيلة شهران . وهو على العموم يُطلق على عدة قرى تقع على ضفتي ملتقى وادي عتود ووادي بيشة أراشة . انظر هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ٢٨ ؛ وعلي الحربي ، المعجم الجغرافي - عسير ، ج٢ ، ص ص ٦٣٠ - ٦٣٤ ؛ وآل طالع ، قبيلة شهران ، ص١١٦ .

(٨٢) ملتقى وادي عتود مع وادي بيشة أراشة يسمى وادي شهران ،هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص٢٨ .

(٨٣) سبق التعريف ببلاد رفيدة،وهي رفيدة قحطان ، ولكن لم أعثر على ترجمة لشخص منهم يُدعى أبومدرة ، وقد ورد باسم أبو مدره .

(٨٤) أورده باسم شعف والصواب الشعف ،وهو ما أثبتناه في النص، وهو المعروف بشعف أراشة ، أو شهران ، وهو في المنطقة الواقعة إلى الجنوب الغربي من أبها بحوالي ٢٥كم تقريبًا ، ومن أبرز قراه المسقي ، وتمنية بقراها المتعددة ، وآل قزع، وآل فرحان ، والقرعاء، والدحيض ، والقلت ، والرهوة، والبُهيَمة ، والجرور. انظر آل طالع ، قبيلة شهران ، ص ص ٩٣ - ٩٨ .

(٨٥) أوردها باسم المناظرة والصواب مناظر، وهو ما أثبتناه في النص، أحد أبرز أحياء مدينة أبها حاليًا ، كانت قرية من قرى وادي أبها قبل العهد السعودي ، ومن قراها بالإضافة إلى مناظر ، نعمان ، والمفتاحة ، والقرى ، والربوع والخشع ، والنُصب، والقابل ، وهي الآن أحياء لمدينة أبها حاضرة عسير . وقد اتخذها الأمير علي بن مجثل أمير عسير في الفترة من ١٢٤٢- ١٢٤٩هـ/١٨٢٦- ١٨٣٣م ، عاصمة له . انظر هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص٢١ ؛ وعسيري ، علي أحمد عمر ، أبها في التاريخ والأدب ، مطبوعات نادي أبها الأدبي ، ط١٤٠٣،١/١٩٨٣م،ص ص ٣٢ - ٣٤ .

(٨٦) ورد في الترجمة فلم تقدموا له الطاعة،والصحيح لم يقدموا له الطاعة، وهو ما أثبتناه في النص.

(٧٨) ورد في الترجمة بـ قد أقيم بها،والصحيح أقام بها،وهو ما أثبتناه في النص .

(٨٨) ما بين المعكوفان زيادة من الباحث بهدف التوضيح،وسنة ١٢٥١هـ توافق ١٨٣٥م.

(٨٩) أوردها باسم عزيزة والصواب العزيزة،وهو ما أثبتناه في النص،والعزيزة بفتح العين وكسر الزاي فباء ساكنة وزاء مفتوحة معجمة فهاء، من قرى بني مغيد ، تقع في السفح الجنوبي الشرقي لجبل تهلل بسودة عسير ، وإلى الجنوب الشرقي من السقا مقر آل عائض بحوالي ٤كم . علي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير ، جـ٣ ، ص ص ١١٦٩ ـ ١١٧٠ .

(٩٠) المعكوفان من وضع المُترجِم،وقد أبقيتها كما هي.

(٩١) ورد في الُترجمة باقدام ، والصحيح ما أثبتناه في النص.

(٩٢) ريَدة بفتح الراء وسكون الياء وفتح الدال : تقع غرب السقا في جهات تهامة عسير وينحدر النازل لها عن طريق عقبة تحمل اسم البلدة نفسها ، وهي مشتى لآل عائض وملجأً لهم في وقت الحروب العصبية ، وبها العديد من القصور الأثرية . علي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير، ج٢ ، ص ص٧٦٢ ـ ٧٦٥.

(٩٣) ورد في الُترجمة بقوله : ولإجابة لطلب،والصحيح ما أثبتناه في النص.

(٩٤) طامي من أسرة آل المتحمي من قبيلة ربيعة ورفيدة ، لم أعثر له على ترجمة وافية، ولكن كما هو واضح أنه من قادة الشريف محمد بن عون في تلك الحرب بحكم صلة القرابة التي تربطه بدوسري أبو نقطة .

(٩٥) القُلَّة : بضم القاف ولام مشددة مفتوحة ، اسم قرية من قرى رجال ألمع تقع في حورة قيس في أعلى جبل قيس،وتُعرف بقُلَّة آل عبدالمتعالي. علي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير ، ج٣ ، ص ١٣٦٤ .

(٩٦) يعُد الشريف دفاع أهالي عسير عن أعراضهم وأرضيهم خيانة له ولمحمد علي باشا . والسؤال الذي يطرح نفسه، ماذا يُسمي الشريف قيامه بقتل وأسر الرجال، وهدم القلاع والحصون ، وإتلاف المزروعات التي يقتات منها السكان ، ومحاولة إخضاعهم بالقوة ؟.

(٩٧) وردت في الترجمة ، وبجماعته التي وضعت كلهم، والصحيح ما أثبتناه في النص.

(٩٨) تقع بلاد بني جونة وهم قبيلة من قبائل رجال ألمع من بني بكر بن وائل في أعالي جبل قيس ويسكن معهم هذا الجبل بنو قيس وبني بكر ، ويقع هذا الجبل الشامخ بين وادي كِسان ووادي حِسوة من رجال ألمع . هاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص٦٣ .

(٩٩) ما بين المعكوفان زيادة من الباحث بهد ف التوضيح ، و سنة ١٢٥١هـ توافق ١٨٣٥م.

(١٠٠) ما بين المعكوفان زيادة من الباحث بهد ف التوضيح ، و سنة ١٢٥١هـ توافق ١٨٣٥م.

(١٠١) في الأصل السالفات،والصحيح ما أثبتناه في النص .

(١٠٢) من الواضح أن أهالي رجال ألمع ألحقوا هزيمة فادحة بقوات الشريف، وكان ذلك سببًا كما ذكر الشريف لتراجع القوات
المتبقية في رجال ألمع وانسحابها إلى محائل.

(١٠٣) أي بعثوا بأخبار انتصارهم .

(١٠٤) أي أن أهالي رجال ألمع أبلغوا الأمير عائض بانتصارهم على الحملة التي مع طامي المتحمي في القُلَّة، وهزيمتهم لإبراهيم باشا في الشعبين مما دعاه إلى الفرار والهروب إلى محائل . والبشارة في عسير معروفة،وهي في هذا المكان بشرى النصر والظفر، وهو موحش بالنسبة للشريف محمد بن عون لا لأهالي عسير ورجال ألمع الذين انتصروا .

(١٠٥) يقصد بلاد ربيعة ورفيدة التي تعبر منها المؤن من محائل عسير .

(١٠٦) المعكوفان للتوضيح،وهي من وضع المُترجِم .

(١٠٧) تعمد أهالي عسير إيصال الخبر إلى من انضم لقوات الشريف محمد بن عون من قبائل منطقة عسير الذين يقاتلون في صفوف قواته إما طمعًا في الكسب أو لخوفهم من بطش تلك القوات وإما ولاءً لبعض المشائخ المرافقين لتلك الحملة.

(١٠٨) وردت في الترجمة سيئو،والصحيح ما أثبتناه في النص.
(١٠٩) وردت في الترجمة ظهرت والصحيح ما أثبتناه في النص.
(١١٠) وردت في الترجمة زاحفة،والصحيح ما أثبتناه في النص.
(١١١) وردت في الترجمة ثلثمائة،والصحيح ما أثبتناه في النص.
(١١٢) وردت في الترجمة أخرى،والصحيح ما أثبتناه في النص.
(١١٣) أوردها باسم نجاد والصواب النجاد،وهو ما أثبتناه في النص. والنجاد كما وردت عند ياقوت هي قِفاف الأرض وصلابها وما غلظ منها وأشرف . والنجاد من قرى بني ثوعة من ربيعة ورفيدة على جانب وادي تيَّه شرق مدينة = محائل عسير . وهي المقصودة هنا،وهناك نجاد علكم بالقرب من السودة ، وهناك نجاد آل محابس من بني رافع . انظر علي الحربي ، المعجم الجغرافي ـ عسير ، ج٣ ، ص ١٥٧٢ .
(١١٤) وردت في الترجمة اذن ،والصحيح ما أثبتناه في النص.
(١١٥) وردت في الترجمة ايضا ،والصحيح ما أثبتناه في النص.
(١١٦) بعد أن انتشر خبر ثورة أهالي عسير وانتصار رجال ألمع في القُلَّة والشعبين تحرك الأمير عائض بن مرعي،وقام بتوزيع قواته في عدة مواقع وأعلن الثورة ، وفي الوقت ذاته تخلى رجال قبائل منطقة عسير المرافقين لقوات الشريف محمد بن عون عنه وانقلبوا عليه وصوبوا بنادقهم ضد الجيش المحتل. وهو ما يصِفه الشريف بالخيانة،وهذا غير دقيق،فهم رجعوا إلى إخوتهم وأهاليهم وانضموا إليهم للدفاع عن أراضيهم وممتلكاتهم .
(١١٧) كان الأمير عائض بن مرعي قد قسَّم قواته إلى عدة أقسام وعمل خطة عسكرية محكمة تمثلت في الهجوم على القوات المصرية الحجازية من عدة أماكن في وقت متزامن ، وركّز هجماته في الأماكن التالية :
١ ـ السقا : مقر الإمارة .
٢ ـ المقضاء أو المقضى : ويقع على بعد ١كم في الاتجاه الشرقي من السقا .
٣ ـ الحفير : ويبعد ٣كم تقريبًا في الجنوب الغربي من السقا .

٤ ـ العزيزة : وتقع على بعد ٤كم جنوب شرق السقا . ويبدو أن هذه الجهات الأربع هي ما قصدها الشريف محمد بن عون،أما الخطة كاملة التي رسمها الأمير عائض بن مرعي،فكانت الثورة عبر تسعة مواقع؛ فبالإضافة إلى الأربعة سالفة الذكر في عسير السراة،هناك خمسة مواقع في تهامة ورجال ألمع وهي كالآتي: ـ

١ ـ ريدة : في الأغوار الغربية من السقا .

٢ ـ الشعبين ، في رجال ألمع .

٣ ـ كِسان ، يقع وادي كِسان خلف عقبة رز من الجنوب على بعد بضعة كيلومترات من الشعبين .

٤ ـ المرار : يقع خلف قمة (القُلَّة) أو الشرفة في جبل قيس المُطلة على الشعبين،وتُعرف بقُلة آل عبدالمتعالي.

٥ ـ حضحض ، جبل شاهق في رجال ألمع يقع بين عرمرم ووادي ريم . انظر ابن مسفر ، أخبار عسير ، ص ٩٧ ؛ وهاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(١١٨) الشريف هزاع بن عون أخ الشريف محمد بن عون كان مرافقًا لأخيه الشريف محمد عندما كان أميرًا على عسير بعد سقوط إمارة آل المتحمي سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م ؛ وكان ينوب عن أخيه الشريف محمد في الإمارة أثناء غيابه ، وقد تزوج الشريف هزاع بن عون من أخت الأمير سعيد بن مسلط، حليمة بنت مسلط، وكانت من أفضل النساء وأرجحهن عقلاً ورزانة،وذلك قبل أن يثور عليهم الأمير سعيد بن مسلط بعد الخلاف الذي حدث بينه وبين الشريف محمد بن عون.انظر ابن مسفر ، أخبار عسير ، ص ص ٧٩ ـ ٨٠ ؛ وهاشم النعمي ، تاريخ عسير ، ص ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ . وها هو الشريف هزاع يعود إلى عسير مرافقًا وقائدًا في الحملة التي يقودها أخيه الشريف محمد سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م.

(١١٩) الاستفهام من وضع المُترجِم ولعله يتساءل عن تلك الجهة، وقد سبق التعريف بها .

(١٢٠) لا توجد عقبة في عسير تحمل هذا الاسم ، ومن خلال تتبع سير الحملة أُرجِّح أن يكون المقصود عقبة سنان،نسبة إلى القائد التركي سنان آغا الذي قُتل فيها على يد القوات العسيرية سنة ١٢٣٣/١٨١٨م. هاشم النعمي ، تاريخ عسير، ص ص ١٨٦ –١٨٧. والعقبة تنحدر من جهات بني شهر غربًا بطول ١١كم تقريبًا حتى تصب في وادي خاط بتهامة
بني شهر بمحافظة المجاردة .علي الحربي المعجم الجغرافي– عسير، ج ٣، ص ١١٩٢.

(١٢١) وردت في الترجمة المناضر،والصحيح مناظر، والمقصود وصل أبها .

(١٢٢) وردت في الترجمة غادرو، والصحيح ما أثبتناه في النص.

(١٢٣) أي أهالي ربيعة ورفيدة من عسير وهم ممن انضموا مع الشريف محمد بن عون نظرًا لوجود دوسري بن عبدالوهاب أبو نقطة المتحمي كقائد من قادة تلك الحملة التي أرسلهم محمد علي باشا . والشريف يعُد ذلك خيانة له ، والواقع يقول أنهم تخلوا عنه وانضموا إلى قوات الأمير عائض بن مرعي للدفاع عن أرضهم ، وإن كان ذلك في وقت متأخر كما نلاحظ ؛ إذ أنهم لم يتخلوا عن الشريف محمد إلا عند انسحابه من عسير.

(١٢٤) ما بين المعكوفان إضافة من الباحث حتى تستقيم العبارة .

(١٢٥) كلمة غير واضحة،وهي قريبة في رسم الحرف من كلمة قمنا أو تمكنا.

(١٢٦) ورد في باسم ريس والصواب الرَّيش،وهو ما أثبتناه في النص،والرّيش،بفتح الراء المشددة وسكون الياء فشين معجمة.والرّيش إحدى قبائل تهامة عسير التهامية يسكنون عدة قرى تقع على ضفاف وادي الرّيش ، وأكبر تلك القرى الرّيش، وتقع في الشمال الشرقي من محائل.وسوف يتم التصحيح في المتن دون الإشارة لذلك لاحقًا. علي الحربي، المعجم الجغرافي ـ عسير ، ج٢ ، ص ص ٧٦٥ ـ ٧٦٦ .

(١٢٧) وردت في النص قوز والصحيح قوز أبا العير ،وهو ما أثبتناه في النص،ويقع إلى الجنوب من القنفذة بحوالي ٣٠كم ، على ضفة وادي يبَّه الشمالية ، وهي قاعدة يبَّه . البلادي ، عاتق ين غيث ، بين مكة واليمن ـ رحلات ومشاهدات ، ط١ ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص ١٦٢ .

(١٢٨) أم الجرم : تقع شمال شرق القنفذة،وتبعد عنها حوالي ٤كم ، وقد كانت أم الجرم من موارد المياه التي يستقي منها أهل القنفذة . البلادي ، بين مكة واليمن ، ص١٤٣ .

(١٢٩) نهر القنفذة أي وادي القنفذة ،وهو ما أثبتناه في النص،وهو وادي قنوناء ، البلادي ، بين مكة واليمن ، ص ص ١٣٩ ـ ١٤٦، ومن المعروف أنه لا توجد في الجزيرة العربية أنهار .

(١٣٠) وردت في الترجمة ثلثمائة ، والصحيح ما أثبتناه في النص.

(١٣١) المقصود بالمنشورات هي التعليمات التي بعثها إلى أهل الحجاز ، ولكن هل هي للتحذير أم لطلب الدعم أم ماذا ؟.

(١٣٢) يقصد الأشراف بمكة المكرمة .

(١٣٣) أي رسائل تهديد وتخويف لهم على مواقفهم من الحملة المصرية الشريفية ، ووقوفهم مع الأمير عسير عائض بن مرعي للدفاع عن أراضيهم .

(١٣٤) يحاول الشريف التعرف على أخبار عسير ببث جواسيس وذلك لمعرفة أخبارها وأوضاعها العسكرية والاقتصادية ،حتى يتخذ التدابير اللازمة خلال الحملات القادمة، ولكن محمد علي لم يمكنه من ذلك حيث استدعاه والي مصر مع أحمد باشا كما ذُكر سابقًا،وأعاد أحمد باشا بعد أن وعده أن يسيطر على عسير خلال ثلاثة أشهر،وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

(١٣٥) وردت في الترجمة هانذا،والصحيح ما أثبتناه في النص.

(١٣٦) الختم واضح على الورقة الأصلية والمكتوبة باللغة التركية . انظر الملاحق .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- الوثائق :

١. عبدالرحيم ،عبدالرحمن عبدالرحيم: من وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث ،٧ أجزاء، دار الكتاب الجامعي، ١٤٢هـ/٢٠٠١م.

ثانياً- المصادر والمراجع :

١ ـ الأسمري ، محمد بن عوضة بن رداد : الأوس بن الحجر ـ باللسمر حاليًا ديارهم وتاريخهم وأخبارهم في الجاهلية والإسلام، ط١ ، لم يذكر الناشر ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٢ ـ الألمعي ، يحيى بن إبراهيم : رحلات في عسير ، ج١ ، مطابع دار الأصفهاني وشركائه ، جدة ، بدون تاريخ.

٣ ـ ابن بشر ، عثمان بن عبدالله : عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، جزءان ، ط٢ ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٤ ـ البلادي ، عاتق ين غيث ، بين مكة واليمن ـ رحلات ومشاهدات ، ط١، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٥ ـ تاميزيه ، موريس : رحلة في بلاد العرب ـ الحملة المصرية على عسير ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م ، ط١ ، ترجمة وتعليق محمد بن عبدالله آل زلفة ، مطابع الشريف ، الرياض ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٦ ــ التونجي، محمد: المعجم الذهبي (فرهنگ طلائي) ط١،دار العلم للملايين ، بيروت ، آذار ١٩٦٩م.

٧ ـ الجبرتي ، عبدالرحمن : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ،٤ أجزاء، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ.

٨ ـ الحربي ، علي إبراهيم : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ منطقة عسير ، ج١، مؤسسة خليفة للطباعة، بيروت ، لبنان ، ١٧ ـ ١٤١٨هـ .

٩ ـ الحسني ، محمد بن علي : العقود اللؤلؤية في بعض الأسر الحسنية الهاشمية بالمملكة العربية السعودية ، ط٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٠ ـ دحلان، أحمد زيني : أمراء البلد الحرام ، الدار المتحدة للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، (د. ت . ط).

١١ ـ الرافعي ، عبدالرحمن: عصر محمد علي ، ط٥ ، دار المعارف، القاهرة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٢ ـ الرجبي ، خليل بن أحمد : تاريخ الوزير محمد علي باشا ، تحقيق دانيال كريسيليوس وحمزة عبدالعزيز بدر وحسام الدين إسماعيل ، ط١، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٣ ـ رواه ، عبدالفتاح حسين: جداول أمراء البلد الحرام ، ط١، مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٤ ـ================ : تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام، مكتبة المعارف ، الطائف ، (د. ت .ط).

١٥ ـ آل زلفة ، محمد بن عبدالله : دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتأثيرها على مقاومة بلاد عسير ضد الحكم العثماني ـ المصري من عام ١٢٢٦ـ ١٢٥٥هـ/١٨١١ـ ١٨٤٠م ، ط١ ، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٦ ـ السباعي ، أحمد : تاريخ مكة ، ج١ ، ط٧ ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٧ ـ ـشاكر، محمود : شبه جزيرة العربـ عسير ، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ـ دمشق ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٨ ـ آل طالع : عبدالكريم عائض : قبيلة شهران بين الماضي والحاضر ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٩ ـ عبدالرحيم ، عبدالرحمن عبدالرحيم : الدولة السعودية الأولى ، ج١ ، ط٥ ، دار الكتاب الجامعي ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٠ ـ==================: محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤ ـ ١٢٥٦هـ/١٨١٩ ـ ١٨٤٠م ، ط٢ ، دار الكتاب الجامعي ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م .

٢١ ـ عسيري ، علي أحمد عيسى : عسير من ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م ـ ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م ـ دراسة تاريخية ، ط١، مطبوعات نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٢ـ عسيري ، علي أحمد عمر: أبها في التاريخ والأدب ، ط١،مطبوعات نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٢٣ ـ آل فائع ، أحمد يحيى : دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها ١٢١٥ـ ١٢٣٣هـ /١٨٠٠ـ ١٨١٨م ، ط١ ، مطابع الحميضي، الرياض ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٤ ـ ابن مسفر، عبدالله : أخبار عسير ، ط١، المكتب الإسلامي ،بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

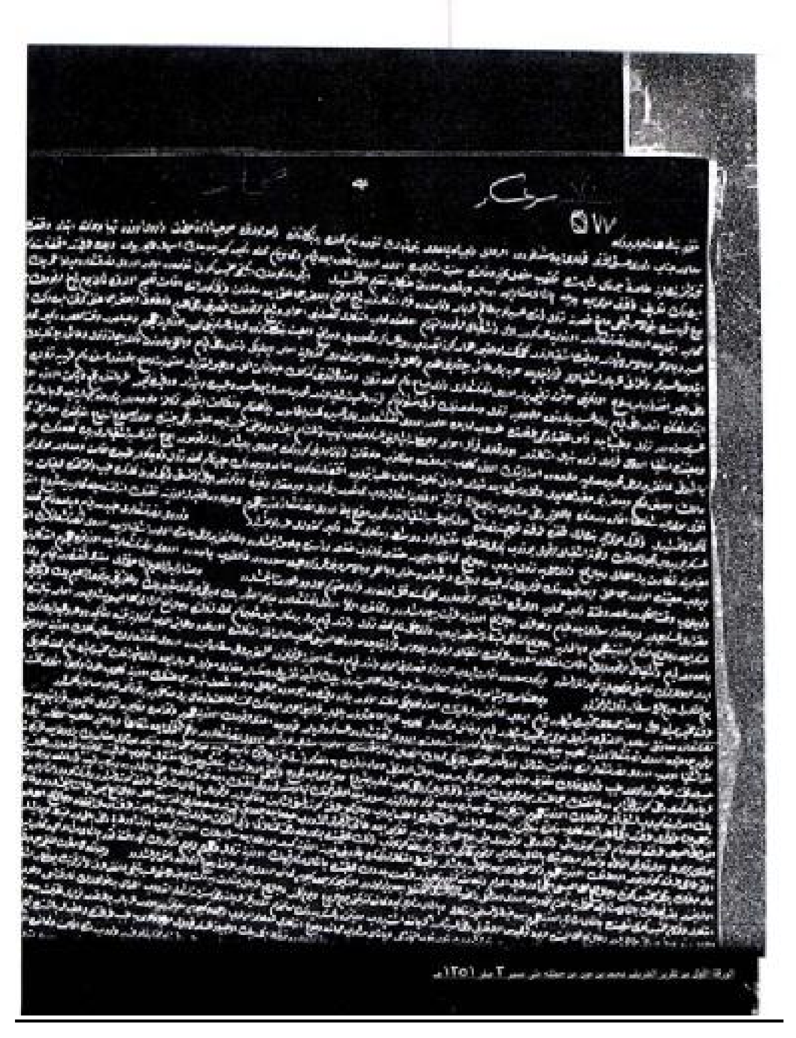
٢٥ ـ النعمي، هاشم بن سعيد : تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

ثالثاً- المقابلات والاتصالات الشخصية :

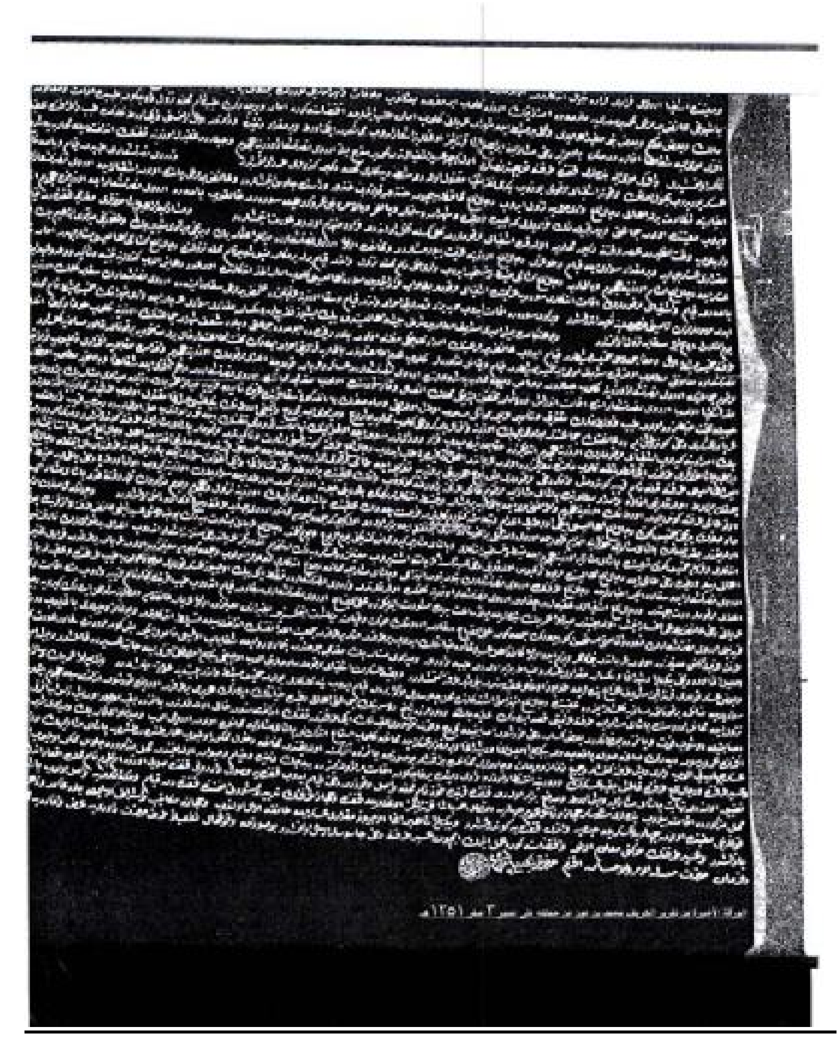
١- اتصال هاتفي مع الأستاذ طراد بن علي الأسمري ، مدير متوسطة باللسمر، ومن المهتمين بالنواحي التاريخية والجغرافية في المنطقة .

٢- اتصال هاتفي مع الأستاذ محمد بن سعيد الأسمري ، مدير مركز التدريب التربوي ببللسمر وبللحمر ، ومن المهتمين بالنواحي التاريخية والجغرافية في المنطقة.

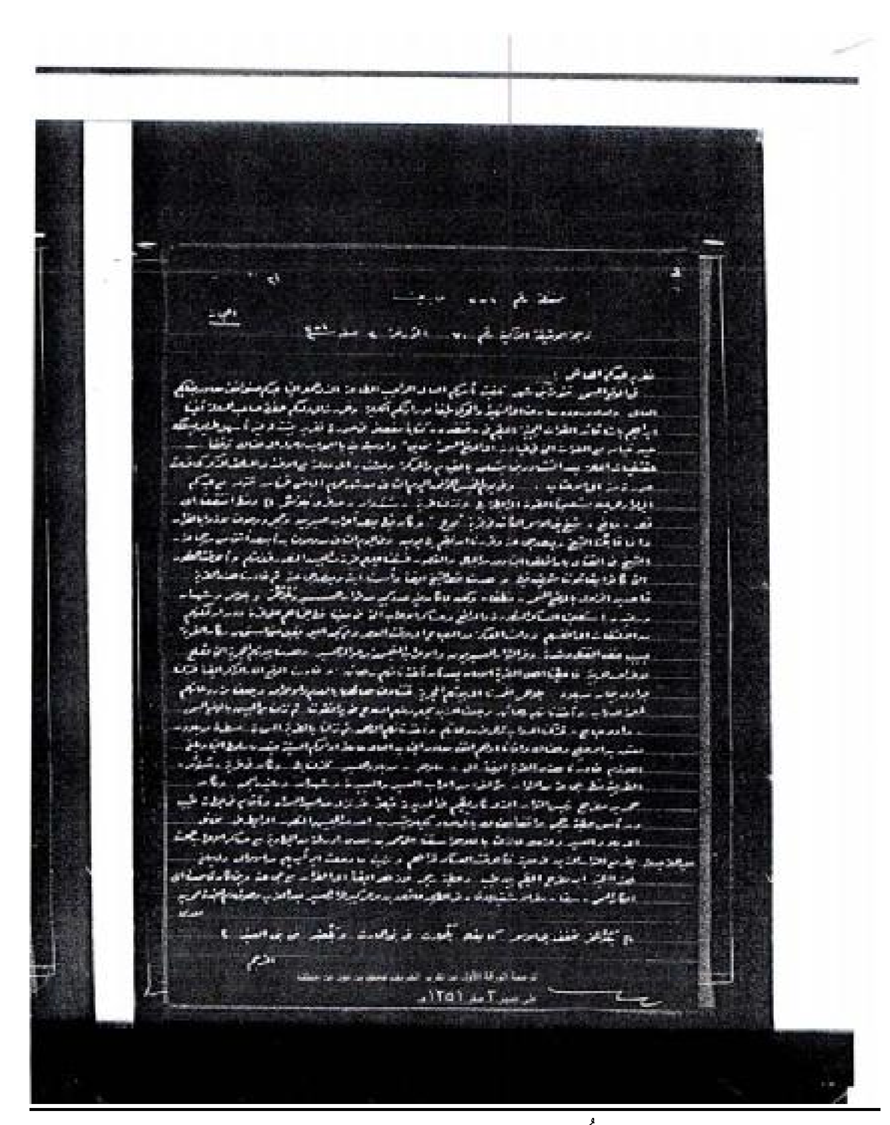
الملحقـــات



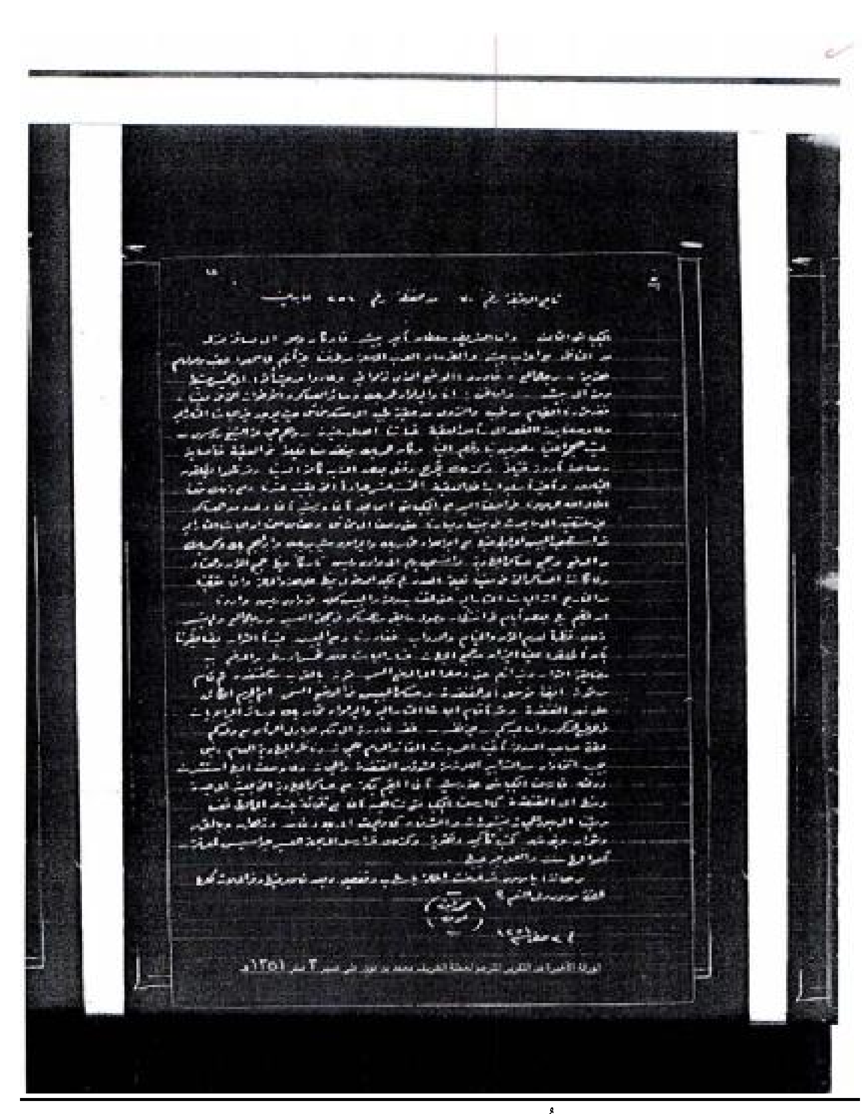
صورة تقرير الشريف محمد بن عون عن حملته على عسير باللغة التركية



صورة تقرير الشريف محمد بن عون عن حملته على عسير باللغة التركية وختمه واضح في آخر التقرير



الورقة الأولى للنص المُترجم لحملة الشريف محمد بن عون على عسير



الورقة الأخيرة من النص المُترجم لحملة الشريف محمد بن عون على عسير

رحلة عبر تهامة وعسير
وجبال الحجاز

بقلم : ويلفرد تسيجر
ترجمة الدكتور عبدالله ناصر الوليعي
أستاذ مساعد بقسم الجغرافيــا

رحلة عبر تهامة وعسير وجبال الحجاز[١]

بقلم : ويلفرد تسيجر[٢]   ترجمة : د. عبدالله ناصر الوليعي[٣]

فى عام ١٩٤٥ وبعد أن قضيت شهرين بين البيوريتانيين المتزمتين جداً[٤] فى نجد مررت سريعاً عبر تهامة فى طريقى من جدة إلى جيزان. ومنذ ذلك الوقت لا زلت أتذكر هؤلاء الناس الطيبين أصحاب الوجوه الباسمة. وفي عام ١٩٤٦م وبعد أن طردني حر الصيف من الربع الخالى عدت مرة أخرى مشتاقاً لرؤية هذا العنصر الطيب.

عندما كنت موظفاً فى وحدة الشرق الأوسط لمكافحة الجراد سافرت خلال شهور أبريل ومايو ويونيو لمسافة ٩٥٠ ميلاً [١٥٢٩ كم] عبر تهامة وعسير وجبال الحجاز بدءاً بالقنفذة حتى حدود اليمن ثم عدت إلى الطائف مروراً بأبها[٥].

بدأت رحلتى من وادى الأحسبة شمال القنفذة وكان معى حارس حكومى، شاب من خدم الشريف، وشابان آخران لقيادة الإبل الأربعة المستأجرة والتى يربط خطام كل منها بذنب الذى قبله على الطريقة المتبعة فى تهامة، ولا يسمح للجمال أن ترعى بل أنها أبداً مكممة بشبكة على شكل كيس [تسمى شمامة] وعبرها يتم إطعام الإبل بوضع الذرة فيها من قبل الراعى وكذلك قصب الذرة والذى يحمل عادة على شكل حزم كبيرة على جنبات الجمل. وتأمين كميات كافية من هذا العلف غالباً ما يكون باهظ الثمن وصعب المنال. وتمتاز الإبل التهامية بأنها تستطيع حمل أحمال ثقيلة ولكنها سرعان ما تصبح ضعيفة ومقعدة عندما تسافر عبر أرض صخرية كما أنها لا تتحمل المشى فوق الصخور. وتروى هذه الجمال عادة مرة فى اليوم ومرتين فى الجو الحار. ويسافر هؤلاء العرب طوال الصيف فى الليل نائمين على الأحمال[٦] على ظهور الجمال التى تتبع طريقها بدون تردد. ومع ذلك فقد رفضت السفر ليلاً رغم ارتفاع درجة

الحرارة نهاراً إذ أن موافقتى كانت ستحرمنى من فرصة المشاهدة والملاحظة والتى لا تتوافر إلا نهاراً.

تتبعت ورفقائي وادى الأحسبة صاعدين حتى المخواة. ويسكن فى هذا السهل الساحلى فخذ العبادلة من الأشراف ولكن طبيعة هذا السهل تتحول من سهل إلى أرض مملوءة بفتات الصخور حيث لا يوجد إلا عدد قليل من القرىٰ وبعض الزراعة. وأمـامنا بعيداً كانت تبدو الحافة الصخرية لجبال الحجاز وقريباً منا توجد قمتا شدا اليمانى وشدا الشامى اللتان تتكونان من حجر الجرانيت وترتفعان إلى حدود ٨٠٠٠ قدماً وهما من معالم عفار. وتتم زراعة البن فى هذه الجبال على الرغم من أنها لا تزرع فى الجبال الرئيسية ناحية الشمال.

المخواة قرية بيوتها مبنية من الحجر ومن طابق واحد وفيها سوق الخميس المهم[٧]. تقع المخواة بين شدا وحافة الجبال حيث تتداخل الأودية والتلال المقطعة والتى تقع على قممها بقايا قرى قديمة جداً وهى فى بلاد بنى عمر وتتبع إدارياً الظفير. وتباع فى سوق الخميس البقر والغنم والماعز وبعض الإبل والحمير إضافة إلى الحبوب والقهوة والملح والأقمشـة والأوانى الخزفية، والحصير، والسلال والحبال، وأحجار الرحىٰ، والخضر، والعسـل، وأعشـاب ذات رائحـة حلوة. ويقوم رجال القبائل من غامد وزهران بزيارة هذا السوق بأعداد كبيرة متوشحين بالخناجر وكما هى العادة فى كل الحجـاز يقـومـون بتطريز ثيابهم الخارجية بأشكال مميزة ذات خطوط حمراء. ويأتى أكثـرهـم مكشـوفـ الـرأس ويقومون بتتويج شعورهم بعصابة من عشب ذا رائحة عطرية، وبعضهم الأخر يلبسون غترة وعقالاً مزخرفاً بخيوط من فضة أو ذهب.

بعد أن غادرنا المخواة سافرنا عبر سفوح الجبال والتى ترتفع حافاتها شديدة الإنحدار إلى ٣٠٠٠ قدماً [٩١٤ متراً] فوق رؤوسنا. وتتبع هذه البلاد قبيلة غامد القوية والتى يسكن معظم أفرادها فى الجبال إلى الشرق من هنا وتتوزع مزارعهم ومساكنهم على طول وادى بطاط والذى حولت ضفافه إلى مصطبات للزراعة والتى يتم سقيها عن طريق الرى من الآبار وبالفيضان عند هطول الأمطار.

فيها وراء بطاط عبرنا رأس قنونه ودخلنا بلاد بلعريان وهى بلاد جرانيتية خصبة محمية بعدد كبير جداً من أبراج المراقبة وعندما وصلنا إلى مركز ثريبان الصغير فى اليوم التالى استمتعنا بضيافة الأمير والذى كان كريماً. وخلال ساعات الصباح الأولى الباردة سافرنا من هنا وسط حشد من القرويين على الحمير والجمال المحملة إلى سوق الثلوث [الثلاثاء] والذى يقع وسط تلال جرانيتية تناثرت على سطوحها جلاميد الصخور على ضفاف وادى يبا والذى يمتلىء بأشجار النخيل بالإضافة ألى محصولات ممتازة من الذرة والسمسم والتى تروى من جريان الماء فى الوادى. وهنا يقع سوق عمارة وهى قبيلة جذابة تشبه عرب تهامة ويلبسون مئزراً قصيراً مع خنجر محزوم فى الأمام ويزينون شعـورهم الطويلة بأعشاب ذات رائحة عطرية يشترونها من السوق. ويلبس عدد قليل من الـرجـال ومعظم النساء قبعات من القش. أما قبعات الرجال فهى لينة وعريضة الحواف وأما قبعات النساء فصلبة وصغيرة الحواف ولها ذروة مرتفعة. وبعد أن عبرنا الجدول كان هناك راع شاب وسيم قد ملأ حدائق النخيل بموسيقى أخاذة من مزماره وبعد ذلك دخلنا أرضاً جرداء ذات صخور نارية وتلال مسننة حيث توجد أشجار الوهط متفرقة وقد كسـتها الزهور رغم أنه لا أوراق لها.

واستمرت هذه الأرض المقفرة حتى وصلنا إلى وادى خاط وأراضى قبيلة حميضة المـزروعة فى بارق(٨). وتشبه قبيلة حميضة العمارة وتعيش فى بيوت مستوية السطوح ومبنية من الحجر بطريقة ممتازة. وتملك هذه القبائل المستوطنة عدداً قليلاً من الجمال وبعض البقـر وقطعان لا بأس بها من الغنم والماعز(٩). ولكنهم فى الغالب فلاحين يزرعون الذرة أو الدخن فى سهول صغيرة تروى بالفيضان أويزرعونها فى مجارى الأودية الغنية بالطمى. وتقع فيها وراءهم بلاد آل جبلى والذين يعيشون على ضفاف وادى جبلى أحد روافد وادى حلى المهمة ولكننى عدلت عن زيارتهم رغبة فى الوصول إلى وادى حلى والـذى كنت تواقـاً لتتبعه ليقودنى إلى الساحل لرؤية عرب تهامة الذين يهمنى أمرهم.

نحن الآن خارج البلاد المزروعة فى بلاد البدو؛ وأعنى بهم قبائل الرعاة والقاطنين فى البلاد المتقطعة فيها بين الجبال والسهل الساحلى وهم يشتغلون برعى قطعان الماعز

بصفة رئيسية ولكنهم يملكون أيضاً بعض الأغنام والبقر وعدد قليل جداً من الإبل. كما أنهم يزرعون رقعاً صغيرة على طول ضفاف الوادى. ولا تستعمل هذه القبائل بيت الشعر؛ الخيمة السوداء المستعملة فى أواسط شبه الجزيرة العربية بل إنها لا ترى غرب جبال الحجاز ولكنهم يسكنون فى ملاجىء صغيرة من الحصير تعرف بالخدر، وأثاثهم الوحيد عبارة عن عدد محدود من الأسرة ذات الأسلاك. وهذه القبائل هي: الطحاحين، ربيعة، أم صيفارة، بنى هلال، المنجحة، وإلى الجنوب من هذه القبائل نجد القسم البدوى من قبائل بنى نهار، وشهران، وقحطان، وخولان، والريث. . . . ويلبس رجال هذه القبائل مئزراً قصيراً ذا لون أخضر أو أزرق، أو خمري أحمر أما النساء فيلبسن قبعة من القش ذات حواف صغيرة ولها ذروة عالية.

وصلنا وادى حلى فى الأرض المعروفة بالحلاوية حيث يوجد جدول صاف يجرى فى بطن الوادى عبر أرض جرداء متقطعة، وعلى ضفتى الجدول نجد أعشاب الحلفا وأجمات صغيرة من أشجار الوهط كالسلم والسمر. وعلى سفوح الجبال ذات الصخور النارية تنمو أشجار الوهط، والراك، ومرخ، والمادها ذات الزهور الحمراء، وأدنة ذات الزهور الجميلة والمحمولة على ساق بشع الشكل، ومرة، وحلبلب، وأشجار الصبر. ورأيت عدداً من الطيور منها: طيور البجع وأبو ملعقة وأبو منجل اللامع والتي تنتشر على طول بطن الوادى والذى تعج مياهه بأسماك صغيرة. كما لاحظت - أيضاً - وجود طيور اللقلق أبو مطرقه، والبلشون الأبيض، ومالك الحزين، وبعض الخرشنة، والدجاج الحبشى، والدراج، وأبو قرن، والشقراق الحبشى، وآكل النحل الأخضر، والتمير المعدنى، والصرد، والمثرثر، والبلبل، والوقواق، وبعض النسور.

يجرى وادى حلى عبر الممر الصغير المدعو حصن الطرفين **Husn al Tarafain** إلى السهل الساحلى الرملى حيث تقع أول قرية وهي قرية السبطة؛ سوق الإربعاء بالنسبة للوادى(١٠) ويقطنها العمور.

تتكون تهامة من سهل ساحلي رملى ضيق يتراوح عرضه ما بين ١٢ إلى ٢٠ ميلاً [١٩ - ٣٢كم] وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: تهامة الشام وتمتد من البرك حتى الليث فى

الشمال، وتهامة عسير وتهامة اليمن. وتتداخل البلاد الصخرية المتقطعة والتى يبلغ إرتفاعها ما بين ٥٠٠ إلى ٤٥٠٠ قدماً [١٥٢ - ١٣٧٢ متراً] بين تهامة الشام وحواف الجبال وتعرف بالعرضى ولكنها جنوب أبها تسمى حباطة وتدعى كل السلسلة الجبلية بما فيها عسير والتى يصل إرتفاعها إلى ٩٠٠٠ قدماً [٢٧٤٣ متراً] بجبال الحجاز. ويشيع بين الأهالى استعمال إصطلاحات شام للشمال ويمن للجنوب وجبلى للشرق وبحرى للغرب ويبدو إستعمالها منتشراً جداً. ويتركز سكان تهامة والمدعوون بالتهاميين بالأودية التى تجرى نحو الساحل كنهايات لأودية الجبال وهم مقيمون وليسوا رحلاً ولا يتصرف الواحد منهم بأرضه خارج قبيلته ولا يبيعها خارج طاعة أولاده إذا كان عنده أولاد والذين يرثون من أبيهم بالتساوى أما البنات فلهن نصف ما يأخذ الولد[١١].

وأهم أودية الشمال هى أودية الليث والدوقه والأحسبة وقنونة، ويبا، وحلى. ويبدو حلى كأعظم هذه الأودية بحوض تصريف يمتد من شرى فى الشمال وحتى طيه Taiya في الجنوب ويعلوه فى العظمة وادى بيش والذى مع عتود وضمد الصغيرين يمثلون أودية تهامة وعسير الرئيسية.

يسمى التهاميون أنفسهم بأسماء الوديان التى يقطنون فيها فمثلا سكان حلى حلوان وسكان يبا يبانه. ويسكن فى الوادى الواحد عدة قبائل ففى وادى حلى تسكن أربع قبائل وهى: علاوينه Alawina وسحاب Sahab وكنانة والعمور؛ وفى وادى يبا تسكن فيه قبائل بنى يالا والنواشره وبللعير والشاردى؛ وفى وادى الأحسبة يسكن فخذ العبادلة من الأشراف[١٢] ولا تدعى هذه القبائل بأنها ترجع إلى أصل واحد ولكنهم يصرحون بأنهم يتحدون تحت علم واحد أثناء الحروب.

ويوجد عدد كبير من الرقيق وخاصة فى تهامة وعسير ولكن أغلبهم الآن أحرار ويملكون أراض. ويهجر الوادى سكانه عندما لا يفيض إلى منطقة أخرى فى تهامة حيث يرحب بهم سكانها ويقوم القادمون بمساعدة سكان المنطقة على الحصاد وبعد انتهاء موسم الحصاد يرجعون إلى واديهم محملين بالحبوب. وإذا حصل العكس بأن سال واديهم فى سنين أخرى فإنهم يستقبلون مضيفيهم السابقين وهكذا.. ويجرى

العمـل بهذا النظام من جيزان إلى الليث ولقد واجهت عائلات قادمة من مشارف صبيـا في القنفذة. ويتكرر تعرض الأودية الصغيرة لسنوات الجفاف بعكس الأودية الكبيرة كحلى وبيش والتى تعتمد على الفيضان المؤكد كل سنة. وفى السنة الماضية تراجعت ضفة الرى الرئيسية فى وادى حلى ونتيجة لذلك فلقد هجر السكان جزء الوادى الذى يقع فوق بيضان وانتقلوا إلى وادى يبا. وقد تحصل الفيضانات فى أى شهر ولكن المعتاد أن تسقط فى الشتاء والخريف ويقوم السكان بحجز المياه وتوزيعها على مساحة كبيرة بواسطة ضفاف تدعى زابر Zabir والتى تستدعى عناية مستديمة. وهذه الفيضانات لا يمكن التحكم فيها وقد تدمر المحصولات الناشئة. والمحصولان الرئيسيان هما الذرة، والتى تزرع فى ترسبات الطمى وتنتج ما بين ثلاث إلى خمس حصدات في البذرة الواحدة(١٣)، والدخن والذى يزرع كمحصول يعتمد على المطر فى الخبت أو الأرض الرملية فيما بين الأودية. وتحصد الذرة أول مرة بعد خمسة أشهر من بذرها ثم بعد ذلك كل شهرين حصدة، أما الدخن فيحصد مرة واحدة بعد ثلاثة أشهر من زراعته. وتعتبر سيقان الذرة وليس الدخن مفيدة جداً كعلف حتى وإن كانت جافة. وعندما ينجح المحصول فى شهرى يوليو وأغسطس يستعمل لهذه الغاية فقط حيث أن الـرياح الحـارة المحرقة فى هذا الفصل تجفف حبوب الذرة. ويزرع السمسم على حافة السهل الفيضـى حيث يزرع - أيضاً - كمية صغيرة من القطن والفاصوليا.

وليس لدى التهـاميين دورة زراعية ويبـذرون غالباً عندما تفيض الأودية وتوجد بعض البساتين الصغيرة حول بعض الآبار حيث يزرع الطماطم و أوبيرجين -Auber gins وإصبع السيدات والقرع والحبحب والشمام السكرى والأعشاب ذات الرائحة الحلوة(١٤). ولا يزرع هنـا البصل والثوم والفلفل الأحمر ولكنها مع الليمون والعنب والمشمش والخوخ والرمان والموز والبطاطس وأعشـاب البرك والعشر تحضر من أسواق الحجاز. ويوجد عدد قليل من أشجار النخيل والتى تنمو غالباً فى وادى يبـا الأعلى وعلى طول الساحل فيما بين عمق والقحمة ولكن معظم التمر المستهلك هنا يصل عن طريق البحر من واحة بيشـة. وينمو نخيل الدوم هنا في أودية تهامة عسير فقط وتصدر

سعفه وأيضاً تباع فى الأسواق المحلية لعمل الحصير والحقائب والسلال والحبال.

ويملك التهاميون عدداً محدوداً من الإبل ومعظمها تملكه القبائل القاطنة شمال القنفـذة ويستعملون البقر فى الحرث وشق قنوات الرى. ولقد أخبرت بأن الرجل الغنى قد يملك مايزيد على ثلاثين أو أربعين بقرة؛ لذلك فمن المؤكد أنهم يملكون أكثر مما شاهدت. وتوجد ـ أيضاً ـ قطعان لا بأس بها من الماعز وبعض الأغنام والتى عموماً تعطى للبدو للمحافظة عيها كما أن رؤية الدجاج حول القرىٰ يعتبر منظراً مألوفاً. ويفضل التهاميون الحمير كمركوب مفضل ويسافرون عليها مسافات طويلة وفى وقت قصير بصورة مدهشة ويستعملونها ـ أيضاً ـ لجلب المياه من الآبار فى أوانى خزفية كبيرة تعلق على الجانبين. ويندر وجود حطب الوقود على الرغم من وجود بعض الأراضى المغطاة بأجمات الراك والأثل فى الأودية كما توجد أشجار السدر فى الحقول والتى تحفظ من أجل ثمرها.

ويعيش هؤلاء العرب فى أكواخ عشبية مستديرة ومبنية بناء حسناً. ويتألف كل كوخ من غرفة واحدة ويبنى كقطعة واحدة على هيكل من الأغصان وبدون عمود مركزى فى معظم الأحيان ويتم طليه من الداخل بالطين والوحل ويسقف بقش بحيث يثبت بمكانه بحبل دقيق. وتكون هذه الأكواخ متقاربة جداً فى القرىٰ، ويحاط بعضها بحـواجـز عالية من أغصان مقطوعة وبعضها الآخر تكون مطوقة داخل زريبة من سيقان الذرة المكومة. ومن المألوف أن ينزل الواحد عن جمله ويسير على قدميه عندما يمر من خلال هذه القرىٰ. وتصنع قدور الطبخ وقدور الماء والأكواب من الفخار المحلى ولونها عادة أحمر. أما طياس الشرب فهى مصنوعة من الخشب، وسفر الطعام والسلال تصنع من نخيل الدوم، ومخمضة الزبدة تصنع من قوقعة القرع. وتعلق كل هذه الأشياء على جدران البيت مربوطة بحبال جلدية. ويستعمل سرير الحبال للنوم والجلوس لأن الأرض تغزى باستمرار بالقرادات (القردان) على الرغم من أن البق والبراغيث لا توجد فى هذه القرىٰ.

ويشرب الأهالى عامة قهوة الزنجبيل[١٥] ودائماً يملأون الفناجيل ويقدم للضيف

فنجانين دفعة واحدة ويصنع الخبز أو العصيد من طحين الذرة فإن عدم فمن طحين الـدخن[١٦] وهي الـطعـام الرئيسى ويؤكل مع زبدة مصفاة. ويشيع ـ أيضاً ـ أكل السمك الجاف والتمر ولكن أكل اللحم يعتبر ترفاً ويندر اللبن. والتهاميون فى تقدير العرب ليسوا أناساً كرماء.

يلبس الرجال بصفة مستديمة مئزراً مع خنجر أو سكين طويلة مربوطة فى الأمام وكذلك من الشائع أن يحملوا سيفاً ذو غمد فضى. ويتم كسوة الأطفال منذ صغرهم ويتمنـطق كل الـذكور بما فيهم الأطفال الصغار حزاماً جلدياً حول الوسط. ولقد حدث مرة أن شابـاً صغـيراً جلس يأكـل معنـا وقـد نسى أن يتمنطق بحزامه بعد إغتساله، ولما انتبه لذلك قام من فوره ورفض إتمام المائدة معنا. ويلبسون ـ أيضا ـ جاكيت صغـير ذو ألـوان زاهية وضيق الأكـمام خاصـة فى أيام الأعياد. وللشبـاب والأطفال شعر طويل يقومون بفرقه من الوسط ودهنه على طول الفرقة بعجينة من لب الحب المسحوق. ويتم تثبيت الشعر الطويل بمكانه بلبس عصابة ضيقة من الجلد قد تزخرف أحياناً بالفضة. وفى أحيان أخرى يلبسون عصابة من الأعشاب ذات الرائحة الحلوة وإلا فيضعون حزمة من الأعشاب تلصق بعصابة الرأس الجلدية.

ويتمتع التهاميون بأجسام نحيلة فى لون القهوة ولهم شعر أسود متموج، ويتمتع الأطفـال والشبـان بجمال صارخ مع ملامح دقيقة وأنوثية. ويبدون مرحين سعداء وخالين من الهموم كما يتميزون بضحكهم وودهم وحبهم للمزاح وسلوكهم لا تكلف فيه لذلك فسلوكهم فى تقدير العرب فظ أخرق حيث أنهم لا يقومون لتحية الغريب كما أنهم يتمددون (يضطجعون) فى الأمكنة العامة بطريقة طبيعية سهلة بلا مبالاة. وحقيقة لاحظت أنهم لا يراعون مشاعر الآخرين ولكنهم ليسوا فظي الطباع.

ويعـانى التهـاميون من مرض المـلاريا ولقد انزعجت من كثرة مرض السفلس (الزهري) والذى معظمه خلقى والذى شاهدت فى وادى حلى. كما لاحظت ـ أيضا ـ وجـود حالات من مرض التراخوما وعدداً قليلاً من القرحة المدارية، وحالة مؤكدة لإلتهاب الزائدة الدودية. وتنتشر هنا الدودة الغينية وفيما بعد رأيت عدة حالات منها حول صبيـا.

عندما وصلت إلى بيضان ، قرية للمشيق، وجدت سكانها مع جيرانهم يحتفلون بالختان والذي له أهمية عظيمة جداً في جميع هذه القبائل وهي الفرصة المتاحة للرقص والذى يستمر من أربع عشرة ليلة إلى شهر. وتجرى هذه العملية للغلمان ما بين ستة عشر وخمسة وعشرين سنة. وفى هذا الإحتفال كان هناك أربعة غلمان فقط يراد ختانهم ولكن فى بعض المرات يوجد ثمانية أو عشرة. ويلبس الأولاد ثياباً مميزة وسراويل تحتية مطرزة بلون أحمر حول الكاحل وهى تلبس تحت تنورة بيضاء كاملة ومحكمة على الوسط بحبل[17]، إضافة إلى جاكيت أحمر لامع. وفى الظهر والليل من كل يوم يجتمع الجمهور والأولاد المراد ختانهم يرقصون على إيقاعات الموسيقى التى يؤديها موسيقيون من الزنوج يستعملون آلات موسيقية تدعى الزلفة وهى طبل كبير يضرب بالأيدي وطبلين صغيرين تدعى زير وهي تضرب بالعصى، ومزمار مزدوج يدعىٰ صفريقه وتتحكم الزلفة فى حركات الرقصة المعقدة وأسلوبها. وأستطيع أن أرى ولدين صغيرين قد انضما للرقص لكى يتعلموا الخطوات وأطفال آخرين يتمرنون بعيداً عن الجمهور، وخلف الجمهور يقع الجيش أو المحاربون يتمايلون فى صف وسيوفهم مسلولة ومرفوعة عالياً وعلى رؤوسهم تيجان من الزهور مع كشف نصف أجسادهم. ويتم هذا الرقص فى ضوء القمر على إيقاعات الطبول الشديدة.

وقد قام الأولاد المراد ختانهم وقبل ميعاد العملية بيومين بالطواف على القرىٰ المجاورة راكبين جملين ومعهم أصدقاؤهم وأمامهم الفرقة الموسيقية. وفي كل قرية من القرى التى مروا بها تناولوا الطعام ورقصوا.

فى يوم العملية إجتمع خلق كثير جداً لمشاهدة الختان وفى آخر النهار وبعد أن رقص الأولاد انسحبوا إلى أكواخهم. وبعد ذلك تم نقلهم على أكتاف رقيق كل واحد بمفرده وقد لبس كل واحد منهم المئزر. وبعد إنزال الولد المراد ختانه تقدم أمام الحشد ضاماً يديه ثم قام رقيقين بإجراء العملية وبعدها تم حمله مرة أخرى على ظهر الرقيق ودار فيه بين الناس المحتشدين وهو يرقص بأكتافه وسواعده على أصوات الموسيقى. وقد احتقر أحدهم أن يركب وقام بتقديم عرض راقص مدهش ولم يقدم أى واحد منهم أية علامة على الألم رغم أن العملية، ولو أنها عدلت بأمر الملك عن سلخ الجلد

فى الماضى القريب، لا تزال تجرى بطريقة عجيبة ومؤلمة[18].

وبعد أن غادرنا وادى حلى فى كياد، والتى تعتبر سوق الأحد الكبير والمستعمل بكثرة بواسطة البدو المجاورين، سرنا عبر إنحناءة الوادى خلال منطقة بنى هلال؛ ورثة السفاح صاحب الإسم الاسطورى وهم يعيشون اليوم فى الأرض البركانية بين محايل وبرك والقحمة. ووفقاً للأعراف المحلية فإن لأبي زيد الحق فى استغلال وادى حلى كما أن قبر ولده عزيز اشتهر بأنه هناك. ومن خصوصيات بنى هلال وحتى وقت قريب اللصوصية وقطع الطريق والقتل وحتى اليوم فإن المسافرين عبر هذا الدرب ينظرون إليهم باحتراس. وعددهم محدود وهم يعيشون حياة بدوية فى هذه المنطقة البركانية.

وفى الماضى حصل ثوران بركانى من جبل شارف Sharif والذى يقع بالقرب منه نواة بركانية محفوظة حفظاً جيداً. ويمتد حقل الحمم البركانية (اللافا)، والذى من خلال نباته يبدو ذا عمر كبير جداً، من هنا وحتى البحر ما بين عمق والركوبه جنوب القحمة ويشمل كذلك حبحب الشيخ قرب برك[19].

عبرنا وادى حلى مرة أخرىٰ قرب محايل وهى سوق سبت مهم وتتبع إدارياً أبها وهى تقع على إرتفاع ١٦٩٠ قدماً [٥١٥ متراً] فوق سطح البحر. وبيوتها، كما هى الحال فى كل قرى العرضى Ardhi ، تتكون من بيوت حجرية ذات دور واحد ويجرى زراعة الأعشاب الحلوة فى قدور فوق السطوح المستوية. ولقد قمنا بتغيير جمالنا هنا لأن الجمال لا تستأجر في هذه المنطقة إذا كان المستأجر سيأخذها بعيداً عن القرىٰ. وبعد ذلك تتبعنا وادى طيه إلى عقبة شعار، وهى الممر الذى يأخذك عبر الحافة الجبلية إلى جبال الحجاز.

ووادى طيه واد غنى وهو مزروع زراعة كثيفة بواسطة فروع بنى ثوار المستوطنين ولقد قام السيل بحفر ما يربو على ٤٠ قدماً [١٢ متراً] عبر ترسبات الغرين والطمي ليصل إلى طبقة الحصباء السفلية، ولكن هناك سلسلة من المجارى والتى تروى جميع المستويات. ويوجد فى الوادى محصولات طيبة من الذرة أرويت من السيل الأخير

حيث أن العواصف الممطرة على الجبال خلال العشرة أيام الأخيرة قد أحضرت كميات كبيرة من الغرين والطمى عبر الوادى. وقمة الوادى العليا لا يزيد عرضها عن ٢٠٠ ياردة [١٨٣ متراً] وهى منطقة حجرية ومحصورة بجبال عالية شديدة التحدر وذات صخور جرداء. إنه منظر مؤثر ومثير للرعب ومهجور إلى أبعد حد وتتخذ الصخور الواقعة حول عقبة شعار لوناً فضياً لماعاً ولافتاً للنظر.

ويوجد على رأس الممر[٢٠]، والذى يعتبر سهل نسبياً، مجموعة من القلاع التركية كما يوجد طريق تركى جيد يربط بين هذا المكان وأبها عبر بلاد بنى مالك. وعسير تتكون من القبائل التالية: بنو مغيث وبنو مالك[٢١] وعلكم وربيعة ورفيده والقبائل الصغيرة مثل عصام ورجال ألمع أسفل السودة. وعلى طول الطريق وفى أودية صغيرة بين تلال صخرية تقع قرى وحقول قمح وشعير وبساتين فواكه. وتبدو البيوت هنا متميزة ومبنية من الطين وبها عدة صفوف من الأحجار الناتئة مثبتة فى النصف العلوى من الجدران وذلك لتمنع التعرية. وتحرس الحقول والمناطق المرتفعة بإقامة عدد من أبراج المراقبة ذات الشكل المربع أو الدائرى وهى تبنى من قطع صخرية كبيرة مرصوفة ومزينة بأربعة أطواق من الكوارتز الأبيض، وبعضها الآخر تتخذ شكلاً دائرياً مستدياً وهى مبنية من الطين مع أو بدون صخور ناتئة[٢٢].

أبها مدينة صغيرة ترتفع عن سطح البحر بحوالى ٧٠٠٠ قدماً [٢١٣٤ متراً] ولقد بنيت حول القلعة وبها عدة محلات تجارية وهى مركز إدارى مهم جداً ويحكمها اليوم تركى السديرى؛ عميد الأسرة المشهورة والتى تدير - أيضاً - جيزان، والقنفذة، وجدة، والجوف، والظهران على الخليج العربى. والسوق فى يوم الثلاثاء وهو فريد بألوانه، وتلبس النساء فى هذا السوق فساتين زاهية الألوان وشيلان ساطعة فوق رؤوسهن. ويجتمع هنا عدد من العرب. تجد هنا رجال القبائل من تهامة، والنجديون بعباءاتهم المصنوعة من وبر الإبل، والبدو القادمون من الصحراء العظمىٰ إلى الشرق، وعرب الجبال والذين يلبسون ثياباً خارجية فضفاضة ومطرزة وتيجان من الأعشاب على رؤوسهم، وزوار من اليمن، وكذلك رقيق من حرس الأمير. وتباع فى هذا السوق وفي زوايا منفصلة الحبوب، والزبد واللبن، والحطب، والملح، والحنا،

والجص (الكلس الأبيض)، والقهـوة، والعسل والتوابل، والقدور الخزفية، وقطع حديدية ومصنعة، والحصير، والسلال والحبال، والأقمشة، وجلود الماعز، والفواكه، والأعشـاب، والأعـلاف، وقليل من الماشية. ويبذر القمح (البر) والشعير فى هذه الجبال فى الشتاء أما الذرة فتبذر فى الصيف.

ولقد وصلت إلى أبها فى الثانى من مايو حيث تبدو معظم الحقول جرداء، وقد بذرت بعض الذرة سلفاً على الرغم من أن القمح والشعير لم يحصدا بعد كلية. وتبدو المنحدرات المزروعة فى كل الأماكن ذات مصاطب وقليل جداً من الحقول تروى من الآبـــار. والفـواكـه التى تزرع فى الحجـاز هى المشمش، والخـوخ، والـبرقـوق، والكمثرى، والتفاح الأخضر الصغير، والعنب، والرمان، والتين، والتين الشوكى، واللوز.

سافرنا من هنا إلى ظهران الجنوب والتى وصلناها بعد أربعة أيام ونصف مررنا خلالها عبر بلاد شهران، وقحطان[٢٣] والتى تقع فيها وراء تمنيـه وهما قبيلتان كبيرتان وقويتان. لقد كان مبهجاً لتسافر عبر هذه الأراضى المرتفعة ذات الجو المنعش المعتدل والقرى المتعاقبة. ويوجد تنوع فى بناء وأشكال البيوت والتى تم بناؤها بشكل عظيم ومن عدة طوابق لغرض الدفاع. وكلها تتمتع بجمال حسن ومتجانس. وتتميز غرف الضيوف بأنها باردة وواسعة وبزخرفة أجزاء جدرانها السفلى بنطاقات خضراء وحمراء وسوداء. ولقد أمضينا أمسيات طويلة وسعيدة هنا حول موقد النار وبين رجال القبائل الذين لم تتسرب إليهم تأثيرات الغرب المتناقضة بعد.

وصلنا إلى ظهران الجنوب فى اليوم التالى لعبورنا ممر كوارى Qawari والذى يرتفع عن سطح البحر ٩١٠٠ قدماً [٢٧٧٤ متراً] وكانت منحدراته تضىء بزهور القابور (يبـر) الذهبية. وفى نصف اليوم الأخير سافرنا عبر صخور بازلتية مقفرة متكونة فوق صخور جرانيتية. وتبدو ظهران الجنوب (٧٥٠٠ قدماً = ٢٢٨٦ متراً) رائعة ببيوتها الضيقة المحتشدة ذات الطوابق المتعددة والتى بنيت على طول وادى عرين Arin حيث يزرع قليل من البن. وتنتشر أمراض العيون هنا بشكل مذهل.

من هنا هبطنا إلى وادى قاع عبر ممر مفتاح الخشبة[٢٤] وهو ممر خطر قيل لنا يتعذر على الجمال سلوكه. وتبدو الجبال وقد كسيت ببساط من الزهور البرية وأشجار العرعر المتفرقة والتى تنمو على قمم الحروف[٢٥]. ولقد قمنا بتتبع الوادى عبر أجمات مدارية حيث يكثر الدجاج الحبشى فى هذه المنطقة، ووصلنا إلى جلة الموت بعد أن قمنا بالدوران حول حافة هضبة مشيط. يقع هذا الموقع المنحوس حيث يلتقى وادى الدفاع مع وادى ضباع فى حوض تحده جبال مرتفعة ويرتفع عن سطح البحر ٣٥٠٠ قدماً [١٠٦٧ مترا]. وقد توفى خمسة وأربعين حارساً حكومياً من تأثير الحمىٰ فى خلال سنتين فى المركز الإدارى الصغير. وفى هذه البلاد البرية والتى يصعب جداً الوصول إليها والمملوءة بالحمى وبين قبائل همجية لم يتحكم فيها إلا أخيراً يعمل أمير وعدد صغير من الحراس على حفظ القانون والنظام مستغلين هيبة ومقام اسم ابن سعود.

ويقطن بدو قحطان إلى الشرق من وادى الدفاع وإلى الغرب منه يوجد الريث والعـزيين وعلى طول حدود اليمن تقع قبائل خولان من آل تليد وبنى مالك وبلغازى[٢٦]. هذه القبائل والتي وجدت أفرادها كرماء تختلف فى المظهر عن بدو العرضى بأن أفرادها يتمتعون بلون فاتح وأنف معقوف وأذقان ملحوظة ويشبهون البدو فى داخل الجزيرة العربية ويلبسون مئزراً قصيراً جداً لا يكاد يسترهم عندما يجلسون القرفصاء ولهم شعور طويلة ولكن الشباب غير المختونين يتميزون بحلق مساحة عريضة من أعلى رؤوسهم ويؤخر ختانهم حتى يبلغون عشرين أو ثلاثين عاماً والتى خلالها ربما يكونون قد تزوجوا وأنجبوا أطفالاً. وهذه القبائل مسلحة تسليحاً جيداً ومعظم بنادقهم إيطالية مصنوعة عام ١٨٨٩م. وهم يعيشون فى ملاجىء (أكشاك) حجرية، دائرية منخفضة وبسيطة ومسقوفة تقريباً بالأعشاب والأغصان وفى وقت الأمطار ينشرون جلوداً مدبوغة فوق السقوف منعاً لتسرب المطر. ويملكون قطعاناً كبيرة من الأغنام والماعز وبعض الأبقار كما يملكون إبلاً أكثر من القبائل الواقعة فى الشمال. وتزرع بعض القهوة وقليل من القمح والذرة والتبغ فى الجبال ولكن على العموم هؤلاء الناس لا يزرعون. وهم يقايضون السمن بالحب والقهوة فى أسواق تهامة وحدود اليمن ويحضرونها على جمال عبر جبال معدومة الطرق وشديدة الإنحدار،

وبـدلاً من أن يستعملوا الشـداد لحمل الحقائب المصنوعة من جلود الماعز يقومون بربطها على ظهر الجمل فوق جلد مطوى.

جبـل فيفا والذى يرتفع ٦٠٠٠ قدماً [١٨٢٩ متراً] فوق سطح البحر يقع على حدود اليمن وقـد حولت منحـدراتـه إلى مدرجات كثيفة لزراعة القهوة، والقات، والموز، والببـو Pawpaws ، والعنب، والقرع ، والخوخ، والتين الشوكى، والذرة، والقمح ، والشعير. وبجانب جبل فيفا يقع جبل بنى مالك والذى يرتفع ٧٠٠٠ قدماً [٢١٣٤ متراً] فوق سطح البحـر وبه ـ أيضاً ـ مدرجات يزرع بها القهوة، والموز، والذرة، والقمح ، والشعير. ويباع القات المحضر من جبل فيفا فى تهامة فى جيزان وصبيـا وأبوعريش ويباع بأسعار مرتفعة جداً ولكنه لا يزرع ولا يؤكل فى أى مكان آخر من تهامة الحجاز أو عسير. وكميات المياه فى كلا الجبلين ليست كافية وفي أيام السوق تباع القربة المصنوعة من جلد الماعز والمملؤة بالماء بأربعة ريالات.

من جلة الموت تتبعنا وادى الدفاع والذى سريعاً ما يغير اسمه إلى بيش. ولقد تعطل سيرنا بشكل مزعج نظراً للفيضانات المستمرة والتى حصلت نتيجة للعواصف الليلية والتى هبت على الجبال حيث أن طريقنا الوحيد يقع فى بطن الوادى. وفى كل يوم كنا نرى قردة السعدان، غالباً فى جماعات كبيرة والأرانب فى كل مكان. كما تنتشر هنا بشكل كبير الذئاب والضباع وأنواع من النمور الصغيرة الفاتحة اللون، والوعول Ibex والتى تألف جروف الجبـال. أمـا الغـزلان فتوجد فى السهل الساحلى فقط. انطلقنا حول جوانب جبل الريث الشرقية والشمالية شديدة الإنحدار حيث الوادى والذى على جانبيه تنتشر أشجار الدوم وهو يلتوى بدون نهاية بين أقدام الجبال الجرداء المسفوعة بحرارة الشمس. وكانت الحرارة مرتفعة جداً والسيل المملؤ بالطمى والذى يصل إلى ركبنا لا يصلح للشرب. وقد غيرنا اتجاهنا نحو الجنوب بعد أن وصلنا السهل بعد حقو Hagu وتسلقنا إلى هروب Harub وكان الجو معتدلاً على سفوح الجبال الواقعة تحت قمم أرض العزيين ومنجد المكللـة بالسحب حيث تزرع القهوة والقمح والشعير على سفوح الجبال أما الموز والببو فتزرع فى الوادى.

فى طريقنا إلى صبيا مررنا بعاصمة الإدريسي المهجورة «صبيا الجديدة» والتى تبدو قصورها المزخرفة وقد تداعت إلى حطام. ويوجد اليوم بعض الإشاعات عن الرجوع إلى هنا حيث أن صبيا بالى تعانى جداً من السيول. وتبدو جميع القرى أكبر من قرى تهامة الشام وهى تغطى المناطق المجاورة والزراعة هنا واسعة. وتزرع أشجار النيلة هنا بشكل كبير ولا يزرع أبداً فى المناطق الواقعة إلى الشمال من هذا المكان ويصنع الصبغ فى أوعية ضخمة فى منطقة آبار القرية.

جيزان، والتى تدار منها تهامة وعسير، تمثل الميناء المحلى فى حين أن القنفذة، والتى تعرف عموماً بالبندر، تخدم شمال تهامة، وكلا المينائين يتحملان فقط الدهو والذى يجرى إدخاله - أيضا - إلى البرك وقحمه. ولقد حضرنا سوق السبت فى أم الخشب فى وادى بيش[٢٧] وهو واحد من أكبر أسواق تهامة. وتصنع الخوذ هنا من سعف نخيل الدوم وهى خصوصية لهذا الجزء ويلبسها الرجال على الرغم من أن الرجال الكبار فى السن يفضلون قبعات مصنوعة من القش وعريضة الحواف.

الآن رجعت الى أبها بواسطة وادى عتود مستعملاً ممر ضلاع السهل وكان الحمام الأخضر كثيراً جداً فى هذا الوادى وأيضاً كانت هناك مجموعة من الطيور منها: الحباك، والرفراف، والكروان، والسبد أو الضوع، والأبلق الرمادى ذو الذيل الداكن أما فى الجبال فينتشر كاسر العظام والذى يهبط بين أقدام الجبال إلى انخفاض قد يصل ٢٠٠٠ قدما [٦١٠ مترا]. وتنمو زهور برية من أنواع متعددة فى الصخور البركانية والتى تمثل الوجه الغربى للجبال وكذلك فى القمة البركانية.

وحيث أن الطريق الجبلى إلى الطائف متعذر على الجمال سلوكه فقد اشتريت ثلاثة حمير من أبها وذلك لأن استئجارها كان سيكلفنا تأخيراً مستمراً. ويمر طريقنا بالنماص وضافر على طول قمم الجبال وكان هناك عدة ممرات كبيرة وحواف تلالية متعاقبة بصفة لاتنتهى وشديدة الإنحدار ولذلك كان الركوب فى هذه الحال يعتبر أمراً مستحيلاً وبدلاً من ذلك قطعنا أكثر من ثلاثة أرباع الطريق إلى الطائف مشياً على الأقدام والذى كان صعباً جداً وأتعب قدماى حيث أن نعالي قد تساقطت قطعاً صغيرة ولم يكن باستطاعتى استبدالها.

تحتوى الجبال فيما وراء عقبة شعار على صخور جرداء ولكن قرب بيحان توجد غابات كثيفة من العرعر. بعد أن سافرت تحت الحافة الجبلية ثم بعد ذلك على قمم الجبال إلى ظهران الجنوب ظننت أن شجر العرعر حول السودة والذى رأيت فى العام الماضى كان حالة شاذة فى جبال جرداء خالية من الأشجار ما عدا بعض أشجار الطلح المتفرقة ولكننى وجدت الآن أنه إلى الشمال من أبها وعلى طول قمم جبال الحجاز توجد مناطق أحراج كثيفة وفى مناطق أخرى تكون هذه الأحراج كثيفة جداً. ومن أشجار هذه الأحراج العرعر، والزيتون البرى والطرفاء، والكاريسا Carissa، والطلح[٢٨].

ويتراوح ارتفاع هذه الجبال فى هذه المنطقة ما بين ٦٥٠٠ و ٩٠٠٠ قدماً [١٩٨١ - ٢٧٤٣ متراً] ونادراً ما يمتد إلى الخلف أكثر من ميل واحد.

ويحجب تهامة ضباب رقيق مستديم وفى بعض الأحيان يكون كثيفاً جداً لدرجة أن الجروف شديدة الإنحدار وعلى ارتفاع ٣٠٠٠ قدماً [٩١٤ متراً] تتلاشى فى فراغ ضبابي، وخلال أشهر الصيف يؤدي هذا التأثير البحرى إلى الحد من الرؤية فى السهل الساحلى إلى أميال قليلة. وفى الصباح تستمر الرياح غربية قوية ولكنها تضمحل عند الغروب وتعاود الكرة من الغد فى الساعة الحادية عشرة ونتيجة لذلك تتناقص الرؤية طوال النهار.

تنحصر النباتات الطبيعية فى المنحدرات الشرقية حيث أن الحافة الجبلية شديدة الإنحدار وصخرية وخالية من التربة الصالحة لنمو أية نباتات ما عدا بعض النمو الهزيل. أشجار الخلنج ليست شائعة ولكن الورود البرية والعليق والياسمين وصريمة الجدى وزهور الربيع والقرنفلى والأنشوصا والسرخس مع الحميض والقراص والنفل تنمو على طول الممرات مع وفرة الصيف الانجليزي بينما الخزامى والسذب تعطر الهواء الدافىء برائحة حلوة. ويوجد عدد قليل من أشجار الصفصاف على طول الأودية قرب الظفير.

وكلما كان ممكناً تحول منحدرات الجبال إلى مصاطب لزراعة محاصيل القمح

والشعير والدخن والذرة وتعتمد هذه المحصولات فى ريها على المطر ما عدا قليل من الحقول المزروعة بالبرسيم الحجازى فتروى من الآبار وذلك برفع الماء فى دلاء جلدية بواسطة الحيوانات التى تستعمل طريقاً منحدراً، وهي الطريقة الوحيدة المتبعة لرفع المياه ولسقيا النباتات فى الحجاز وتهامة. وتشيع زراعة أشجار الكرمة على تعريشة فوق هذه الآبار، وتزرع البطاطس، والطماطم والكوسا حول النماص. والمطر قد يسقط فى أى شهر ولكنه عادة ما ينزل ما بين نوفمبر ويناير أو بين أغسطس وسبتمبر، وكانت هناك آثار مطر عندما مررت بجنوب النماص ولكن إلى الشمال كان هناك بعض رشات المطر القليلة جداً فقط منذ فبراير.

فى شمال عسير توجد قبائل بللسمر، وبللحمر، وبنى شهر حول النماص، وبنى عمرو. وهذه القبائل تعرف مجتمعة برجال الحجر وهم يعيشون فى حصون مبنية من عدة أدوار بكتل من الأحجار الضخمة المصفوفة، والتى تلمع فى بعض الأحيان بطبقة من الجص الأبيض وتزخرف، كما هو شائع فى كل الحجاز. بنماذج من الكوارتز حول النوافذ الصغيرة. وفيما وراء النماص تعيش القبائل عادة فى بيوت ضخمة ذات طابق واحد وقاعات غالباً ذات حجم كبير جداً وسقوفها تعتمد على صفوف من الأعمدة الثقيلة والمأخوذة من شجر العرعر والطلح، ومزخرفة بنماذج محفورة وبقع سوداء. وفى بعض الأحيان يعيشـون فى غرف صغيرة فوق الزرائب والتى معظمها تكون مخفاة خلف حائط أبيض مرتفـع. وفى الجـو الدافىء ينام الناس فوق السطوح لإن البق والبراغيث شائعة فى هذه البيوت الجبلية.

وصلنا إلى النماص فى يوم احتفال بالختان وتكون الاحتفالات داخل هذه القبائل محددة باليوم السابق للعملية والتى تجرى للأولاد بين عشر واثنى عشرة سنة. ولقد جرى إكرام جميع القادمين للاحتفال على عكس الاحتفال فى وادى حلى والذى لايتم فيه توزيع الضيافة. ولقد كان هناك حوالى مائة وخمسين من رجال القبائل مسلحين ببنادق المسكيت Tower muskets والتى لا يجرى تفجيرها بحجر القداحة ولكن عبر لفة من حبل دقيق يحترق ببطء. قام رجال القبائل بالإنقسام إلى أربع مجموعات ثم تدافقوا فى تعاقب سريع ومستمر على أرض فضاء ودبدبة وعليها إندفعوا بسرعة مع

رمى بنادقهم عالياً فى الهواء. وبعد ذلك أفرغوا بنادقهم المحشوة بخرق وأسمال بالية عبر طلقات متتابعة ثم احتشدوا مرة أخرىٰ لحشو بنادقهم بينما دخل الفريق الثانى الميدان مزخرفين بقوارير ملح البارود الفضى وزخارف أخرىٰ ولابسين ملابس كاملة وكانوا يمثلون مشهداً رائعاً يرى من خلال سحب الدخان المتصاعدة. ولقد حضر جمهور كبير جداً غطى الجدران والسطوح المجاورة ولا يكاد يسمع نتيجة للضجة التى لا تنتهى. وفى اليوم التالى جرىٰ ختان الأولاد الثلاثة.

أثناء سفرنا عبر قبائل بلقرن وبنى خثعم دخلنا بلاد غامد والتى مركزها الظفير وهى قرية صغيرة بنيت حول قلعة وتعتبر سوق الثلاثاء والذى منه يمكن الإستمتاع بمنظر رائع لجبل شدا الشامى فى نهاية الوادى. لقد وجدت أن قبيلتى غامد وزهران(٢٩) أكرم قبائل الحجاز بدون منازع. وغالباً جداً يتم إقفال الباب فى [بلاد بعض القبائل] متى ما شعروا بدنو الغرباء ولم تكن هذه العادة لتميز دينى بسبب أننى بلباسى العربى لم أكن متميزاً عن بعد ولأول وهلة يظن أننى مسلم، رغم غرابة هيئتى، حيث سيكون غريباً جداً في هذه البلاد أن تقابل رجلاً من ديانة أخرىٰ. ويدخل الضيوف البيت إذا كان المالك خارجه ويشعرون بأنهم فى بيوتهم وبين القبائل الأكرم لا يغلق الباب أبداً. . . .(٣٠).

وصلنا إلى الطائف فى الرابع والعشرين من يونيو بعد أن قطعنا المسافة من أبها إلى الطائف وهي ٣٠٠ ميلاً [٤٨٣ كم] بستة عشر يوماً متواصلة السفر. لقد وصلنا إلى النماص بعد أربعة أيام من سفرنا واحتجنا ستة أيام أخرىٰ لنصل إلى ضافر وكذلك ستة أيام أخرىٰ لنصل إلى الطائف. من ضافر كان هناك طريقاً للجمال إلى الشرق من هنا يوصل إلىٰ الطائف فى أربعة أيام ونصف ولكنه يستلزم حمل مياه تكفى على الأقل ليومين والتى حملها ليس ضرورياً فى الجبال. لقد سافرنا باجتهاد شديد وكان متوسط سفرنا يومياً هو عشر ساعات وعلى الرغم من أن غذاءنا الرتيب كان خبز بر يغمس فى زبدة مع صحن من التمر أحياناً فإننى حافظت على لياقتى البدنية.

طوال هذه الأشهر الثلاثة ساعدنى جميع الأمراء الذين قابلتهم بكل ما يستطيعون

وأكرمونى بما تشتهر به شبه الجزيرة العربية من كرم الضيافة. لقد سافرت بين هذه القبائل والذين لم يقابلوا أو قابلوا فقط عدداً محدوداً جداً من الأجانب أو المسيحيين وكنت أستقبل استقبالاً حسناً حيث أن المسافر الذى يحمل رخصة من ابن سعود سيضمن أن يستمتع فى كل مكان بالحماية والمساعدة.

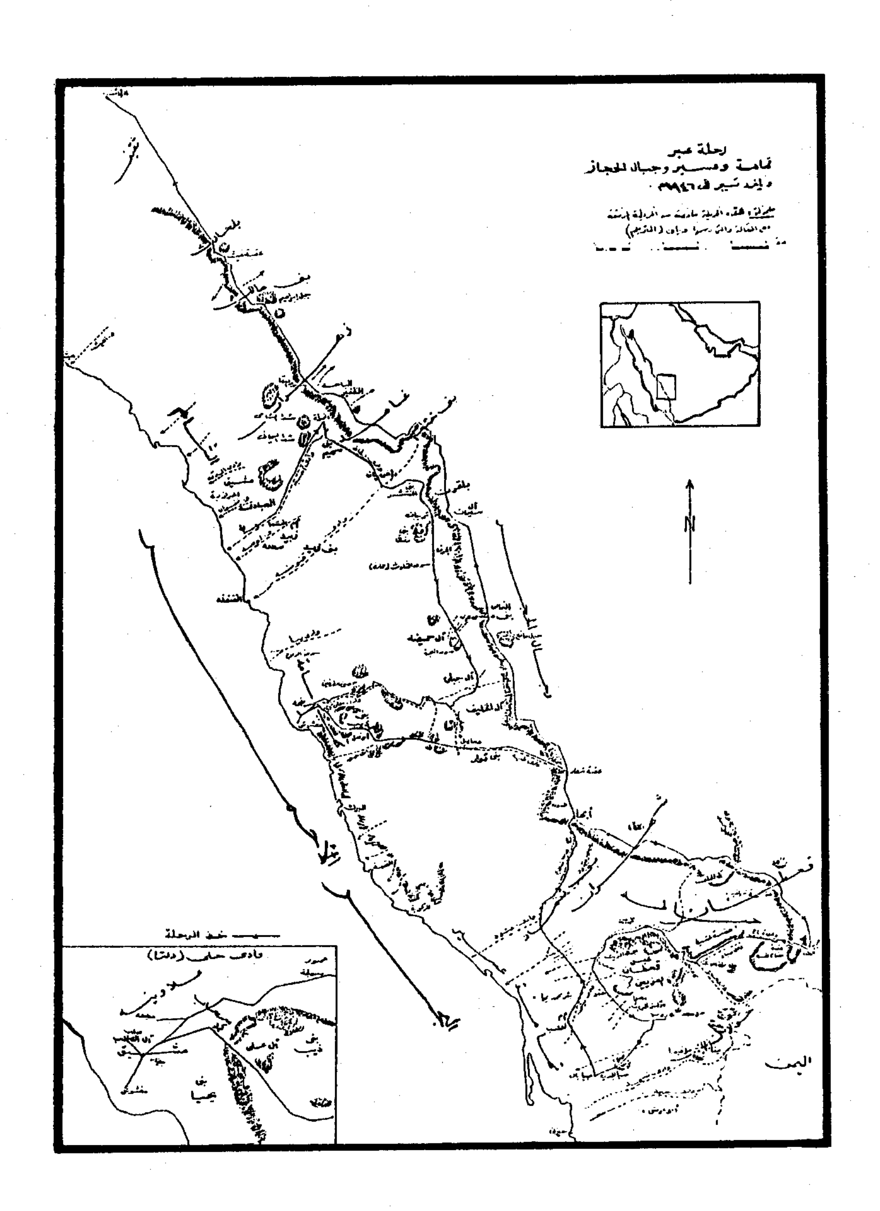
• • •

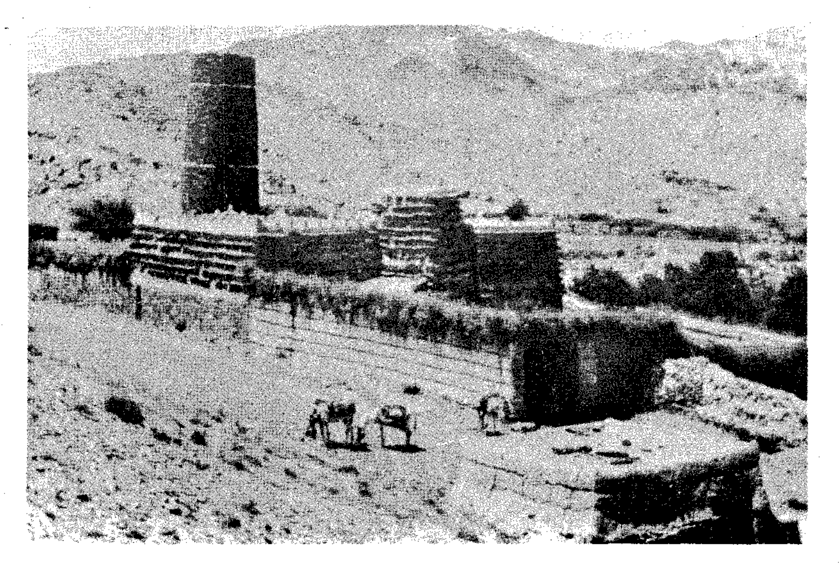
لقد تفضل السيد هـ . ب. فيلبى H. STJ. B. Philby مشكوراً وفحص وصحح عملية كتابة جميع الأسماء العربية بالحروف اللاتينية في هذه المقالة وفي الخريطة. وأنا شاكر ومقدر له خاصة بعد أن رأيت كمية التصحيح التى احتاجتها المقالة. أيضاً أحب أن أشكره على وضعه تحت تصرفى رحلته غير المطبوعة من جيزان إلى الليث وعلى سماحه لى بإدخال أجزاء كبيرة منها في خريطتى.

مجموعة من النباتات والتى جمعتها خلال هذه الرحلة توجد فى المتحف البريطانى (التاريخ الطبيعى).

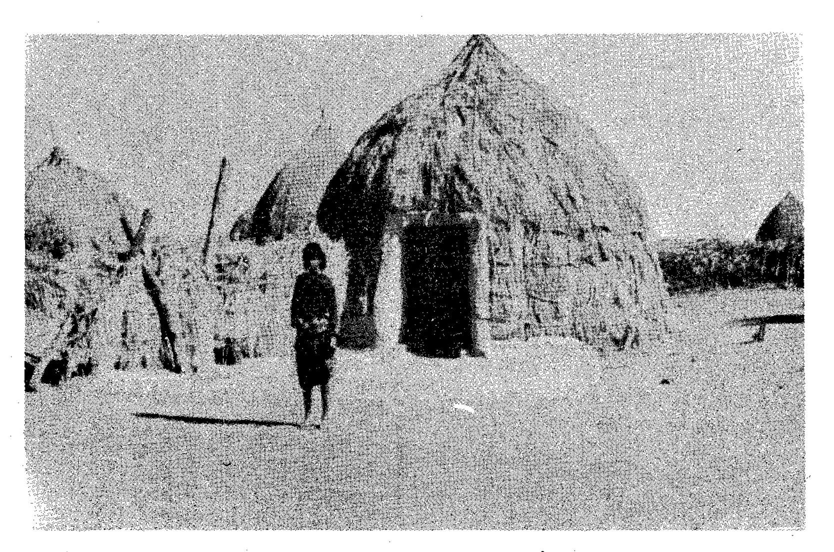
<u>ملحوظة من المترجم:</u>

في آخر المقالة يوجد بيان من راسم الخريطة G. W. Whibley عن كيفية رسمه للخريطة فى حوالى نصف صفحة ويمكن الإطلاع عليه بالرجوع إلى أصل المقالة.

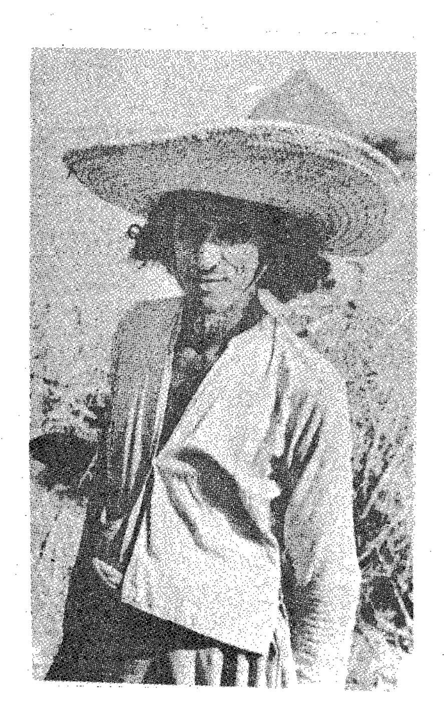

رحلة عبر
تهامة وعسير وجبال الحجاز
ولفرد ثسيجر في ١٩٤٦م .
N
اليمن



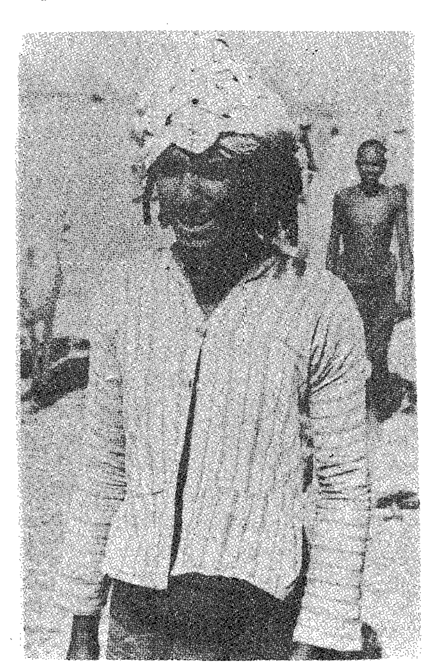
مباني من الطين بها عدة صفوف من الأحجار الناتئة لتمنع التعرية (عسير)

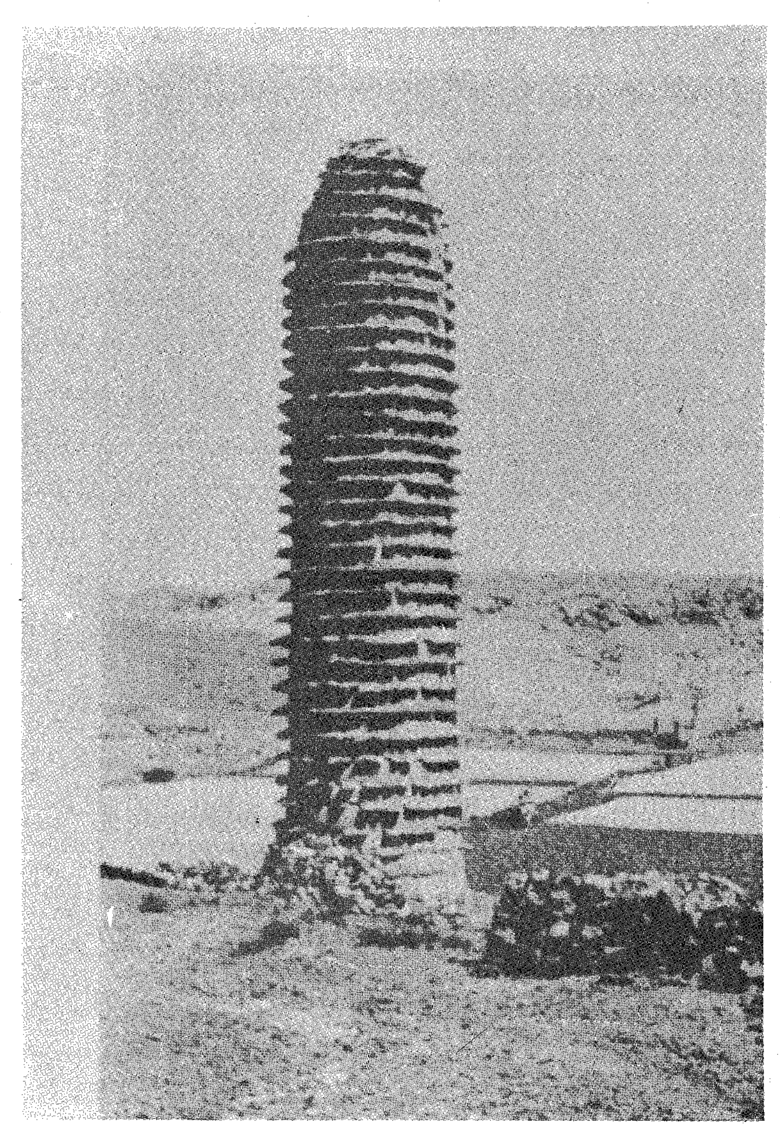


الأكواخ كمساكن في تهامة عسير



يلبس النـاس في تهامـة عسير قبعة مصنوعة من القش أو من سعف النخيل ذات حواف عريضة أو على شكل حوذة تغطي الرأس.





برج طيني مع وجود أحجار ناتئة (بلاد قحطان)

الهوامش

ملحوظة: جميع هذه الهوامش من عمل المؤلف، عدا ما أشير إليه بأنه من عمل المترجم.

(١) Wilfred Thesiger, 1947, (A Journey Through The Tihama, The Asir , and The Hijaz Mountains), The Geographical Journal, 100 : 188-200.

(٢) من كتاب تسيجر Arabian Sands تبدو ترجمته كما يلي:
ولد ويلفرد تسيجر في عام ١٩١٠م في أديس أبابا وهو بريطاني الجنسية وقد درس في جامعتي إيتون Eton واكسفورد Oxford . وفي عام ١٩٣٥م عين في إدارة الشئون السياسية للسودان وعند بداية الحرب انضم إلى قوة الدفاع السودانية وفيها بعد خدم في الحبشة وسوريا ومنذ الحرب العالمية الثانية سافر إلى عدة مناطق منها جنوب شبه الجزيرة العربية وكردستان، وأهوار العراق والهندكوش وكراكورم والمغرب وبلاد الحبشة. وخلال رحلاته كان يستعمل الحيوانات في تنقلاته أو يقطعها ماشياً (المترجم).

(٣) لقد واجهت صعوبة في ضبط أسماء المواقع التي ذكرها تسيجر في رحلته وقد اعتمدت على الكتب التالية في محاولة لذكر الاسم الصحيح:
- علي بن صالح الزهراني، ١٣٩١، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد غامد وزهران، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.
- محمد بن أحمد العقيلي، ١٣٨٩، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: مقاطعة جيزان (المخلاف السليماني)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.
- عمر غرامه العمروي، ١٣٩٩، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد بارق، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة.

وبالإضافة لهذه الكتب فقد اتصلت بعدد من أبناء المناطق التي زارها تسيجر وقد ساعدوني مشكورين في ضبط أسماء المواقع ورغم ذلك فإنني أتوقع وجود بعض الأخطاء والتي سأكون شاكراً لو نبهت إليها. ولقد اثبت كتابة الأسماء بالحروف اللاتينية التي استعملها المؤلف لجميع الأسماء التي لم أتأكد من ضبطها.

(٤) هذا رأي المؤلف الشخصي والذي لا يعبر عن الحقيقة فهو يقصد الملتزمين بالإسلام إلتزاماً دقيقاً (المترجم).

(٥) فى يونيو ويوليو من عام ١٩٤٧م سافرت من القنفذة على جمل عبر الساحل حتى صبيا وجيزان ومن هناك عبرت أبو عريش إلى جبل فيفا ومنه إلى جبل بنى مالك وعبر جبال آل تليد عديمة الطرق إلى ظهران الجنوب. ومن ظهران الجنوب قمت بزيارة نجران ثم أبها وبعض المعلومات التى جمعت خلال الرحلة مذكورة فى المقالة والخريطة إضافة لذلك انظر:

St. J. B. Philby (The Land of Sheba)

والمنشور فى Geographical Journal عدد ٩٢ من عام ١٩٣٨ من صفحة ١ حتى ٢١ وأيضاً من صفحة ١٠٧ إلى ١٣٢، وانظر أيضاً Sheba's Doughters والصادر فى لندن عام ١٩٣٩م.

(٦) يمتد السرج (الشداد) الوحيد المستعمل فى تهامة والمسمى الخيّ على كل ظهر الجمل.

(٧) فيما يلى أسماء الأسواق المجاورة: خميس القنفذة، وجمعة وادى الأحسبة (اليمانى)، وأحد القرماء، وإثنين وادى يابس (غامد)، وثلاثاء بنى عيسى، وأحد وادى الدوقة، وإثنين بنى سهيم، واربعاء بنى بوهير، وخميس بنى منتشر، وأحد عوامر، وسبت شمران، وأحد بنى رزق، وثلاثاء عمارة، وسوق أهل سليمان: الأربعاء فى النخل والخميس فى الجوف.

(٨) فيما يلى أسماء أسواق بارق: إربعاء الحميضة فى العجمة، أحد آل موسىٰ فى القريحاء، جمعة الحميضة فى ثروق، سبت الأصبعى فى شهار، ثلاثاء بللسمر فى المنظر.

(٩) الأغنام من النوع ذو الذنب الأبيض السمين والرأس الأسود أما الماعز فهى سوداء أو بنية أو ملونة جزئياً. وتوجد فى العرضى سلالة من الماعز بنية اللون ولها قرون تشبه قرون المارخور [ماعز جبلى متوحش يعيش بين أفغانستان والهند] أما الغنم فى الحجاز فهى بيضاء والماعز سوداء.

(١٠) أسواق وادى حلى هى: أحد كياد، اثنين المغشوش، اربعاء السبطة، وخميس ربحا. وأسواق وادى يبا هي: ثلاثاء بللعير، اربعاء بنى يالا، جمعة ربيعة، وسبت سواريدة.

(١١) التصرف هنا يقصد به البيع أو التنازل أو المناقلة لقاء بديل، ويقصد تسيجر - وهذا هو الواقع - أن الواحد من هؤلاء لا يبيع أرضه لمشتر من خارج أفراد القبيلة كما لا يبيع أرضه حتى لأحد من القبيلة إلا بعد موافقة أبنائه (المترجم).

(١٢) يسكن وادى لومه Luma قبائل زبيد وسعدة؛ وفى وادى دنقه تسكن قبائل خيارة والمشيق Mushaik وأشراف الحرازية؛ وفى وادى قنونه تسكن قبيلة بنى زيد، وفى وادى ناوان Nawan يسكن بدو الرواشيد؛ وتسكن قبيلة زبيد فى وادى القرماء، وبنى هلال فى وادى عمق.

(١٣) خلال رحلتى عبر تهامة فى عام ١٩٤٧م تأكدت بنفسى من هذه الظاهرة عندما شاهدت

خامس حصدة فى وادى حلى فى شهر يونيو.

(١٤) من الأعشاب ذات الرائحة الحلوة : الريحان ، والشيح ، والشار والقادى Kadi .

(١٥) أيضا يشرب الأهالى فى تهامة وخاصة تهامة عسير شراباً يدعى «قشر» وهو نقيع مصنوع من قشور حبوب القهوة.

(١٦) يفضل البدو على كل حال الدخن على الذرة.

(١٧) لا يلبس السراويل التحتية والتنورات المربوطة بالوسط إلا الأولاد المراد ختانهم خلال الاحتفالات قبل عملية الختان وأما لبس الخناجر وحمل السيوف فليس متوقفاً فقط على المختونين.

(١٨) الختان بسلخ الجلد والذى يتم فيه إزالة الجلد نهائياً من السرة وحتى داخل الفخذين كان معمولاً به فى تهامة قبل أربعين سنة ولا يزال بعض البدو يطبقون نفس العادة القديمة. ويتم العمل فى تهامة وحتى وقت قريب بطريقة معدلة والتى يتم فيها سلخ كامل الذكر ولكن هذه الطريقة محرمة الآن بأمر من الملك ولكن يجوز إزالة عرض إصبعين من جلد الذكر بأن يتم ضغطه ثم قطعه في قطعتين واحدة علوية والأخرى سفلية ويتم تنظيف الجرح يوميا وربطه بورق الصالا Sala . ولقد تم قطع أيدى ثمانية أولاد عام ١٩٤٥م فى وادى حلى لأنهم خضعوا لعملية الختان المحرمة.

(١٩) يفصل حقل الحمم البركانية (اللافا) تهامة الشام عن تهامة عسير. ويجرى إدارة برك من القنفذة أما القحمة فمن جيزان وفى الماضى كانت تهامة تحت حكم الإدريسى.

(٢٠) الممرات المؤدية إلى تهامة شمال أبها هي : ممر صمع (السودة)، وقدها (العصامى) ، وشعار (وادى طيه) ، والجدع (بيحان) ، وجلجلا (بللسمر) ، وساقين (تنومه) ، وسنان (النماص) .

(٢١) هنالك ثلاث قبائل تدعى «بنو مالك» فى مناطق مختلفة هم : بنو مالك جنوب الطائف ، وبنو مالك فى عسير، وبنو مالك فى عسير، وبنو مالك على حدود اليمن فى رأسى الواديين ضمد والدفاع.

(٢٢) البناء بالأحجار على طول هذه الجبال يقوم على طريقة البناء بالحجر المرصوف ، وتملأ الفرج بكسر الحجارة لجعله أملس ناعماً كحجر مربع منحوت ، وغالباً ما توضع نماذج من الكوارتز الأبيض في الجدران وبعامة حول النوافذ ، وأما ما بنى بالطين فتحاط نوافذه غالباً بالجص الأبيض أو بلون برتقالى.

(٢٣) الفروع المستوطنة من قحطان هي : بنوبشر، رفيده، شريف، سنحان، عبيدة، وادعة؛ وأما فروع شهران فهى : تمنيـة ، المسقى Masgi ، الجهراء، سيحان Si-han ، وادى ابن هشبان Hashban ، ناحس Nahis ، كوت تندحه Kaut Tintaha ، عتود، قاره Qara ،

بنى ماجر Bani Majar .

(٢٤) الممرات الموصلة إلى تهامة جنوب أبها هي : ضلاع، جادله Jadla (عتود)، القرون (تمنية)، آل الخلف (وادى بيش)، شراقيب Shuragib (رأس بيش)، مفتاح الخشبة (وادى قاع)، علب (حدود اليمن).

(٢٥) هذه الجبال بركانية ولكن على قمة الممر والذى يرتفع ٨٠٠٠ قدماً [٢٤٣٨ متراً] فوق سطح البحر يوجد طبقة من الحجر الرملى القرنفلى اللون والذى تتكون مادته اللاحمة من الكاربونات.

(٢٦) هكذا أوردها المؤلف ولم أجد في المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ مقاطعة جيزان سوى آل غازى أو بنو الغازى (المترجم).

(٢٧) من الأسواق: أحد هروب Harub ، اثنين الحقو Hagu ، ثلاثاء صبيا، اربعاء أبوعريش، خميس مغزا Maghza ، خميس الدرب، سبت بيش (أم الخشب).

(٢٨) نطاقات النباتات الطبيعية التقريبية هي : السلم والسمر والأثل والسدر تنمو إلى ارتفاع ٥٠٠٠ قدماً [١٥٢٤ متراً]، وجيراد gerad (Acacia senegal) تنمو ما بين ٥٠٠٠ و ٧٠٠٠ قدماً [١٥٢٤ ـ ٢١٣٤ متراً]، والطلح ما بين ٦٥٠٠ و ٧٥٠٠ قدماً [١٩٨١ ـ ٢٢٨٦ متراً]، والزيتون البرى ما بين ٥٥٠٠ و ٧٥٠٠ قدماً [١٦٧٦ ـ ٢٢٨٦ متراً]، والعرعر ما بين ٦٥٠٠ و ٩٠٠٠ قدماً [١٩٨١ ـ ٢٧٤٣ متراً]، والورود البرية ما بين ٨٥٠٠ و ٩٠٠٠ قدماً [٢٥٩١ ـ ٢٧٤٣ متراً].

(٢٩) بعض من فروع قبيلة زهران هى الآتي: بيضان، بنوحسن Hassan ، بلخزمر، بنوكنانة بنوعمرو، عمر، عدوان Adhwan ، قريش.

(٣٠) لقد عدلت عن ترجمة هذا الجزء والذي يشكل حوالي الأربعة أسطر نظراً لأنه ليس مهماً للقارىء ويحتوى على معلومات خاصة بالمؤلف ويمكن الرجوع إلى الأصل للإطلاع عليه (المترجم).



REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

المجلة التَّاريخيَّة المصْريَّة

مجلةٌ عِلْمِيَّة مُحَكَّمَة تُصْدِرُها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

الترقيم المطبوع
2401-1687

رقم الإيداع بدار الكتب
99/9440

الترقيم الألكتروني
3354-2735

الترقيم الدولي
977-5366-11-9

موقع المجلة على بنك المعرفة https://jejh.journals.ekb.eg/

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون : ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨
Email: Seehist1945@yahoo.com







REVUE EGYPTIENNE DES ÉTUDES HISTORIQUES

تُصْدرهُا

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات ـ الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

المجلد الرابع والخمسون

القاهرة

٢٠٢٠م

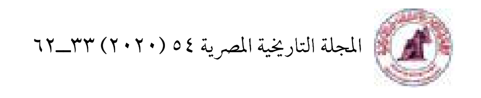
هَيئَة التَّحرِير

الَهيْئَة الاستِشَارِيَّة الدَّوْلِيَّة للمَجَلَّة

الإخراج الفني وتصميم الغلاف : محمد أشرف عبد المقصود

المحتـويات

الصفحة


المجلة التاريخية المصرية ٥٤ (٢٠٢٠) ٣٣_٦٢

التطورات الاجتماعية وأثرها في ازدهار منطقة عسير
خلال الفترة من (١٤٠٢ - ١٤٢٦هـ/١٩٨٢ - ٢٠٠٥م)

سعيد بن سعد بن خاطر القحطاني

ملخص

يعد المجتمع في منطقة عسير من المجتمعات التي صنعت لنفسها تاريخًا اجتماعيًا من خلال التطورات الاجتماعية لسكان المنطقة وقد امتازت المنطقة بالكثافة السكانية الكبيرة وبالاستيطان البشري بالإضافة إلى ما تتمتع به من مقومات الحياة سواء من موقعها الجغرافي، أو تنوع ثرواتها الاقتصادية، أو حياتهم الاجتماعية أو الثقافية وتهتم الدراسة بالفرد وعلاقة بأهله وعشيرته والبيئة القبلية والعادات الاجتماعية ودراسة التطورات التي طرأت على جميع جوانب الحياة الاجتماعية في مجتمع منطقة عسير وشهدت هذه الفترة ازدهار بالتطورات الاجتماعية وسوف يناقش الباحث تطور فئات المجتمع (المهني) والعلاقات الاجتماعية بين تلك الفئات والعادات والتقاليد والقوانين العرفية والألبسة والزينة والاحتفالات بالأعياد والزواج والختان والمأتم والألعاب الرياضية والأطعمة ودور المرأة في الحياة الاجتماعية بمنطقة عسير.

Abstract

The community in the Asir region is considered one of the societies that made a social history for themselves through the social developments of the region's inhabitants. The region has

been characterized by a large population density and human settlement in addition to what it enjoys from the elements of life, whether from its geographical location, the diversity of its economic wealth, or its social or cultural life and is interested in The study with the individual, the relationship with his family and his clan, the tribal environment, social customs, and the study of the developments that occurred in all aspects of social life in the community of the Asir region, and this period witnessed a flowering of social developments. Marriage, female genital mutilation, sports, food, and the role of women in social life in the Asir region.

❊

❊ ❊

تمهيد

يقع إقليم عسير في الطرف الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية بين دائرتي عرض ١٧-٢٢ شمالًا و٤١-٤٤ شرقًا[١].وذكر بأن منطقة عسير، الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية عدا منطقة جازان، وتمتد من حدود اليمن جنوبًا إلى بلاد زهران شمالًا ومن البحر الأحمر غربًا إلى تثليث وبيشة شرقًا، وتتكون من تهامة المحاذية للبحر الأحمر غربًا، تليها جبال السراة، ثم الهضبات الواقعة شرقًا[٢] الحكومة البريطانية اهتمت بعسير، ففي عام ١٣٥٣هـ - ١٩٣٢م قام هاري فيلبي برحلته لمنطقة عسير، كلفت المخابرات البريطانية بإعداد بحث عن عسير ورسمت خريطة لقبائل عسير في غاية من الدقة والشمول[٣]. يحيط بمنطقة عسير خمس مناطق إدارية

---

(١) القحطاني، محمد مفرح وآخرون: السياحة، الأسس والمفاهيم، دراسة تطبيقية على منطقة عسير، جدة - دار العلم للطباعة ١٤١٧هـ، ١٧٧.

(٢) العثيمين، عبد الله الصالح: معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد، الرياض ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ١٨٩.

(٣) PHILBY HARRY St. JHON, The Arabian highlands, Washington, 1952.

هي منطقة الرياض من جهة الشمال الشرقي، ومنطقة نجران شرقًا ومنطقة مكة المكرمة ومنطقة الباحة شمالًا، ومنطقة جازان جنوبًا وتطل المنطقة على البحر الأحمر من جهة الغرب بطول يبلغ ١٤٠كم، كما تشترك في حدودها الجنوبية مع حدود الجمهورية اليمنية. وتغطي مساحة تصل إلى ٧٨١٦٢كم٢، وبهذه المساحة تحتل المرتبة العاشرة بالنسبة إلى مناطق المملكة العربية السعودية[١].

ويتبع لمنطقة عسير أحدى عشر محافظة بالإضافة إلى مدينة أبها (المقر الإداري لمنطقة عسير) ويتبع لكل محافظة عدد من المراكز إذ يتبع لمحافظات منطقة عسير (١٠٦مركز)[٢].

المبحث الأول: فيئات المجتمع (المهنية) في منطقة عسير والعلاقات الاجتماعية بين تلك الفئات.

المبحث الثاني: العادات– التقاليد – القوانين العرفية – الألبسة والزينة.

المبحث الثالث: الاحتفالات والألعاب الرياضية (الأعياد – الزواج– الختان– المأتم – الألعاب الرياضية – الأطعمة والأشربة).

المبحث الرابع: المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية بمنطقة عسير.

مر المجتمع السعودي بمراحل نمو حضري وتطور عمراني قسمت إلى ثلاث مراحل رئيسة هي:

= ترجمته مكتبة العبيكان عام ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م والذي كان نتاج رحلته لمنطقة عسير عام ١٣٥٣هـ – ١٩٣٢م.

(١) الزهراني، عبد الله بن سالم: موسوعة المملكة العربية السعودية، منطقة عسير، الرياض – مكتبة الملك عبد العزيز العامة ١٤٢٨، ٥.

(٢) المصدر الوطني للوثائق والمحفوظات، دليل الترميز الموحد للمناطق والمحافظات والمراكز الإدارية. بيانات غير منشورة.

المرحلة الأولى ١٣١٩ - ١٣٥٨هـ/١٩٠٢ - ١٩٣٨م

«وهي مرحلة إنشاء الدولة وتوحيدها، حيث تم خلالها ضم أكثر من ٨٠% من منطقة شبه الجزيرة العربية تحت قيادة واحدة، واصطلح على تعريف هذه المرحلة، بمرحلة (ما قبل النفط)»[١].

وقد اتسمت المنطقة في ذلك الوقت بالأقاليم المنفصلة وبالطرق المحفوفة بالمخاطر وانعدام الأمن، وكانت الحياة القبلية ونظمها تشكل أساس الحياة الاجتماعية، وكان معظم السكان من البدو الرحل والرعاة، عدا قلة كانوا يعيشون في مدن صغيرة حول الواحات يعملون بالزراعة[٢].

المرحلة الثانية ١٣٥٨ - ١٣٨٩هـ/١٩٣٩- ١٩٦٩م

وهي الفترة التي أعقبت نشأة الدولة وشهدت اكتشاف البترول عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م وقد تميزت هذه المرحلة باستقرار الأوضاع السياسية واستتباب الأمن بشكل عام[٣]. «وتسارع في النمو الاقتصادي والاجتماعي الشامل، وساهم ذلك في هجرة أعداد كبيرة من سكان البادية والريف نحو المدن، حيث الوفرة وفرص العمل، كما كان ذلك النمو سببًا في توافد العمالة العربية والأجنبية إلى المنطقة»[٤].

المرحلة الثالثة ١٣٩٠ - ١٤٢٦هـ/١٩٧٠ - ٢٠٠٥م

«وهي المرحلة الأكثر أهمية في عملية التنمية، حيث اتسمت بالازدهار الاقتصادي،

---

(١) السرياني، محمد محمود: «ملامح التحضر في المملكة العربية السعودية خلال الفترة من ١٩٨٨- ١٩٠٢»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٦٣، الكويت ١٩٩٠، ١٣.

(٢) الشثري، محمد ناصر: الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤١٧ هـ،١: ٣٥، ٥٢.

(٣) قاضي، إبراهيم وآخرون: تخطيط المدن في المملكة العربية السعودية، الرياض- شركة الطباعة المحدودة ١٩٨١ م، ٣٢.

(٤) قاضي: مرجع سابق، ٨٩.

وظهور مبدأ التخطيط الشامل، وإرساء قواعد الصناعة في بعض المدن، وقد أطلق على هذه المرحلة اصطلاحا مرحلة الوفرة الاقتصادية والتخطيط»[(١)].

ولقد شهدت منطقة عسير خلال فترة الدراسة (١٤٠٢ - ١٤٢٦هـ) تغيرات رئيسية، تجلى ذلك في مجموعة من المؤشرات، لعل من أهمها عدم اقتصار خطط التنمية على الجوانب الاقتصادية فحسب بل تعدت ذلك لتشمل التنمية الاجتماعية والثقافية وتم استلام زمام الأمور من قبل إمارة عسير ممثلة في أمير عسير خالد الفيصل وذلك بعد تعيينه أميرًا لمنطقة عسير حسب الأمر الملكي رقم أ/ ٥٦ تاريخ ٢٣/ ٢/ ١٣٩١هـ. فما برح ليواصل الجهود ويبذل المساعي الحثيثة، حتى تحقق انجاز عدد من المشاريع التنموية فتحولت قرى ومدن منطقة عسير إلى مدن حديثة متطورة من خلال دعم الدولة،وكذلك دعم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وأهالي وسكان منطقة عسير[(٢)].

المبحث الأول

فئات المجتمع (المهنية) في منطقة عسير والعلاقات الاجتماعية بين تلك الفئات

امتد تاريخ عسير قبل الإسلام وبعده فقد حكمها الصرد بن عبد الله الأزدي في السنة العاشرة للهجرة النبوية، ثم حكمها عبد الله بن ثور زمن الخلفاء الراشدين من سنة ١١ - ٣٤ هجرية، فالأمويون، فالعباسيون، فالطولونيون بين عامي ٢٥٤-٣٩٣هـ،ثم الفاطميون، فالسلاجقة، فالأيوبيون، ثم المماليك فالعثمانيون،حتى استقر الأمر في عسير تحت حكم الدولة السعودية التي وحدها الملك عبد العزيز عام

---

(١) السرياني، مرجع سابق، ١٦٠.

(٢) جريدة البلاد - عدد يوم الاثنين ٢٣/ ٢/ ١٣٩١هـ.

١٣٥١هـ،وهناك من يرجع أصول السكان لهذه المنطقة في فترات ما قبل الإسلام إلى أصولها عدنان وقحطان، فالعدنانيون هم من نسل أسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ونسبهم على جدهم الأكبر عدنان ومهدهم الحجاز، وأشهر بطونهم مُعدَّ ونزار، وأما القحطانيون فهم من نسل قحطان بن هود،وهو النبي هود عليه السلام ومن أشهر بطونهم سبأ وحمير وكهلان[١].

«ووفقًا للتعداد السكاني الذي أجرى في عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م فقد بلغ إجمالي عدد السكان في منطقة عسير حوالي ١,٩٦ مليون نسمة، ويمثل هذا العدد حوالي (٧,٤٥)٪ من إجمالي سكان المملكة الذي بلغ حوالي ٢٢,٧ مليون نسمة، وقد بلغ عدد السكان السعوديين في منطقة عسير حوالي ١,٤٣ مليون نسمة في حين يوجد بها ٢٥٤ ألف نسمة من السكان غير السعوديين، وبلغ عدد المساكن المشغولة في المنطقة ٢٨٧,٨٥٣ وحدة سكنية»[٢].

ويمكن تقسيم فيئات المجتمع (المهنية) في منطقة عسير قبل فترة الدراسة إلى:

التجار، الرعي، الزراعة، الحرف والصناعات اليدوية

- **التجار**: وهم الفئة التي كانت تستحوذ على نصيب كبير من رأس المال، حيث اعتمدت الحركة التجارية في منطقة عسير على كثافة السكان باعتبارها الطاقة السكانية المستهلكة، ومنطقة عسير هي من مناطق الجذب السكاني لاعتدال جوها وخصوبة أرضها وكثرة أمطارها الموسمية[٣]ويلاحظ ان التجارة مع أنها كانت في الماضي بسيطة متواضعة لمحدودية الدخل والأرض وصعوبة المواصلات وقلة المال، وعندما بدأت

---

(١) أبو ملحمة: عسير التاريخ والحضارة والسياحة، ٣٢- ٣٣.

(٢) التقرير الاقتصادي ٢٠٠٧م، منطقة عسير،١١.

(٣) النعيمي، هاشم بن سعيد: تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الرياض- مكتبة الملك فهد الوطنية ١٩٩٩م، ١١٥.

خطط التنمية تنفيذ مشروعاتها وأنشئت المطارات، وشقت الطرق والكباري وتوافر أدوات الاتصالات والمواصلات قفزت التجارة قفزة كبيرة في مجالات مختلفة وأن تلك المهنة قد تطورت إلى حد بعيد حتى وصلت إلى مرحلة التجارة الإليكترونية، وتجارة البترول والمعادن والاستيراد والتصدير من جميع الدول وغيرها من أشكال التجارة الحديثة والازدهار في المجال الاقتصادي وغيره.

- **الرعي**: انتشرت مهنة الرعي في كافة المناطق الجنوبية ومنها عسير، وكانت بشكل مكثف في المناطق البدوية، لأنها كانت حرفة السكان الأساسية في تلك الأجزاء، وكانت مهنة الرعي عند بعض سكان عسير تقترن معها مهنة الزراعة، حيث يمارسون هذين الحرفتين في آن واحد، فتراهم يمتلكون الضأن والأبقار والماعز ليرعوها في منطقة سكنهم بالسهول[١].

ويلاحظ إن هذه الثروات الحيوانية التي كانت موجودة في الماضي بكثرة،أصبحت اليوم شبه معدومة أو موجودة بدرجة أقل بكثير مما كانت عليه من ذي قبل، حيث طرأ على نمط الحياة تغيرات كثيرة، ومنها تدفق البترول مما أثر على كثير من المهن في أنحاء البلاد، حيث سعوا غالبية أصحاب مهن الرعي إلى بيع مواشيهم والالتحاق بالوظائف الحكومية أو عملوا بمهن أخرى كالتجارة أو الصناعة وغيرهما.

- **الزراعة**: تواجدت مهنة الزراعة في منطقة عسير نظرا لتوفر الأراضي الزراعية والمياه في بعض أجزاء من منطقة عسير وخاصة في السهول[٢]والواضح من اهتمام الحكومة السعودية منذ قيام الدولة على تشجيع المزارعين والمساعدات الكثيرة التي قدمت لهم، فنجد أن هذه الأساليب والطرق الزراعية التي كانت تستخدم في الماضي اندثرت،وقد حلت محلها الآلات الحديثة في الحرث والزراعة وسقاية الأراضي الزراعية، لكن المزارعين لم يستفيدوا من ذلك في الفترة الحالية وذلك لقلة وفرة المياه

---

(١) جريس: بلادد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (١٩- ٢٠)، الرياض- مكتبة الملك فهد الوطنية ١٩٩٣م، ١٤٧.

(٢) جريس: مرجع سابق، ١٤٧.

والتكلفة الاقتصادية الكبيرة وانضمام السكان للوظائف والتجارة والاعمال الاخرى، بل عندما نناظر إلى المناطق الزراعية نجد غالبيتها خالية من الزراعة وربما قد حولت إلى أراضي عمرانية وتجارية.

– **الحرف والصناعات اليدوية:** كانت هذه الحرف كثيرة وقد تم مزاولتها على المستوى الفردي والجماعي ومن هذه الحرف: دباغة الجلود، لنجارة، صناعة الخزف والفخار، النسيج والخياطة والصباغة، صناعة الرحى، والصناعات اليدوية عملا مميزًا اشتهر به الأهالي في منطقة عسير قبل قيام الصناعات الحديثة[١]. ويلاحظ أن بعض الحرف التي كانت موجودة في منطقة عسير قبل فترة الدراسة (١٤٠٢–١٤٢٦هـ/ ١٩٨٢ – ٢٠٠٥م) قد انقرض غالبيتها في يومنا هذا، فلم يعد سكان منطقة عسير بحاجة لها اليوم، حيث التقدم الحضاري والصناعي والعمراني والثقافي غير من طباع وعادات وحرف غالبية السكان، فما كان ينتج من هذه الصناعات بالطريقة اليدوية حل محلها الأجهزة والآلات والورش المتطورة التي تستطيع إنتاج أشياء كثيرة في وقت بسيط وبكفاءة عالية، بل بعضها يتم استيرادها من الخارج بمبالغ أقل من تكلفتها وبدون عناء، ولم يبقى الا القليل من الأسر التي تعمل في بعض هذه الحرف وتشجيع الدولة للأسر المنتجة.

فئات المجتمع (المهنية) في منطقة عسير خلال فترة الدراسة (١٤٠٢ – ١٤٢٦هـ/ ١٩٨٢ – ٢٠٠٥م).

كانت الأوضاع العامة التي كانت سائدة في الفترة ما قبل قيام الدولة السعودية الحديثة، كانت بسيطة وبدائية، تعتمد على الزراعة والرعي وعلى ما تنتجه البيئة المحلية من مواد[٢].

---

(١) الجبالي، عبدالله سليمان: حرف ومفردات من التراث، الحرس الوطني، الرياض، ١٦.

(٢) سبأ، صالح محمد عبد الصمد: تطور العادات والتقاليد والفنون الشعبية في المجتمع السعودي المعاصر في الفترة ما بين (١٩٥٠– ٢٠٠٥م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الآردن: الجامعة الأردنية ٢٠٠٦م، ٢٢.

«لقد عمل الملك عبد العزيز مؤسس وموحد المملكة العربية السعودية على تشجيع رجال القبائل في مملكته على حياة الاستقرار، وذلك من خلال إقامة الهجر أو المستوطنات بغرض توطينهم، وكان الهدف من التوطين إدامة وتيرة الهدوء السياسي، والقضاء على المنازعات وذرائع القتال بين القبائل، إلى جانب توفير احتياطي من الرجال ذوي الولاء، لاستكمال مسيرة التوحيد وبسط نفوذ الدولة»[1]. ويلاحظ أن المجتمع العسيري منذ قيام المملكة العربية السعودية حتى نهاية القرن (١٤هـ - ٢٠م) في نمط حضاري متقارب في نسيجه الاقتصادي والاجتماعي والمعيشي، حيث كانت تجمعاته الزراعية تمارس أعمال الرعي، في حين كانت بعض تجمعاته البدوية تمارس حرفة الزراعة في فترات معينة، والتجار في أعمالهم التجارية، والحرفين كانوا يصنعون حوائجهم المنزلية، وأدوات عملهم بأنفسهم إلا أن كل مجتمع احتفظ بهويته وخصائصه المميزة، ولم تحدث سيادة نهائية لأي من المجتمعات، بسبب نجاح كل منهما في التعايش مع ظروف منطقته وإمكانياتها، وتعد المهنة في فترة الدراسة من الخصائص الأساسية التي ترتبط بالفرد ويكتسبها بالتعلم ومن الخبرة والممارسة، ويعتبر التركيب المهني لقوة العمل جانبًا هيكليًا مهما حيث أنه يحتل مكانًا بارزًا في عملية تخطيط الموارد البشرية لمواجهة متطلبات التنمية الاجتماعية والاقتصادية وقد تطورت وتنوعت فئات المجتمع (المهنية) في فترة الدراسة (١٤٠٢- ١٤٢٦هـ/ ١٩٨٢- ٢٠٠٥م). عن السابق ولذا تحتل البيانات المهنية في فترة الدراسة مكانًا بارزا في عملية التخطيط، وتوضح التركيبة المهنية لسكان منطقة عسير حسب التعداد السكاني لعامي (١٤١٣ - ١٤٢٥هـ) العديد من الخصائص المهنية التي يعمل بها المجتمع بمنطقة عسير وقد تنوعت وتطورت عن السابق.

ويمكن تقسيم فيئات المجتمع (المهنية) في منطقة عسير خلال فترة الدراسة حيث تم تصنيف أفراد قوة العمل من طرف مصلحة الإحصاءات العامة بوزارة التخطيط

---

(١) المانع،محمد: توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبدالله العثيمين، الدمام ١٩٨٢ م، ١١٢.

حسب أنواع أعمالهم خلال تعداد ١٤١٣هـ:

وتوضح الجداول التالية توزيع القوى العاملة حسب المهنة لتعداد عامي ١٤١٣- ١٤٢٥هـ بمنطقة عسير.

جدول يبين توزيع القوى العاملة حسب المهنة خلال عام ١٤١٣هـ .[(١)]

المهن	المهن العلمية والفنية	المديرون والاداريون ومديرو الأعمال	العاملون بالمهن الكتابية	العاملون بمهن البيع	العاملون بمهن الخدمات	العاملون بالزراعة وتربية الحيوانات والدواجن	عمال الإنتاج وعمال التشغيل والنقل ومن إليهم	المجموع
العدد	٢٥٦٦٩	٢٤٨٠	١٠٨٠٢	٤٧٥٥	٧٤٦٢٤	٢٦٥٩٢	١٠٢٩٤	١٥٥٢٦٥
النسبة	١٦,٥	١,٦	٧,٠	٣,١	٤٨,١	١٧,١	٦,٦	

المصدر: وزارة الاقتصاد والتخطيط، مصلحة الإحصاء العامة والمعلومات، النتائج التفصيلية للتعداد العام للسكان والمساكن في منطقة عسير عام ١٤١٣هـ . ص ١٣٨.

جدول يبين توزيع القوى العاملة حسب المهنة خلال عام ١٤٢٥هـ .[(٢)]

المهن الرئيسية	الاختصاصيون في المواضيع العلمية والفنية والانسانية	الفنيون في المواضيع العلمية والفنية والانسانية	المديرون والاداريون ومديرو الأعمال	العاملون بمهن البيع	العاملون بالمهن الكتابية	العاملون بمهنة الخدمات	العاملون بالزراعة وتربية الحيوانات	مهن العمليات الصناعية والكيميائية والصناعات الغذائية	المهن الهندسية الاساسية المساعدة	المجموع
العدد	٢٩٢٣٠	٦٣٤٦٠	٢١٢٥٤	١٤٧٩٨	٣٩٤٦٢	٢٨٤٦٥	١٨٨٠١	١٠٨٢٤	١٨٥٦١	٢٤٤٨٨٥
النسبة	١١,٩٤	٢٥,٩٢	٨,٦٨	٦,٠٤	١٦,١٢	١١,٦٣	٧,٦٨	٤,٤٢	٧,٥٨	%١٠٠

المصدر: وزارة الاقتصاد والتخطيط، مصلحة الإحصاء العامة والمعلومات، النتائج التفصيلية للتعداد العام للسكان والمساكن عام ١٤٢٥ه (٢٠٠٤) بمنطقة عسير ص٧٣

يلاحظ من دراسة الجداول اعلاه أن بيانات المهن للمجتمع بمنطقة عسير تظهر في المقارنة بين تعداد عام (١٤١٣- ١٤٢٥هـ) من خلال التراجع الواضح في مهن

---

(١) وزارة الاقتصاد والتخطيط، مصلحة الإحصاء العامة والمعلومات، النتائج التفصيلية للتعداد العام للسكان والمساكن في منطقة عسير عام ١٤١٣هـ ١٣٨.

(٢) وزارة الاقتصاد والتخطيط، مرجع سابق، ١٣٨.

العاملون بمهن الخدمات، والعاملون بالزراعة وتربية الحيوانات يتضح أن هناك تراجع كبير في المهن المذكورة عن العدد الإجمالي في عام (١٤٢٥هـ)، ويتضح من خلال المقارنة ارتفاع كبير في المهن التالية في العدد الإجمالي في عام (١٤٢٥هـ).

أتى ترتيب المهن الاكثر انضمام لها المجتمع لعام (١٤٢٥هـ) مهن الفنيون في المواضيع العلمية والفنية والانسانية (٦٣٤٦٠) بنسبة (٢٥,٩٢٪)، ثم العاملون بالمهن الكتابية(٣٩٤٦٢) بنسبة (١٦,١٢٪)، ثم مهن الاختصاصيون في المواضيع العلمية والفنية والانسانية (٢٩٢٣٠) بنسبة (١١,٩٤٪)، ثم العاملون بمهن الخدمات (٢٨٤٦٥) بنسبة (١١,٦٣٪)، ثم المديرون والإداريون ومديرو الأعمال (٢١٢٥٤) بنسبة (٨,٦٨٪)، ثم العاملون بالزراعة وتربية الحيوانات (١٨٨٠١) بنسبة (٧,٦٨٪)، ثم المهن الهندسية الأساسية المساعدة (١٨٥٦١) بنسبة (٧,٥٨٪)، ثم العاملون بمهن البيع (١٤٧٩٨) بنسبة (٦,٠٤٪)، ثم مهن العمليات الصناعية والكيميائية والصناعات الغذائية (١٠٨٢٤) بنسبة (٤,٤٢٪) وقد تم ترتيب المهن لعام (١٤٢٥هـ) حسب الأعلى في الأعلى. ويرى الباحث إن الفترة من عام (١٤٠٢– ١٤٢٦هـ) قد تطورت وتنوعت فئات المجتمع (المهنية) في فترة الدراسة عن السابق وقد تغيرت كثير من المهن السابقة التي كانت قبل فترة الدراسة في منطقة عسير، وأخذت بعض المهن في التقلص وشهدت المهن الحديثة إقبالًا كبيرًا من سكان منطقة عسير وذلك نظرًا للتطورات الكبيرة التي حدثت للمجتمع في منطقة عسير ومناطق المملكة العربية السعودية وتطور الحياة الحديثة في شتى المجالات وبتزايد واضح وذلك بالتزامن مع البرامج الإنمائية الطموحة في المنطقة وتنوعت المهن الرئيسية ويتبعها مهن فرعية كما كانت كذلك في انحاء مناطق المملكة العربية السعودية.

المبحث الثاني

العادات- التقاليد- القوانين العرفية- الألبسة والزينة

اتصفت منطقة شبه الجزيرة العربية بكونها موقعًا زاخرًا بمواد التراث بكل تفاصيله، وكان لمساحتها الجغرافية الكبيرة، وللاختلاف البيئي فيها الأثر الأكبر في تنوع أساليب الحياة وأنماط المعيشة بين مجتمعاتها من جانب، وبين عناصر المجتمع الواحد من جانب آخر، وأقصد بالمجتمع الواحد ذلك الذي ينتمي لكيان سياسي موحد ولدولة واحدة، فمجتمعات الريف والمدينة والبادية مجتمعات مختلفة في تركيبتها إلا أنها تمثل مجتمعا واحدا في الإطار السياسي. إلى جانب ذلك فقد اتصفت مجتمعات شبه الجزيرة العربية بشيء من الخصوصية التراثية، فهناك مجتمع الساحل، ومجتمع الريف، ومجتمع الصحراء، ومجتمع الجبال.

وإن للمجتمع السعودي خصوصيته التي تنتمي للمنظومة التراثية في شبه الجزيرة العربية أيضًا، والتي توارثها جيلا بعد جيل ومازال معظمها يمارس إلى هذه الوقت[١].

«وفي الغالب تمارس العادات والتقاليد على الفرد ضغوطًا نفسية محسوسة أو غير محسوسة، فعلى سبيل المثال قيام شخص بلبس غترة زرقاء في المجتمع السعوي يثير استهجان كثير من الناس، حيث انه لا يوجد عقاب قانوني لمثل هذه العادات والتقاليد، إلا أن استنكار المجتمع للمخالف يمثل ضغطًا نفسيًا يمنع الفرد من مخالفة العادات والتقاليد المتفق عليها في المجتمع»[٢].

١- **العادات**: تلعب العادات والتقاليد في أي مجتمع من المجتمعات في تسيير الحياة الاجتماعية، وتشكل لب السنن الاجتماعية، وتمثل نماذج الأفعال والسلوك البشري في

---

(١) سبأ: مرجع سابق، ٣١.

(٢) آل حامد، عبد الرحمن بن عبدالله بن عائض: العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، الرياض- مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤٢٦هـ، ٣٠٣.

هذه المجتمعات. وحيث أن بعض مظاهر تلك العادات قد بدأ بالتلاشي مؤخرًا خاصة في المدن الكبرى، إذ لم يعد الأهالي يحرصون على ممارسة تلك العادات بحذافيرها، ولعل ذلك يعود إلى اتساع المدن والقرى وامتدادها، أو لفتور العلاقات الاجتماعية بين السكان، بسبب ظروف المعيشة وانشغال الجميع بمطالب الحياة العصرية وشح الوقت، فضلا عن تأثير وسائل الاتصال الحديثة كالهاتف والقنوات الفضائي وشبكة الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي التي أسهمت في ملء أوقات الفراغ لدى الكثير من الناس وساعدت على تواصلهم دون الحاجة إلى الانتقال من مكان إلى آخر[١].كما تعرف بأنها أساليب الجماعة العرفية والمعيارية والاعتيادية،حيث تعد العادات الاجتماعية قوة مجتمعية لها أهميتها البالغة، ذلك العملية التي تؤدي إلى تكوين العادات الاجتماعية تنحصر في التكرار الدائم لبعض الأفعال الصغيرة التي تصدر عن عدد كبير جدًا من أفراد المجتمع في مواقف معينة بالذات[٢].

ويلاحظ أن العادات هي مجموعة من السلوكيات التي ارتضاها المجتمع وتوارثها جيلا بعد جيل وترتبط بتحقيق غاياته وأهدافه ولها صفة التلقائية وغير الرسمية وأن سكان منطقة عسير قبل فترة الدراسة كانوا متمسكون بعاداتهم وتقاليدهم ويدل على ذلك الزيارات المتكررة للأقارب واستقبال الضيوف والحجيج والمسافرين واكرامهم لهم والحفاوة بهم، ولأن الحياة الاجتماعية بين السكان تقوم على الأخلاق الإسلامية الحميدة، والعادات العربية الكريمة التي أقرها الإسلام كما أن العادات القديمة الموروثة منذ القدم بدأت في التقلص في فترة الدراسة نتيجة لاتصال سكان المنطقة بما جاورهم أو أتى إليهم واختلط أهلها بالزائرين لهم، وانتشار التعليم بينهم مما أوجد في هذه المنطقة عدد كبير من المثقفين الذين ساهم فكرهم في تطور في هذه العادات والتقاليد بما يتماشى مع روح العصر الذي يعيشون فيه وتطور تعليم وحضارة وثقافة

---

(١) العنزي، صالح حماد: الحياة الاجتماعية في منطقة الجوف، ٨٨.

(٢) PAUL B.HORTTOM-chester Hunt "Sociology" 2nd. Ed. Me Grawhill Book co- 1968.

سكان المنطقة فلم يعد التمسك بتلك العادات من الضروري فعلى سبيل المثال قلت الزيارات للأقارب بسبب وجود وسائل الاتصال المتعددة وقلت حفاوة استقبال الضيوف والمسافرين عن السابق وغيرها من العادات التي تقلصت في فترة الدراسة. نستعرض بعض العادات الموجودة في منطقة الدراسة ما يلي:

– **إكرام الضيف:** وهي من العادات التي كانت ولا زالت سائدة في منطقة الدراسة،وأن اختلفت طريقة الكرم(١).

– **عادات عقد القران:** وتتميز مسألة عقد القران في منطقة عسير بأنها تتم وفق المنهج الإسلامي كما هو الحال بالنسبة لكل مسلمي الأرض(٢).

– **استقبال الحجيج:** درجت العادة في المجتمع السعودي بشكل عام، أن يكون هناك استقبال خاص للحجيج حال عودتهم إلى ديارهم(٣).

– **عادة التعاون:** وهي من العادات التي نشاء عليها المجتمع العسيري. ومن مظاهرها: التعاون في مجال الزراعة، والتعاون في مجال الزواج والتعاون في مجالات أخرى(٤).

– **الفرقة أو الوضيع أو صندوق الجماعة:** من أنواع التكافل. وهو جمع مبلغ من المال لصالح الجماعة، سواء بشكل مسبق أو عند قيام الحاجة إليه، مثل دفع دية أحد الأشخاص، أو تعويض من أصيب بأضرار، وقد تطور في الوقت الحالي فأصبح صندوق تكافلي للجماعة، له نظام يحكم كيفية جمع المال وأوجه صرفه(٥).

---

(١) آل شبيلي، محمد بن محمود: الشارق في تاريخ وجغرافية بلاد، الرياض – مكتبة الملك فهد الوطنية ٢٠٠١م، ١٦٨.

(٢) الخريجي،عبدالله: علم الاجتماع العائلي القاهرة– دار الثقافة للنشر ١٩٨١ م، ٣٣٩.

(٣) العنزي، مطر بن عايد: رفحا، وكالة شئون الشباب، ٢٠٠م، ١٩٥.

(٤) آل شبيلي: مرجع سابق، ١٦٦–١٦٧.

(٥) أل حامد: مرجع سابق، ٤٥٥–٥٤١.

-**الرفدة:** وهي من العادات الشائعة في منطقة عسير، وهي من العادات التي تعبر عن التكافل الاجتماعي، ومساعدة المحتاج، وُتعد الرفدة عادة سائدة بين الناس هناك[١].

- **التعلل:** وهي الجلسات الليلية وهي من العادات المألوفة في مجتمع منطقة عسير والمجتمع السعودي بشكل عام[٢].ويلاحظ ان هذه العادة قائمة إلى هذا الوقت في مجتمع الدراسة إلا أنها قد أخذت بعدًا آخر، حيث يتناول السمار في أحاديثهم أخبار الساعة وشئون حياتهم العملية والعائلية وممارسة بعض الالعاب الرياضية والسباحة، وتكون تلك الجلسات عادة في عطل نهاية الأسبوع أو في الإجازات العامة وتكون في الاستراحات والشاليهات والمزارع.

- **المزاورة:** وهي عادة اختص بها النساء، فالمرأة عندما تريد أن تزور صديقة لها أو قريبة تحرص على أن تأخذ معها «مغلفة» مصنوعة من سعف النخيل والخوص لحمل الأشياء فيها، وهي تشبه الشنطة حاليًا،وتضع فيها القليل من الأرز أو البر أو الحبوب، ولكن هذه العادة قد تكون اندثرت نتيجة لتطور الحياة الاجتماعية في منطقة عسير[٣].

- **البشارة:** عبارة عن هدية مالية أو عينية تقدم إلى من ينقل خبرا سعيدًا إلى صاحب الشأن. ويختلف مقدارها بحسب أهمية الخبر وناقله[٤].

- **الاجتماع الدوري للأقارب:** يقوم كبير كل أسرة بجمع أقاربه وأنسابه في كل سنة، فيكرمهم ويحل ما بينهم من الخلافات ويتشاورون في شئونهم العامة[٥].

- **القطة:** «وهي المساعدات المالية، حيث يدفع الموسرون من الأهالي المال

(١) السنيدي، عبد العزيز راشد: الربيعية، الرياض- مطابع جامعة الملك سعود ١٤١٤هـ، ٢٠٤.

(٢) السنيدي: مرجع سابق، ٢٠٦.

(٣) آل شبيلي: مرجع سابق، ١٧٠.

(٤) أل حامد: مرجع سابق، ٤٥٥-٥٤١.

(٥) أل حامد: مرجع سابق، ٤٥٥-٥٤١.

للمحتاج للتخفيف عنه في حال حدوث ضائقة مالية له، جراء دين أو دية أو تكاليف زواج وخلافه، ويطلق عليها اسم العانية وهي من دلالات الترابط والتكافل الاجتماعي في المجتمع»[١].

- **الفزعة:** وهي من العادات التي كانت معروفة لدى القبائل بمنطقة عسير وقبائل المملكة العربية السعودية بشكل عام، وتعد إغاثة لمن حل به مصاب، كأن يكون قد تعرض لغزو من قبل البعض، أو دهمه السيل، أو تعرض لأي نوع من الضرر[٢].

٢- التقاليد: «عبارة عن اصطلاحات اجتماعية تتصف بصفة الإلزام والجبر،وهي تتصل أحيانًا بالمقومات الأساسية للجماعة وأحيانا أخرى تتصل بالأحوال العادية والروتينية في الحياة الاجتماعية»[٣] ويمكن القول أن التقاليد ما هي إلا أنماط متفق عليها من ردود أفعال الجماعة البشرية باتباع أو مخالفة ما ترتضيه الجماعة البشرية لارتباطها بقيم معينة تستدعى اللجوء أحيانا إلى القوة أو إلى القهر والسلطة غير الرسمية، وتشترك التقاليد مع العادات في أن كليهما يمتاز بالتلقائية، وأنها تنشأ كنتيجة حتمية لتكوين الجماعات الإنسانية وظهور المجتمعات البشرية، كما أنها غير مكتوبة، وبالرغم من ذلك فهي منقوشة في قلوب وعقول أبناء المجتمع يتوارثها جيلا بعد جيل،كما أنهما يتميزان بدرجة من الجمود النسبي والتغيير البطيء لأنهما يرتبطان بضروريات اجتماعية ويحققان مطالب اجتماعية، كما أن لها درجة عالية من العمومية.

٣- القوانين العرفية:

العرف: هو الشيء البارز في المخلوق، وقد يكون من أسباب زينته، كعرف الديك أو عرف الفرس وما شابه ذلك، ويرى البعض أن العرف سلوك جماعي، وهو يتعمق

---

(١) العنزي، مطر: مرجع سابق، ٢٠٠.

(٢) سبأ: مرجع سابق، ٧٨.

(٣) الخريجي: الضبط الاجتماعي، ٢٣٥.

في ضمير المجتمع، ويتمثل في تحريم بعض الأعمال أو الأمر بها[١].

«وترتبط القوانين العرفية بعادات وتقاليد الإنسان، ويتم توارث هذه العادات جيلا بعد جيل، ومن خلال هذه العادات تحدد هويات المجتمعات»[٢].وعملت العقوبات العرفية في مجتمع عسير إلى ردع المعتدي نتيجة للاعتداء على الأخرين، وما ينجم عن ذلك من صراع بين أفراد القبيلة او القبائل الأخرى بحكم المجاورة، فقد كان الأمر مستفحلا قبل تأسيس المملكة إلا انه خلال فترة الدراسة من عام ١٤٠٢ هجرية إلى ١٤٢٦ هجرية فُرض النظام على جميع مناطق المملكة ومنها منطقة عسير وتعاون المشايخ والأعيان مع مؤسسات الدولة كالشرطة والأمارة والمحكمة من أجل محاربة الفتن وردع المعتدين ومعاقبتهم من خلال القنوات الشرعية للدولة وتعلم وثقافة سكان المنطقة حد من تطور القوانين والاعراف القبلية التي لا يمكن يحصل مع وجودها تطور وازدهار لحياة الإنسان[٣].

٤- **الألبسة والزينة:** تعتبر الألبسة والزينة من العناصر والسمات التي يمكن من خلالها التعرف على ثقافة وحضارات الشعوب، كما تعد من فروع التراث المادي الذي يظهر نوع من نمط الحياة السائدة في مجتمع أو منطقة ما خلال فترة من الزمن، لأنها بما تحوية من زينة وزخارف نابعة من صميم البيئة الطبيعية، ونتيجة لما مرت به المنطقة قبل توحيد المملكة من وضع اقتصادي أثر على معيشة السكان، وانعكس هذا على ملابسهم التقليدية والتي تكونت من الصوف والجلود المدبوغة التي كانت تؤخذ من أغنامهم[٤].

---

(١) جريس: العادات والتقاليد في عسير ١٩٩٣، ٤٨٦.

(٢) آل سحيم، سعيد سعد: محافظة سراة عبيدة «تاريخ وحضارة تقاليد وعادات»، الرياض – مكتبة الملك فهد ١٤٢٥هـ، ٢٩٩.

(٣) جريس: العادات والتقاليد، مرجع سابق في عسير، ٤٩٢.

(٤) الشهري، ليلى بنت عبد الرحمن: الملابس والمنتجات التقليدية وزخارفها في منطقة عسير – دراسة ميدانية–، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض: كلية التربية للاقتصاد المنزلي والتربية الفنية بالرياض، ٢٠٠٦، ٨١.

١- **ملابس الرجال:** كان الرجال يلبسون الثياب المصنوعة من قماش «الدوت»[(١)] وهو ابيض اللون طوله يصل إلى ما تحت الركبة لضمان سهولة العمل في الزراعة أو في المناطق الجبلية الصخرية، وكان يضع الرجل على كتفه اللحاف المصنوع من الصوف الخفيف ويربط وسطه بالحزام وبه الجنبية ويمشى بنعال من الجلد المدبوغ، وقد يضيف البعض أنواعًا أخرى حسب الحاجة، مثلًا للحماية من البرد[(٢)].

٢- **ملابس النساء:** كانت الأسر الغنية تمتلك العديد من الألبسة التي تكفي لحاجة أفرادها، بينما الأسر المتوسطة والفقيرة كانت تكتفي بالملابس القليلة والبسيطة التي تستر العورة، وكانت ملابس النساء تخاط لدى «الصانع» وهو رجل امتهن مهنة الخياطة، حيث كانت هذه المهنة خاصة بالرجال،لأن النساء كانت مشغولات بالزراعة والرعي والاهتمام بالمنزل والأطفال[(٣)]. وكان الثوب الأسود المشغول هو العلامة المميزة لزي النساء في منطقة عسير، ولم تكن المرأة تملك أكثر من ثوبين أن لم يكن ثوبا واحدا «ويستثني من ذلك الأسر الميسورة في أبها بالتحديد»، وكانت المرأة التي تكسى بثوب في الصيف وأخر في الشتاء تعد محظوظة، وأما الملابس الداخلية فلم تعرف قديما ولكن في الماضي القريب صنعت السراويل التي طرزت أيضا على أطرافها بنفس طريقة تطريز الثوب، وفي فترة الدراسة (١٤٠٢-١٤٢٦هـ) في الثلاثة العقود الاولى من القرن الخامس عشر الهجري فاض الخير على الناس بسبب ما أنعم الله سبحانه وتعالى على أهل البلاد من الخيرات الكثيرة، ففتحت الأسواق والمحلات المتخصصة في ملابس النساء واتسعت الأسواق وكثرة

---

(١) هو نوع قماش القطن المستورد من الشام واليمن، وتبلغ قيمة اللفة منه أحد عشر ريال في ذلك الوقت ويسمى محليًا مبرما.

(٢) عبد الرحمن، نورة بنت محمد بن سعود، وأخرون: بلاد عسير «أبها» المنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية، ١٢٨.

(٣) الشهري: الملابس والمنتجات التقليدية وزخارفها في منطقة عسير، ٨١.

معروضاتها في اللباس والزينة بأنواعها وموديلاتها[١].

٣- ملابس الأطفال: يقلد الأطفال أهلهم في زيهم كل حسب منطقته، فالولد يلبس الثوب الأبيض ويضع الجنبية في الحزام، وقد يغطي بالعمامة رأسه أو الطفشة، ولم يكن ينتعل في رجليه شيء في الغالب، وأما الفتاة فتلبس الثوب غير المشغول والمنديل البرتقالي أو الأحمر على الرأس وتغطيه بالطفشة عند الحاجة[٢]. يلاحظ مما سبق ان المجتمع قبل فترة الدراسة كان يرتدون ملابس متواضعة وساترة في الشكل، وكانت أدوات الزينة في الماضي محصورة على الحناء لبعض كبار السن من الرجال والنساء، ولبس السلاح للرجال، والحلي والكحل والريحان للنساء، ولقد بدأ التغير في الزي تدريجيا، واصبح زي الرجال واحدا في بعض أنحاء المملكة وهو عبارة عن الثوب الأبيض او الملون والغترة البيضاء أو الحمراء «الشماغ» والعقال والملابس الداخلية والعباءة الرجالية والنعال. وفي فترة الدراسة (١٤٠٢ - ١٤٢٦هـ/ ١٩٨٢ - ٢٠٠٥م) وفي العقدين الأولى من القرن (١٥هـ - ٢١م) شهدت الملابس وأدوات الزينة في منطقة عسير تغيرا كبيرا وكان التغير في زي النساء أكثر وضوحًا، وحصل تغير في الملابس خاصة الملابس التي يرتدونها الشباب والنساء، ونشاهد ألبسة غير ساترة للجسد عند الشباب، وأما مجتمعات النساء وبخاصة في الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية فيرتدون ملابس غير ساترة وحسب الموضات المعروضة بالأسواق والدخيلة على المجتمع سواء عن طريق القنوات الفضائية أو الاحتكاك مع النساء القادمات من خارج المنطقة وكذلك لبس انواع من البناطيل والجينز وتعددت أنواع الزينة للرجال والنساء، ولازال اللباس السعودي المعروف يرتدى في المناسبات والحفلات واماكن العبادات والادارات الحكومية. وفي السنوات الأخيرة من فترة الدراسة شهد إقبالا متزايدًا من الشباب والفتيات على ارتداء ملابس الموضة العصرية

---

(١) عبد الرحمن وأخرون: بلاد عسير «أبها»، مرجع سابق، ١٣٢.

(٢) عبد الرحمن وأخرون: بلاد عسير «أبها»، مرجع سابق، ١٣٢.

التي غزت الاسواق بمنطقة عسير. وتعددت أنواع الملابس وأشكالها وأدوات الزينة في منطقة عسير أسوة ببقية مناطق المملكة، وبسبب الانصهار الثقافي والاجتماعي أصبحت عادات اللباس وأشكال الملابس وأدوات الزينة وتصميماتها متقاربة إلى حد كبير في جميع أرجاء المملكة. فقد أغرقت الأسواق بمختلف أنواع الأقمشة من جميع أنحاء العالم، وتدفقت الملابس الجاهزة بكميات كبيرة، وفي ظل الإقبال المتزايد من الشباب على الأزياء العصرية، يجد الثوب السعودي التقليدي نفسه أمام مفترق طرق للبقاء او الاندثار، بينما يمضي الجيل الحالي لكل ما هو جديد في عالم الموضة للجنسين، حيث إن الأزياء التقليدية في البلاد تعرضت للاندثار في اكثر مدن وقرى منطقة عسير، بسبب التطور السريع الذي طرأ على المجتمع ومجاراة الموضة وتطبيق العالم الخارجي وانفتاح المجتمع بسبب التطور الذي حصل في عدة مجالات، ولازال يوجد عدد قليل من المناطق لازالت تحتفظ بتراثها وتراث أباءها واجدادها التقليدي وهي مناطق تهامة والمناطق الجبلية كونها نائية، فسكانها يحافظون على تراثهم لفترة أطول، ويحتفظون بملابسهم الشعبية.

المبحث الثالث

الاحتفالات والألعاب الرياضية المجتمع بمنطقة عسير في الفترة (١٤٠٢ - ١٤٢٦هـ/١٩٨٢ - ٢٠٠٥م)

تميزت منطقة عسير كغيرها من المناطق بوجود أنواع عديدة من الاحتفالات منها الأعياد والزواجات والألعاب الرياضية المحلية المختلفة، والتي منها ما يعتمد على الألعاب الجماعية ومنها ما يعتمد على الألعاب الفردية، وتعد الاحتفالات وما يرتبط بها من طقوس وممارسات من أكثر الأنماط الاجتماعية التي تعرضت للتغير في منطقة عسير، فقد اختفى بعضها ولم يعد يمارس مثل عملية الختان الجماعي بطريقة «السلخ» وذلك نتيجة لارتفاع مستوى الوعي بين أبناء المنطقة، واختلاطهم بغيرهم من أبناء

المناطق الأخرى نتيجة الهجرة الداخلية للسكان في مختلف المناطق وكذلك حفلات الزواج واحتفالات العيدين وغيرها، وتعد احتفالات الزواج أكثر الأنماط التي تعرضت لمثل هذا النوع من التغير، فقد أصبحت حفلات الزواج ذات طابع غير تقليدي، فلم تعد تمارس الفنون الشعبية في كثير منها، كما أنها أصبحت أكثر كلفة،ومثلها في ذلك عددًا من الاحتفالات الأخرى، التي اصبح كثير منها مظهرًا من مظاهر التفاخر الاجتماعي في البذخ والإنفاق(١).

من أنواع تلك الاحتفالات على سبيل المثال:

١- **الأعياد:** تمثل الأعياد بمنطقة عسير مناسبة وفرصة للتقارب والتزاور ولاجتماع شمل العائلة، كما تمثل مجالا للتعبير عن الفرحة من خلال ما يقدم من خلالها من فنون شعبية وولائم إضافة إلى أنها مناسبة تمثل الشيء الكثير بالنسبة للأطفال الذين يعايشون فترة الأعياد بإحساس وشعور مختلف، قد لا يتكرر طيلة العام إلا مرتين فقط(٢).

ويعد عيد الأضحى المبارك وعيد الفطر العيدين الرئيسين بالنسبة للمجتمع بمنطقة عسير، وليس من أعياد أخرى لهم، توافقا مع ما جاءت به تعاليم الإسلام(٣).

ويلاحظ أن العيد في منطقة عسير هو تواصل وفرح وإحياء للتراث فيتميز العيد في منطقة عسير بطابعه الخاص والمميز الذي يستمده من التراث والعادات والتقاليد بالمنطقة ففي أيام العيد يمتزج تراث المنطقة بفرحة العيد الكبيرة لتتجلى فيها الابتسامة على شفاه الناس والألفة بين القلوب وروح السماحة والإخاء في أجمل صورها، وتتميز قرى منطقة عسير عن مدنها بتجلي مظاهر العيد فيها بشكل أكبر وأن كانت الفرحة لا

(١) موسوعة المملكة العربية السعودية، منطقة عسير، الرياض- مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤٢٨، ٣٥٤.
(٢) سبأ، مرجع سابق، ٤٣.
(٣) الغامدي، سعيد فالح: التراث الشعبي في القرية والمدينة، جدة - دار العلم ١٩٨٥، ٢٦٧.

تغيب عن مدنها.وكان للعيد قديما فرحة كبيرة جدا حيث يتم الإعلان عنه بعد رؤية الهلال ويقوم الناس بالاحتفال به بالرمي بالبنادق وفي صباح عيد الفطر اعتاد الناس على إخراج زكاة الفطر قبيل الصلاة وبعد أداء الصلاة لا يخرجون من المصلى حتى يصافح كل منهم الآخر ويتم بها إنهاء الخلافات وتسود روح التآلف والمحبة بعد ذلك يخرج الجميع إلى جميع منازل القرية منزلا تلو منزل وتبدأ بعدها تقديم الوجبات بالتناوب بين الأسر والتي اعتاد أهالي المنطقة الجنوبية خلال الأعياد. وكذلك من يقوم بنحر الاضاحي في عيد الاضحى يقوم الأب وأهل بيته بذبح أضحيته وتقسيمها إلى ثلاثة أقسام ما كان صدقة و هدية و لأسرته وحيث أن الفرحة بالعيد لم تتغير، والجميع يفرح لمقدمه ولكن العادات والتقاليد المتمثلة بالاحتفال تغيرت واختفى الكثير منها مثل الرمي عند رؤية هلال يوم العيد وذبح الاضاحي بالمنازل وتبادل الزيارات وصلة الرحم بين الأهل والجيران والأصدقاء والاستعدادات المبكرة للأعياد تغيرت تبعًا لمجريات العصر ليحل محل هذه العادات الاتصال الهاتفي أو تبادل التهاني عبر الأنترنت ورسائل الجوال. مما ينذر بانقراض العادات الاجتماعية المتمثلة في إظهار حرارة المشاعر بفرحة العيد وإطلالته ورغم ذلك يبقى للعيد دائمًا حنين واشتياق يأخذنا إلى ذكريات الماضي.

٢- **الزواج:** للزواج أهمية بالغة في المجتمع السعودي، فهو يعد تكملة للدين، وصيانة للشرف، ودلالة على وصول الشاب إلى سن الرجولة. وكان من أهداف الزواج في الماضي إضافة أيد عاملة تساعد في دعم النشاط الاقتصادي للأسرة، بالإضافة إلى ما يشكله الإنجاب من هيبة ومكانة للأسرة، علاوة على القوة الاقتصادية لها[(١)]وتعد مسألة الزواج عند سكان منطقة عسير من الركائز الأساسية في نظامهم الاجتماعي، وتعد أهميته لعدد من العوامل الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والزواج بشكل عام في إقليم عسير يتم بين الأقارب حرصًا على عدم نقلية

(١) الغامدي، سعيد فالح: مرجع سابق، ١٩٩.

ملك الأراضي الزراعية إلى عائلات أخرى عن طريق الإرث، وأن كان لا ينفي وجود حالات زواج من الفخذ أو من القبيلة نفسها أو القبائل المجاورة، ولذا كانت القبائل تحدد المهور فيما بينها، بحيث تكون المهور قليلة إذا كان المتزوج من نفس القبيلة، في حين تتاح الحرية لولي أمر الفتاة أن يطلب مهرًا كبيرًا إذا كان الخاطب من خارج القبيلة[١]. والواضح أنها قد انحسرت تلك العادة في فترة الدراسة (١٤٠٢ – ١٤٢٦هـ/ ١٩٨٢ – ٢٠٠٥م) نتيجة لتطور المفاهيم العامة حول أمر الزواج، وتطور المجتمع وتعلمه وثقافته إضافة إلى أن الفتاة لم تعد تتزوج في سن مبكرة كما كان الأمر في السابق، نظرا لاهتمام أهلها بمسألة تعليمها وإعدادها للحياة بشكل أفضل وقد تأثرت العادات والتقاليد في منطقة عسير بعوامل تطور كثيرة. منها التطور في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ووسائل الاتصال والهجرة أثر ذلك في تغير كثير من العادات والتقاليد القديمة، فأما الزواج فلم يحدث تغيير جذري بالنسبة لتقاليده في فترة الدراسة، نظرًا لأن ظاهرة الزواج لم يكن فيها أمور تتعارض مع الدين، ولكن نظرًا لتغير الظروف الاقتصادية بدأ الغلو في المهر وتكاليف الزواج في التزايد كما زادت الحالة الاقتصادية في النمو، وزادت تكاليف الزواج على العريس منها أنواع الهدايا الثمينة التي يقدمها الزوج للعروس وأقاربها والحفلات وقصر الافراح وما يتبعها من هدر في المال من الذبائح والبوفيهات المفتوحة لقسم النساء وإحضار القنوات الشعبية والشعار والمطربين والمطربات للنساء ويتبعها الفنادق الضخمة والسفر خارج المملكة مما يتبعه من نفقات زائدة.

٣- **الختان:** الختان أو الطهارة أو التطهير من المناسبات المهمة في منطقة عسير، وذلك لأنه في عدد من أجزاء المنطقة كان يؤخر ختان الصبيان حتى يبلغوا سنًا معينًا تختلف من جزء إلى أخر، ففي بعض المناطق كان يتم ختان الصبي من سن عشرة إلى خمسة عشرة عاما، وفي نواحي أخرى لا يتم ختانهم إلا بعد بلوغهم، وقد تصل بعض

---

(١) آل حامد: مرجع سابق ٤١٣.

أعمارهم إلى العشرين سنة[(١)]. وطريقة الختان وما يتبعه من احتفال، ظاهرة اجتماعية. فقديمًا كان الختان يأخذ صورة قاسية لا تطاق، وهي قيام المطهر أو المختن بسلخ أكبر جزء من الرغلة، وهذه العادة سيئة للغاية لما فيها من العذاب وشدة الألم. والويل والعار لمن لا يتحمل ذلك، ومن باب التشجيع يمسك الطهير بخنجرين أحدهما في اليد اليمنى والآخر في اليد اليسرى لكي يتحمل ويظهر أنه شجاع أمام الحاضرين ومنهم أمه وقريباته من النساء، فإذا ما حدث غير ذلك أو بكى من شدة الألم فإن ذلك يعد عارًا عليه وعلى أسرته وأخواله، حيث يصفونه بأنه ضعيف، وغالبا ما يرفض الفتيات الزواج من الفتى إذا ما بلغ مبلغ الرجال وكانت هذه العادة تقوم على أسس فالأولاد المراد ختنهم تقام لهم الحفلات والرقصات الشعبية وتقام الولائم، وتتجمع فيه القبيلة وربما بعض القبائل المجاورة لمشاهدة الختان ويكون الشباب المراد ختنهم في مكان بارز يشاهده جميع الناس، أما بالنسبة لختان الفتيات، فقد كان موجودا في السابق إلا أنه لم يكن يأخذ المظاهر المعتادة في حالة ختان الذكور، وغالبا ما كان يتم الأمر داخليا في وسط الأسرة عند بلوغ الفتاة أسبوعا فقط[(٢)].

ويلاحظ أن من أبرز العادات والتقاليد التي ميزت بمنطقة عسير قديما هي الختان، وتتم في سن كبير، في الخامسة عشر أكثر أو أقل، الختان كان عادة سيئة ومحرجة للشاب، ومكلفة اقتصاديا على الأهل والأقرباء، فتكاليف الختان أكثر من الزواج، ويتحملون الديون في سبيل ذلك، وكانت تصاحب عملية الختان الكثير من الطقوس الاحتفالية، التي قد تستمر لمدة ثلاثة أيام. وينتهي احتفال الختان، وتبدأ مرحلة العلاج التي قد تستغرق مدة طويلة، وأنه منذ العقد الاخير من القرن (١٤هـ – ٢٠م) وفي فترة الدراسة أصبح المجتمع بمنطقة عسير أكثر فهمًا ووعيًا، فتكاد تكون العادات

---

(١) موسوعة المملكة العربية السعودية، منطقة عسير، الرياض– مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤٢٨هـ، ٣٥٢.

(٢) الثقفي، يوسف علي: بلاد ثقيف، الرياض – وكالة شئون الشباب ١٩٩٢، ٦٦.

الغير متفقة مع الشرع اختفت تمامًا، ومنعت عادة السلخ التي درجت علي استعمالها القبائل في منطقة عسير، وتقلصت الاحتفالات التي كانت تصاحب عملية الختان حتى اختفت تمامًا، وذلك مع تطور ثقافة المجتمع وتعلمه والتطور الذي حصل في المجال الصحي ومنع الدولة لهذه العادة فقد اختفت اختفاء تام في منطقة الدراسة وسار يختن الطفل في سن مبكر من عمره وعن طريق المراكز الصحية والمستشفيات الحكومية والاهلية بأشراف اطباء متخصصين في الجراحة واندثرت الحفلات التي كانت تقام بهذه المناسبة.

٤- **المأتم**: تختلف العادات الخاصة بشأن الموت والدفن في المجتمع السعودي كغيرها من العادات، فلكل منطقة لها أسلوبها الخاص في التعامل مع تلك الحالة، وأن اتفقت الطقوس فيما يخص الجانب الديني المتعلق بالغسل وصلاة الجنازة وكيفية الدفن وهو أمر شرعي تتفق عليه المجتمعات الإسلامية كافة ولم تتغير العادات الاجتماعية الخاصة بالوفاة، ولكن التغير يظهر في اختفاء الوليمة التي كان يقيمها أهل الميت، وعرف أهل المنطقة أن هذه بدعة ليست من الدين في شيء، ومن ثم اندثرت هذه العادة في منطقة الدراسة[١].

٥- **الألعاب الرياضية**: تعددت الألعاب الشعبية في منطقة عسير بأنواعها وأشكالها ومنها: - الألعاب الشعبية- الألعاب الرياضية - الرقصات والأهازيج الشعبية - سباق الأبل «الهجن» - سباق الخيل «الفروسية»[٢].

٦- **الأطعمة والأشربة**: ومن الأكلات الشعبية التي تميزت بها المنطقة على سبيل المثال: العريكة وتصنع من خبز الذرة،العصيدة وتصنع من دقيق الذرة الخضراء،

---

(١) البشري، إسماعيل بن محمد: ملامح من تطور الحياة الاجتماعية في عسير، مجلة الدرعية، السنة الأولى، العددان الثالث والرابع، رجب- شوال ١٤١٩هـ/ نوفمبر ١٩٩٨م- يناير ١٩٩٩م، ٢١٦.

(٢) جريس: القول المكتوب في تاريخ الجنوب « أبها وعسير»،٥: ٣٤٨.

المرضوفة والحسوة وتصنع من البر، المربوث وهو خبز مصنوع من خليط العدس والبر[١]، المبثوث، المرمودة، الرغافين تصنع من البر، المعرق يصنع من مرقة البصل والطماطم مع قطع اللحم، الحميص هي عذق الذرة تشوى على الجمر وتؤكل[٢].

٧- **المشروبات:** القهوة، الشاي، الزنجبيل، اللبن والحليب، العصائر[٣].

المبحث الرابع
المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية بمنطقة عسير

«تعود أهمية دور المرأة في الحياة الاجتماعية بمنطقة عسير في أنها تمثل نصف المجتمع،وزيادة نسبة السيدات داخل نطاق ومجال العمل دليل على صحة المجتمع اقتصاديًا واجتماعيًا، ودليل على أن المجتمع يستغل قواه البشرية بشكل متكامل»[٤].

وقد تضمن الأهداف العامة لخطط التنمية بالمملكة العربية السعودية التركيز على العنصر النسائي للمشاركة في عملية التنمية بتوسيع مجال العمل ومشاركتها الاجتماعية، كما اعتمد تعليم البنات في خطط التنمية الثانية (١٣٩٥ - ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٥ - ١٩٧٩م) على التعليم العام ابتدائي ومتوسط وثانوي ومعاهد معلمات ومحو أمية وتعليم فني، إضافة تخصصات جديدة تتعلق بالمهن المناسبة للمراءة[٥].وقد

---

(١) الشهري، صالح علي: كتاب تنومة بني شهر، مطابع جامعة الملك سعود.١٤١٥، ٧٢.

(٢) العيسى، عباس محمد زيد: موسوعة التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية، المأكل والمشرب، الرياض- وكالة الآثار والمتاحف ١٩٩٨،٥: ١٩.

(٣) عبد الرحمن وأخرون: بلاد عسير «أبها»،١٧٠.

(٤) أبو الجدايل، عائشة: عمل المرأة في المملكة العربية السعودية، أبحاث مؤتمر دور المرأة السياسي والحضاري عبر العصور، مركز البحوث من ٢-٣ مايو ٢٠٠١، ٢٩٢.

(٥) وزارة الاقتصاد والتخطيط، خطة التنمية الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٤٠٠هـ، المملكة العربية السعودية، ٣٤-٤٢٣.

اقتصر دور المرأة في منطقة عسير قبل توحيد البلاد على تربية الأولاد والمحافظة على بيتها وجلب الأخشاب لاستعمالها في الوقود، وكذلك تصنيع الألبان والجبن، ومساعدة الرجل في الزراعة والحصاد، بالإضافة إلى قيامها بالرعي وبتصنيع بيوت الشعر أو الخيام، كذلك كانت تقوم ببعض الصناعات اليدوية لاستخدامها للبيت وللأسرة، ومع التطور الذي حدث في منطقة عسير في فترة الدراسة (١٤٠٢-١٤٢٦هـ/ ١٩٨٢ - ٢٠٠٥م) فقد برز عمل المرأة بمنطقة عسير في التدريس الذي أتى في المقدمة يليه العمل في القطاع الصحي وهما القطاعان ذو النصيب الأكبر في عمل المرأة ثم قطاع الشؤون الاجتماعية ثم الاقتصاد ثم الأعمال الخاصة، ونتيجة مساهمة المرأة في الميدان العملي أثبت كفاءتها في المهن التي قامت بها أو وكلت إليها[١].

(١) البشري: ملامح من تطور الحياة الاجتماعية في عسير، ١٢٢.

المراجع

١- أبو الجدايل، عائشة، عمل المرأة في المملكة العربية السعودية، أبحاث مؤتمر دور المرأة السياسي والحضاري عبر العصور، مركز البحوث من ٢-٣ مايو ٢٠٠١م.

٢- أبو ملحمة، عبد الله بن سعيد، عسير التاريخ والحضارة والسياحة، مقال بمجلة الجنوب – عسير السياحة، صدر عن اللجنة السياحية بالغرفة التجارية الصناعية بأبها، ١٩٩٩م.

٣- البشري، إسماعيل بن محمد، ملامح من تطور الحياة الاجتماعية في عسير، مجلة الدرعية، السنة الأولى، العددان الثالث والرابع، رجب- شوال ١٤١٩هـ/ نوفمبر ١٩٩٨م- يناير ١٩٩٩م.

٤- التقرير الاقتصادي، منطقة عسير، الرياض: الهيئة العامة للاستثمار SAGIC، ٢٠٠٧م.

٥- الثقفي، يوسف علي،بلاد ثقيف، الرياض: وكالة شئون الشباب، ١٩٩٢م.

٦- الجبالي،عبدالله سليمان، نشاطات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض ١٩٩٨م.

٧- جريدة البلاد – عدد يوم الاثنين ٢٣/ ٢/ ١٣٩١هـ.

٨- جريس، غيثان بن علي، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، أبها: مطابع مازن، ١٤١٣هـ.

٩- جريس، غيثان بن علي، العادات والتقاليد في عسير من خلال الوثائق، الرياض: مجلة العرب،ج ٧، ٨، س٢٨، محرم/ صفر ١٤١٤هـ- تموز/ (يوليو- أغسطس) ١٩٩٣م، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

١٠- جريس، غيثان بن علي، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، «الباحة وعسير»، ج٥، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠١٣م.

١١- آل حامد، عبد الرحمن بن عبدالله بن عائض، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٦هـ.

١٢- الخريجي، عبد الله، الضبط الاجتماعي، جدة: رامصان للنشر، ط٢، ١٩٨٢م.

١٣ - الخريجي،عبدالله، علم الاجتماع العائلي القاهرة: دار الثقافة للنشر، ١٩٨١م.

١٤- الزهراني، عبد الله،موسوعة المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك عبد العزيز، ١٤٢٨م.

١٥- سبأ، صالح محمد عبد الصمد،تطور العادات والتقاليد والفنون الشعبية في المجتمع السعودي المعاصر في الفترة ما بين (١٩٥٠- ٢٠٠٥م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الآردن: الجامعة الأردنية، ٢٠٠٦م.

١٦- آل سحيم، سعيد سعد، محافظة سراة عبيدة «تاريخ وحضارة تقاليد وعادات»، الرياض: مكتبة الملك فهد، ١٤٢٥هـ.
١٧- السرياني، محمد محمود، ملامح التحضر في المملكة العربية السعودية خلال الفترة من ١٩٠٢- ١٩٨٨م، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٦٣، الكويت ١٩٩٠م.
١٨- السنيدي، عبد العزيز راشد، الربيعية، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود،١٤١٤هـ.
١٩ - آل شبيلي، محمود بن محمد، الشارق في تاريخ وجغرافية بلاد بارق، الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠١م.
٢٠- الشثري، محمد ناصر، الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، الجزء الأول،الرياض ١٤١٧هـ.
٢١- الشهري، صالح بن علي أبو عواد، سلسلة هذه بلادنا (٤٦) تنومة بني شهر، الرئاسة العامة لرعاية الشباب،١٩٩٤م.
٢٢- الشهري، ليلى بنت عبد الرحمن، الملابس والمنتجات التقليدية وزخارفها في منطقة عسير - دراسة ميدانية -، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض: كلية التربية للاقتصاد المنزلي والتربية الفنية بالرياض.
٢٣- عبد الرحمن، نورة بنت محمد بن سعود، العنقري، الجوهرة محمد بن عبد الرحمن، المجروش، مديحة محمد، بلاد عسير «أبها» المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية.(د.ت).
٢٤- العثيمين، عبدالله الصالح ، معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد، الرياض، ط(٢).
٢٥- العنزي، مطر بن عايد، رفحا، وكالة شئون الشباب، الطبعة الأولى،٢٠٠١م.
٢٦- العنزي، صالح حماد،الحياة الاجتماعية في منطقة الجوف خلال القرن العشرين، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن ٢٠٠٢م.
٢٧- العيسى، عباس محمد زيد، موسوعة التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية، المأكل والمشرب، الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، ج ٥، ١٩٩٨م.
٢٨- الغامدي، سعيد فالح التراث الشعبي في القرية والمدينة، دار العلم، جدة ١٩٨٥م.
٢٩-قاضي، إبراهيم وآخرون: تخطيط المدن في المملكة العربية السعودية، الرياض،شركة الطباعة المحدودة، ١٩٨١م.
٣٠- القحطاني، محمد مفرح وآخرون: السياحة، الأسس والمفاهيم، دراسة تطبيقية على منطقة عسير، دار العلم للطباعة، جدة ١٤١٧هـ.
٣١-المانع،محمد،توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبدالله العثيمين، الطبعة الأولى الدمام ١٩٨٢م.

٣٢- آل مريح، صالح محمد: بن جابر، نجران، الرياض، الإدارة العامة للنشاطات الثقافية، ١٩٩٢م.

٣٣- المصدر الوطني للوثائق والمحفوظات. دليل الترميز الموحد للمناطق والمحافظات والمراكز الإدارية. بيانات غير منشورة.

٣٤- موسوعة المملكة العربية السعودية، منطقة عسير، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٨هـ.

٣٥- النعيمي، هاشم بن سعيد، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩م.

٣٦- وزارة الاقتصاد والتخطيط، خطة التنمية الثانية، ١٣٩٥/ ١٤٠٠هـ، المملكة العربية السعودية.

٣٧- وزارة الاقتصاد والتخطيط، مصلحة الإحصاء العامة والمعلومات، النتائج التفصيلية للتعداد العام للسكان والمساكن في منطقة عسير عام ١٤١٣هـ.

المراجع الأجنبية

- Paul B.Horttom-chester Hunt "Sociology" 2nd. Ed. Me Grawhill Book co- 1968.

- PHILBY، HARRY St. JHON، The Arabian highlands، Washington,1952.


مجلة التربية النوعية والتكنولوجيا (بحوث علمية وتطبيقية)
Journal of Specific Education and Technology (Scientific and Applied Research)

العدد الثامن – يونيو 2021

جماليات الفن الجداري العسيري (القط) كمدخل لأثراء تصميم مكملات الأزياء

The aesthetics of Al-Asiri wall art (Al-Qat) as an entry point for the enrichment of fashion supplement design

د. فاطمة عبد الله العيدروس
استاذ تصميم الازياء المساعد -قسم تصميم الازياء
جامعة ام القرى

ملخص البحث:

يعد الرسم الجداري من أقدم أشكال التعبير الإنساني التي عرفها الإنسان، وتعتبر منطقة عسير من مناطق المملكة العربية السعودية التي تذخر بالنقوش الفنية التشكيلية الشعبية الجدارية وعرفت باسم (فن القط) وتنوعت ما بين الاشكال الهندسية والزخرفة النباتية، ويعد مجال تصميم مكملات الملابس من المجالات الثرية التي تحوي ابتكاراً وتنوعاً بين كل قطعة وأخرى ، وقد كان التطور في عالم المكملات يصاحب التغير في نوعيات الملابس؛ حيث أن نوع المكمل وأسلوب استخدامه وليد فكر مصمم الملابس، وهي تعتبر متطلب من متطلبات الاناقة لذا كان من الضروري التنوع في زخرفتها وابتكار حلول جديدة لإنتاجها، لذا هدف البحث الى الاستفادة من جماليات عناصر الفن الجداري العسيري (القط) لاستحداث مجموعات تصميميه لمكملات أزياء معاصرة تحافظ على اصالة الماضي من خلال التجريب ببرامج الرسم بالحسب الالي، واتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل عناصر فن القط العسيري، الى جانب المنهج التجريبي في إجراء العديد من التجارب التصميمية لاستحداث مجموعات لمكملات أزياء معاصرة، واسفرت النتائج عن ثراء زخارف القط العسيري بالعديد من القيم الفنية والجمالية الملهمة، وإمكانية توزيع مفردات القط العسيري على مكملات الأزياء؛ حيث تم تصميم (9) مجموعات لمكملات الأزياء تتوافق مع ألوان القط العسيري، وتمتاز بالتنوع والابتكار والمعاصرة مع الحفاظ على سمات هذ الفن الشعبي، اما اهم التوصيات فهي التعمق في دراسة القيم الجمالية والفنية التي تذخر بها الفنون التراثية السعودية بمختلف أنواعها والاستفادة منها كمصدر الهام يساعد على فتح افاق جديدة للتفكير الإبداعي لإيجاد حلول تصميمية في مجال الأزياء ومكملاتها

الكلمات المفتاحية:

الفن الجداري Mural Art-القط العسيري Al-Qatt Al-Asiri -مكملات الأزياء Fashion Accessories.

المقدمة:

"الفنون لغة تنقل إحساس الفنان من أعماقه الداخلية بطريقة تعبيرية مغايرة للمعتاد يكتنفها الجمال وعمق الحس، يظل هذا الإحساس ماثلاً في مخيلة المتلقين، ويصعب تجاهله، أو نسيانه. لذا كانت الشعوب تلجأ إلى الفنون" (الفوزان، 2018، ص31)، "والتراث الشعبي يعُرف بأنه مجموعة الفنون الدارجة والمتعارف عليها بين افراد كل مجتمع من المجتمعات العربية والإسلامية، وهي تتصف بالعراقة والقدم مع الحيوية وايضاً بالقدرة على مجاراة العرف والعادات. وتنبع رموزها التشكيلية من روح الجماعة الشعبية، في تعبيرات مادية تتسم بالتلقائية والتجريد"(عبد العظيم،2005، 40)؛ وتشمل الفنون الشعبية التعبيرات الروحية كفنون الادب الشعبي والتعبيرات المادية كفن الرسم والنقش والنحت والازياء والصناعات الشعبية الأخرى وهي فنون فطرية يقوم بها اشخاص من عامة الشعب يتمتعون بثقافة عادية (الشوربجي، 2006، 664).

ويعد الرسم الجداري من أقدم أشكال التعبير الإنساني التي عرفها الإنسان، وذلك قبل أن تظهر الكتابة بزمن كبير، واتخذت الرسوم شكلاً واقعياً في بعض الأحيان، ورمزياً في أحيان أخرى (خوجلي،2017، 805)، فلا

يكاد يخلو أي بلد من الشواهد والفنون القديمة التي سجلت على جدران الكهوف والمنازل، فهي تحمل مخزوناً ثقافياً ودينياً وجمالياً أبدعها الناس آنذاك (القحطاني، 2019، 77).

وتعتبر منطقة عسير من مناطق المملكة العربية السعودية التي تذخر بالنقوش الفنية التشكيلية الشعبية الجدارية وعرفت باسم (فن القط) وتنوعت ما بين الاشكال الهندسية والزخرفة النباتية، وخلت من اشكال الأرواح (العسيري واخرون، 2017، 449).

عرف فن القط العسيري منذ مئات السنين في بلاد تهامة والذي ظهر على يد المرأة العسيرية وهو يعد من الفنون المهمة في جنوب المملكة العربية السعودية، حيث دخل العالمية، وذلك بعد أن أدرجته منظمة اليونيسكو عام 2017 ضمن قائمة التراث الثقافي غير المادي (الفوزان، 2018، ص31)، ويعد التراث العسيري من أهم العناصر الفنية لما به من ثراء فني وقيم جمالية تجعله مصدراً مهماً للإبداع والابتكار والتي من خلاله قام (الصعيدي والهاشل،2020، 573) بابتكار تصميمات للمعلقات النسجيه لتأكيد الهوية السعودية وسط تيار العولمة والحفاظ على التراث وتحويله بمضمون معاصر يحمل صفات الأصالة والمعاصرة السعودية برؤية فنية تعبيرية، وهذا ما سعت اليه جميع الدراسات المرتبطة بالفن وتصميم الازياء حيث استفادت (قربان، 2020 ، 38) من معطيات هذا الفن في اثراء الاتجاهات المعاصرة لأعمال الفن التشكيلي والمشغولات المعدنية كتذكارات سياحية، واستحدثت (زكريا، 2019 ،481،461) تصميمات معاصرة للمعلقات النسيجية المطبوعة مستوحاة من جماليات زخارف القط والاستفادة منها في تجميل الفنادق السياحية، ودراسة (حجي، 2020، 31) التي اكدت مفهوم الأصالة والتراث من خلال الاستلهام من فن القط العسيري في تصميم وتنفيذ مشغولات نسجيه وتوظيفها في خطوط الأزياء، ودراسة (العسيري واخرون، 2017، 449) حيث تمكن الباحثات من الاستلهام من مقومات وسمات هذا الفن لأثراء الأزياء بنائياً وزخرفياً واكدت على أهمية المحافظة على التراث بصورة معاصرة؛ وكما في دراسة (الدعجاني، 2016، 159) التي وظفت زخارف القط في قطع متنوعه من المنسوجات باستخدام التطريز الالي. ومن خلال دراسة التراث وتحليل عناصره الزخرفية يمكن إنتاج أعمال فنية تحمل سمة الأصالة والمعاصرة لإثراء مجال الفنون التشكيلية وإحياء التراث وحمايته من الاندثار (مصطفى،2013، 123)؛ لذا فإن إعادة إحياء التراث فكرياً وموضوعياً من خلال الفنون تعد هدفاً ذا أبعاد مستقبلية متطورة أكثر منها عودة للماضي أو تمسكاً بالتاريخ (مرزوق، 2010، 20) حيث أوضحت دراسة (القحطاني، 2019، 93) دور القط العسيري في إثراء الإنتاج الفني المعاصر في الساحة الفنية ودور الفنانين والفنانات التشكيلين للمنطقة في توظيف القط على أسطح اللوحات وجعله أيقونة التراث لنقله للأجيال القادمة بشكل معاصر وبلغة فنية مرموقة.

"يعد مجال تصميم مكملات الملابس من المجالات الثرية التي تحوي ابتكاراً وتنوعاً بين كل قطعة وأخرى فكل منها له سمات فريدة تميزها عن الأخرى" (السيد واخرون،2018، 210)، والعصور المختلفة مليئة بأفكار عديدة مبتكرة لأشكال مكملات الملابس، وقد كان التطور في عالم المكملات يصاحب التغير في نوعيات الملابس؛ حيث أن نوع المكمل وأسلوب استخدامه وليد فكر مصمم الملابس، ورغم صغر حجم المكمل نسبيا بالنسبة للزي بأكمله الا انه هام لإكمال المظهر الخارجي (خلف، 2018، 297)؛ الى جانب اعتبارها من العوامل الهامة التي توضح مدي الوعي الحضاري لمرتديها، كما انها تعتبر متطلب من متطلبات الاناقة لذا كان من الضروري التنوع في زخرفتها وابتكار حلول جديدة لإنتاجها (محمد، 2021، 136)، فنجد اهتمام الباحثين المتخصصين في مجال الأزياء بالبحث عن مصادر الهام جديدة كدراسة (نصر، 2018، 321) التي اعتمدت على الاستلهام من الفن الافريقي في ابتكار مجموعة تصميمة لمكملات الأزياء، واعتمدت دراسة (السيد واخرون، 2018، 210) على فن الجرافيتي كمصدر الهام لتصميم مكملات ملابس طباعية لرفع المستوى الفني لتصميم مكملات الملابس، وابتكر (السيد واخرون، 2018، 435) مجموعة تصميمات طباعية لأقمشة مكملات الملابس من الحركة السريالية المصرية تواكب تكنلوجيا العصر، وهذا ما ارتأته الباحثة في الاستفادة من جماليات فن القط العسيري كمصدر جديد لتصميم مكملات الأزياء.

مشكلة البحث:

يعتبر تصميم مكملات الأزياء من الفنون التي تمتاز بالتجديد المستمر عبر الزمن ويحدث ذلك عن طريق ابداع المصمم في إيجاد مصادر تكون نقطة انطلاق للأبداع والالهام لذلك اعتمدت الباحثة على اتخاذ الفن الجداري العسيري (القط) كمصدر للإلهام لثرائه بالمفردات التي تحتوي على قيم جمالية تطلق العنان لاستحداث مجموعات تصميمية لمكملات الأزياء ترتبط الى حد كبير ببنية الشكل واللون الخاص بهذا الفن وتكون عصرية بطابع تراثي. وعلى ضوء ما سبق فإن إشكالية البحث تتمحور حول التساؤل التالي:

- هل يمكن الاستفادة من جماليات الفن الجداري العسيري (القط) في تصميم مكملات للأزياء تسهم في الحفاظ على مقومات الهوية التراثية؟

اهداف البحث:

1. دراسة وتحليل مفردات الفن الجداري العسيري (القط).
2. الاستفادة من جماليات عناصر الفن الجداري العسيري (القط) لاستحداث مجموعات تصميميه لمكملات أزياء معاصرة تحافظ على اصالة الماضي من خلال التجريب ببرامج الرسم بالحسب الالي.

فروض البحث:

حتى تجيب الباحثة عن تساؤل المشكلة تفترض الفرض الرئيسي التالي:
إمكانية تصميم مكملات للأزياء تمتاز بالحداثة والأصالة من الفن الجداري العسيري (القط).

وتتفرع منه الفروض التالية:

1. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعات التصميمية المقترحة في ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين.
2. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعات التصميمية المقترحة في الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين.
3. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعات التصميمية المقترحة وفقا لأراء المتخصصين.

أهمية البحث:

يسهم البحث في التأكيد على أهمية الحفاظ على الفنون التراثية من الاندثار من خلال المساهمة في توثيق مفرداتها من زخارف واشكال والوان، وكيفية الاستفادة منها في طرح أفكار تصميمية تمتاز بالأصالة والمعاصرة التي تساير الموضة العالمية للارتقاء بالذوق العام الذي يحافظ على الهوية الثقافية للتراث السعودي في قطاع الأزياء.

منهج الدراسة:

يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل العناصر المتميزة والمتكررة لفن القط العسيري، الى جانب المنهج التجريبي في استخدام التصميم الرقمي بالحاسب لإجراء العديد من التجارب التصميمية المبتكرة لاستحداث مجموعات لمكملات أزياء معاصرة تحافظ على اصالة الماضي.

ادوات البحث:

- المقابلة الشخصية؛ حيث تم اجراء مقابله مع زهرة فايع الألمعي وهي أحد الحرفيات في القط العسيري منذ 27 عاماً، وتم ايضاً اجراء مقابله مع خيار محمد الشهراني ولديها خبره 42 عام في النقش العسيري، ولهم العديد من المشاركات والاعمال محلياً ودولياً، وكان التواصل من خلال الاتصال الهاتفي والبريد الالكتروني للإجابة عن مجموعه من الأسالة التي تجيب عن استفسارات تتعلق بمفردات زخارف القط العسيري.
- استبيان تقييم المتخصصين للتصميمات المقترحة.

حدود البحث:

الحدود المكانية: منطقة عسير وتقع في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية

الحدود الموضوعية واقتصرت على:

- دراسة وتحليل الفن الجداري العسيري (القط) والتعرف على مفرداته.
- عرض القيم الفنية والجمالية لمفردات القط العسيري.
- مكملات الأزياء.
- تصميم مجموعات لمكملات الأزياء وعددها (9) ببرامج الرسم الرقمية بالحاسب مستوحاة من مفردات الفن الجداري العسيري (القط).

مصطلحات البحث:

الفن الجداري (Mural Art):

وهو أي عمل فني نفذ على الحائط أو على الأسقف والأرضيات والنوافذ لتأخذ الطابع الجداري (عباس،2016، 6).

وهو فن من الفنون القديمة يتم عن طريق زخرفة الجدران وتزيينها والرسم عليها بمواد وألوان مختلفة وتكون داخل المباني أو خارجها (العسيري واخرون، 2017، 449).

عرفه مسلم (2019، 436) بأنه مقدرة الفنان التعبيرية في صياغة السمات والخصائص التي تمثل بيئته ومجتمعه من خلال التعبير الشكلي فيتم التعرف وتمييزه عن مجتمعات أخرى من خلال ما يمكن إن يضعه الفنان في فكرة ما عندما ينظم المفردات المختلفة في تنظيم تعبيري في الرسم الجداري.

ويعرفه البحث بانه ذلك الفن الذي عرف منذ القدم وتطور عبر العصور والذي عبر عن سمات المجتمعات المختلفة، وتم تنفيذه على الجدران الداخلية والخارجية بمساحات متفاوتة ومواد متنوعة.

منطقة عسير (Aseer Province):

تقع منطقة عسير في وسط الجزء الجنوبي الغربي للمملكة، وتقدر مساحة المنطقة بنحو (80,000) كيلو متراً مربعاً، وتمتد منطقة عسير من حدود الدرب والشقيق وبيش في الجنوب الغربي إلى حدود اليمن في الجنوب الشرقي، ومن حدود وادي الدواسر (منطقة الرياض) في الشمال إلى رنيه (منطقة مكة المكرمة) إلى غامد وزهران (منطقة الباحة) إلى منطقة مكة المكرمة في السهل الساحلي التابع للقنفذة، كما تحدها من الشرق إمارة منطقة نجران، ومن الغرب محافظة القنفذة وجزء من ساحل البحر الأحمر، وتشتهر المنطقة بالطبيعية الجغرافية الوعرة والمتنوعة (وزارة الداخلية، 2021).

القط العسيري (Al-Qatt Al- Asiri):

ذكر مغاوي (2004) ان كلمة " قط" في معاجم اللغة العربية تعني "خط" أو " نحت" أو " قطع ".

والقط العسيري هو فن سمي بالقط، أو الزيان، حيث يزين جدران البيوت بالألوان والاشكال الهندسية، وكل جزء له اسم وغرض ولون، وهو أقرب إلى الفن التجريدي (الفوزان، 2018، 31).

وعرفه مرزوق (2010، 88) انه عباره عن زخارف تجريدية تتسم بالفطرية والتلقائية والدقة في الأداء وفق تقاليد وعادات متوارثة، تتكون من خطوط وألوان ومساحات، رسمت بأسلوب زخرفي تقليدي اكتسبت عن طريق المشاهدة والممارسة.

ويعرفه البحث انه مجموعه من الخطوط والاشكال والألوان المتكاملة في عمل فني ابداعي استمد أبعاده ودلالاته من الثقافة المحيطة بالمجتمع العسيري.

مكملات الأزياء (Fashion Accessories):

هي إضافات أو قطع تصاحب الملبس الرئيسي وتؤدي إلى الأناقة وتضم حقائب اليد والجوارب والأحزمة والقفازات وأغطية الرأس والحلي بأنواعها وأشكالها المختلفة (احمد،٢٠١٠، ٣٨٩)، وتعني شيء لاحق أو إضافي أو كمالي، يضاف للملابس بغرض الزينة (محمود وعلي، ٢٠٠٩، 16)

ويعرفها البحث بانها القطع التي تضاف على الأزياء كلمسات نهائية تزيد من جمال ورونق الأزياء ولا يكتمل بدونها، وتجعل الفرد في مظهر متكامل، وهي اما ان تكون قابلة للارتداء او الحمل.

الدراسة النظرية:

اولاً: القط العسيري:

يعد فن زخرفة الجدران (القط العسيري) من صلاحيات المرأة التي تدل على علاقتها الفريدة والحميمة مع البيت، وتأتي مهارة النقش الجداري إما من التقليد من الأمهات أو من تعليم امرأة موهوبة، وقد يكون هذا النشاط منزلياً أو تخصصياً، فردياً أو جماعياً، ولكنه جماعي أكثر منه فردي (موجيه، 2009، 66، 67).

"والقط أو فن نقش المنازل من الداخل، هو من ألوان الفنون التي تشتهر بها منطقة عسير وخاصة بلاد رجال ألمع" (قربان، 2020، 34)، "وروى معظم كبار السن في قرية رجال المع أنهم لا يعرفون كلمة " قَطّ" إلا في السراة، وأنها غير مستخدمة في تهامة، وهم يعرفون هذا الفن بالنقش أو الزَّيان" (مريع،2010)، ولم يتم تحديد تاريخ زمني لبداية هذا الفن، "إذ أن الفنانات الشعبيات منذ قديم الزمان نشأن على القط متوارثين ذلك من أمهاتهم وجداتهم، ولا يعرفن من أول من ابتدع هذا الفن ولايزال هذا الفن متوارث إلى وقتنا الحاضر" (القحطاني، 2019، 79)، وهذا ما أكدته الفنانة زهره الالمعي في حديثها عن اصل مسمى "القط" وتاريخ نشاءته التي لم يتمكن المؤرخين من تحديدها.

"وعلى الرغم من انتشار النقوش الجدارية في معظم مناطق عسير إلا أنها تزدهر في بلاد قحطان وقرية رجال المع" (الجواهرة،2005، 277)، وتختلف الزخارف باختلاف القرى والمحافظات؛ فتكون الزخارف في بلاد شهران مكونه من اشكال هندسية وخطوط بسيطة، اما "في بلاد قحطان غلب طابع البساطة والتلقائية في رسم المزهريات والطيور والأشكال الهندسية والنباتية" (عارف،2016، 117-118).

وازدهرت فنون وعادات وتراث المنطقة وتميزت بشكل كبير لما تتمتع به المنطقة من طبيعة ساحرة، وبفضل تمسك الأجداد والآباء لتلك الفنون وحفظها للأجيال القادمة، ويمثل القط العسيري فناً مستقلاً له دلالاته الاجتماعية (قربان، 2020، 35)، حيث وضحت زهرة الالمعي ان كثافة الزخارف وتنوعها تختلف على حسب المكانة الاجتماعية لمالك المنزل؛ فتكون أكثر كثافه وتنوع في منازل ميسوري الحال واقل كثافه في منازل البسطاء.

ويعد هذا الفن في غاية من الابداع والجمال، ومن المعروف ان هذا الفن هو فن تجريدي لا تتمثل فيه اشكال العالم المادي وان الشكل واللون لهم دور؛ حيث تصف الألوان بياض القلوب وألوان الورود واصباغ التربة الموجودة في الجبال، أما الخطوط فكأنها تعرجات الاودية وتضاريس الشعاب (العسيري واخرون،2017، 451)؛ حيث تستمد الوحدات الزخرفية الهندسية المجردة والنباتية والاشكال الرمزية من معطيات البيئة كالنباتات والجمادات، والخطوط الأفقية من المدرجات الزراعية المتتابعة، بينما كونت الجبال الخطوط الرأسية (زكريا،2019، 469)، "ولابد من الاقتناع بأن الفن الزخرفي يرتكز على الحس والذوق قبل الحسابات الرياضية الدقيقة؛ وذلك بالإيقاع والتناظر والتراكب" (موجيه،2009، 17).

بنائية وحدات زخارف القط العسيري:

يتم تصنيف الوحدات الزخرفية إما على حسب أهمية الوحدة وشيوعها في منطقة عسير او على تشابه الوحدات من حيث الشكل أو الهيئة أو الابعاد أو المقاسات فهناك على هيئة مربع أو مستطيل أو اشرطه

زخرفيه (عريضة ومتوسطة ورفيعة) (الدعجاني،2016، 41)، وسوف يتم توضيح بنائية زخارف القط العسيري للبحث الحالي على حسب أهمية الوحدة وشيوعها.

وتتمثل أولى خطوات العمل الفني لزخرفة الجدار في اعداده من خلال الرجال حيث تكسي الجدران الحجرية بطبقة مستوية تعرف لدى الحرفين بالمنطقة "باللياسة الجصية "على سطح الجدار، وبعد جفافه تقوم المرأة بتقسيمه إلى مساحات متناسبة مع مساحة واتجاه الأسطح الجدارية، مثل الجدار المواجه لاستقبال الزائرين أو الذي يقع في صدارة غرفة القهوة، فينفرد بتصميم متكامل يشبه السجادة أو الإطار الفني وعرف باسم "البتره" صورة (1)، وغالباً ما تحتل صدارة واجهة أحد الجدران بقرية رجال المع وتكون مرتبطة بالمجلس المخصص للرجال (عارف،2016، 117- 118)، "وهي الركيزة الأساسية في البيت العسيري، ووظيفتها دعم العارضة التي تشكل العنصر المحوري لسقف المنزل، وهي مؤشر اقتصادياً واجتماعياً بالغ الأهمية حيث إن طولها يحدد طول غرفة الجلوس وهي شهادة على درجة الثراء"(حجي،2020 ، 8)، "وهي كتلة معمارية تتوسط المجلس غالباً وتكون غير مرغوب بها فتحولها الفنانة الشعبية إلى عنصر

مهم يحظى بالعناية والاهتمام" (القحطاني، 2019 ،86)، وتجمع بداخلها جميع مفردات النقش العسيري، وكما ذكرت خيار الشهراني ان البتره كانت تندر في بني شهران وتستبدل بالمحراب الذي يتكون من خطوط عريضة في منتصف الجدار صورة (2)، وفي حالة امتداد وتمدد الجدار طبقاً لتصميم الفراغ المعماري، يتم تقسيم الجدار بصورة متناسبة مع حركة واتجاه الخطوط

المعمارية مثل الدرج والأركان وإطارات الأبواب والنوافذ والكوات (عارف،2016، 117) صورة (3-4-5-6-7).

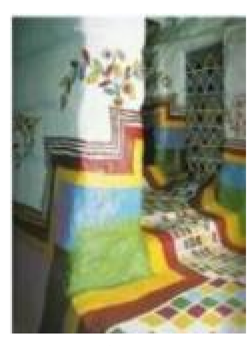


صورة (1) البتره – رجال المع



صورة (2) المحراب – بلاد شهران
(تصوير خيار الشهراني)


صورة (3) الدرج – رجال المع
(عارف، 2016)


صورة (4) الدرج – بلاد قحطان (عارف، 2016)


صورة (5) الاركان – رجال المع
(موجية، 2009)


صورة (6) الابواب – رجال المع
(موجية، 2009)


صورة (7) النوافذ – بلاد قحطان
(موجية، 2009)

اما الاسطح الجدارية للغرف ومقدمة المنزل كانت تقسم الى ثلاثة اقسام:

1- جزء علوي يمثل الفراغ ويكون خالي من الزخارف.
2- منتصف الجدار الذي يمتد على مستوى النظر ويحتوي على العديد من المفردات الزخرفية التي تضم جميع أنواع الأشرطة الرفيعة والمتوسطة والعريضة وتتركب من (الارياش والبناه والختام والحظية والمثالث والمخامس والعماريات) والتي يوجد بداخلها مفردات مكونه لها.
3- الجزء السفلي ويحتوي على خطوط متوازية طوليه أو عرضية، أو مساحة لونيه كامله على امتداد الجدران السفلية.

ويقوم هذا الفن على رسم خطوط رئيسية مستقيمة باللون الاسود أفقياً وعمودياً، تتقاطع معها، وفي داخلها خطوط ثانوية، لتشكِّل مساحات هندسية متفاوتة المقاييس وذات إيقاع متكرر، ويتم تلوين المساحات المتشكلة من تقاطعات الخطوط بألوان مختلفة يغلب عليها الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر الرملي. بحيث يبقى الرسم في صيغته النهائية ذا بُعدين: طول وعرض، ولا عمق ولا بُعد ثالث (الالمعي، 2014)، وتقوم الحرفية بالنقش على الجدران والبدء فيه من الأعلى الى أسفل كما ذكرت وأكدت على ذلك زهرة الالمعي.

القيم الفنية والجمالية لمفردات القط العسيري:

تعتمد زخارف القط العسيري على عناصر التصميم التشكيلية في بنائها والذي يعتبر أساس الاعمال الفنية فهي تمثل القيم الفنية والجمالية في زخارف القط العسيري وتشمل:

النقطة:

تعددت طرق وأساليب استخدام النقطة في القط العسيري وتوزعت في مختلف مساحات الزخرفة، وتوجد في البلسنه وهي أحد مفردات القط "وتكون على هيئة نقاط او دوائر داخل شكل معين، وتتواجد في زخرفة الحظية والختام" (عارف،2016، 120). وتسمى بالبلسنه نسبتاً الى حبوب العدس التي يطلق عليها في منطقة عسير باسم (البلسن) كما ذكرت خيار الشهري، وتوجد النقط ايضاً في التعذيق الذي يأتي في نهاية البناة حيث ينتهي راس المثلث بثلاث نقاط تشبه عذوق الذرة (القحطاني،2019، 86) كما يتضح في جدول (1).

جدول (1) النقطة وأماكن تواجدها بمفردات القط العسيري

العنصر التشكيلي	المفردة الزخرفية	الوصف	الدلاله الشكلية
النقطة	البلسنه	نقاط او دوائر داخل شكل معين	
	التعذيق	ثلاث نقاط في راس المثلث	

الخط:

يعتبر الخط من اهم العناصر التصميمية في زخرفة القط العسيري وتنوعت بين "الخطوط المستقيمة والمائلة والمنكسرة والمنحنية وما يميز الخطوط في هذه الزخرفة ان كل خط يحمل لون مختلف عن الأخر في التصميم الواحد ليظهر التنوع والإيقاع"(القحطاني، 2019، 82)، والخطوط الافقية تعتبر الأكثر شيوعاً في جميع قرى ومحافظات المنطقة ولا يخلو منزل تقليدي منها، بل واكتفة بعض المنازل برسم الخطوط الافقية فقط ويختلف عددها على حسب المكانة والمستوى الاقتصادي لأصحاب المنزل وتمتد هذه الخطوط لتشكل حزاماً يحيط بالغرفة وعندما تلتقي مع الأبواب والنوافذ فأنها تتغير من الشكل الافقي الى الرأسي ثم الى الافقي وهكذا؛ فالفنانة الشعبية استطاعت وبالفطرة أن تتنقل بأعيننا ما بين الخطوط المستقيمة الأفقية التي تحمل معاني السكون والتوازن والاستقرار إلى الخطوط الرأسية التي ترمز إلى الصعود والصرامة والمتانة والثبات، واستخدمت الفنانة الشعبية الخطوط في تحديد أشكالها ومساحاتها ووحداتها الزخرفية كخطوة أولى، ومن ثم تلوينها بالمساحيق والألوان المختلفة، وجعلت الخطوط ارضية وقاعدة ترتكز عليها أشكالها ووحداتها الزخرفية (الشهراني، 2008، 95، 96)، ونجد الخطوط في العديد من مفردات القط وهي "الأمشاط" و"الشبكة" و"التقطيع العمري او ما يسمى السيور لدى بلاد شهران" و"المحاريب" و"السنكر ولي" و"المثالث والمخامس" كما يتضح في جدول (2).

جدول (2) الخط وأماكن تواجده بمفردات القط العسيري

العنصر التشكيلي	المفردة الزخرفية	الوصف	الدلالة الشكلية
الخط	الامشاط	خطوط متوازية رفيعة مثل اسنان المشط تكون اعلى الحظية او البناة او في الختام بلون واحد او أكثر من لون	
	الشبكة	خطوط رأسية وعرضية متقاطعة مكونه شبكه هندسية تحصر بداخلها اشكال مربعه او معينة بلون واحد ويندر تعدد الالوان	
	المحاريب	خطوط منكسرة بالعرض على شكل أمواج البحار المتتالية، وقد تمثل تتابع المصليين في الاتجاه للمحراب لأداء الصلاة	
	السنكر ولي	خطوط منكسرة بالطول ويكون في اتجاه اليمين	
	المثالث والمخامس	خطوط افقية متوازية وممتدة لتحيط بجميع جدران الغرفة ويختلف عددها من ثلاثة الى خمس خطوط، وتكون مختلفة الألوان، وتوجد اعلى العماريات او تأتي منفردة في بيوت ذوي الدخل المحدود	
	التقطيع العمري أو العماريات او التقطيعات او السيور	خطوط راسية متوازية توجد في الجزء السفلي من الجدار في رجال المع وتكون خطوط عرضية في بلاد شهران لا تزيد عن سبعة خطوط	

الشكل:

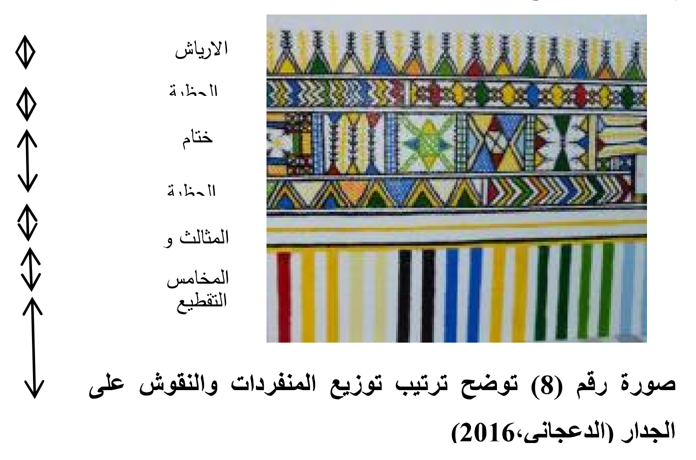
تأتي في المساحات التي تعتلي الأشرطة وهي تتبع أسلوب التكرار فتكون اشكال متراصة مكونه حزاماً من الشكل نفسه يحيط بجميع جدران الغرفة من مثلثات متساوية الاضلاع أو معينات رأسية أو افقية، وتأتي المثلثات ايضاً في وضعيات متقابلة، أما المربع والمستطيل عادة ما يتم ملئهما بخطوط شبكية مائلة أو متعامدة،

والأشكال الهندسية تختلف في حجمها وشكلها وألوانها وطريقة دمجها ببعض مما يجعلها مصدراً خصباً باستمرار لاشتقاق أنماط زخرفية كثيرة جداً، كما يحتوي القط على العديد من الرموز مثل (النجوم الهندسية المضلعة-الأشجار- الورود)، وفي حقيقة الأمر فان الإحاطة بكامل الأشكال الذي يتكون منه النقش أمر صعب جدا لكثرة العناصر والاشكال (الجواهرة،2005، 280- 288). "ونجد اهتمام الفنانة الشعبية بالشكل وتحديده بوضوح، عن طريق استخدامها اللون الأسود لتحديد زخارفها بدقة، فتفصل المساحات اللونية بالخط الأسود ليظهر لنا الشكل جلياً ومحدداً. ونجد تنوع الأشكال الموجود في زخارف القط العسيري، فيظهر الشكل المثلث والدائري والمربع والمعين وغيرها من الرسوم الهندسية والنباتية" (القحطاني،2019، 82)، وتتواجد الاشكال في زخارف القط في العديد من مفرداته وهي "البناه أو "التنابيت" لدى بلاد شهران وتسمى "جنود" في بلاد قحطان، و"الأرياش أو "السعف" لدى بلاد شهران" و"الختام" و "المعارج" وهو مسمى لبلاد شهران و"الركن" و"الحظية أو المحابس أو المزوله أو المداخل لدى بلاد شهران" كما يتضح في جدول (3).

جدول (3) الشكل وأماكن تواجده بمفردات القط العسيري

العنصر التشكيلي	المفردة الزخرفية	الوصف	الدلالة الشكلية
الشكل	البناه أو البنات أو التنابيت	مثلثات متتالية ورأسها لأعلى، وتكون مختلفة الألوان، وتوجد في اعلى القط سواء في البتره او الجدار في الختام أو الحظية، وهي إما ترمز للأنثى أو الى الجبال المتراصة	
	الارياش أو السعف	تأتي على شكل نباتات اعلى أو بين البناه	
	الختام	شكل مربع عرضه بين 30 و40 سنتيمتر، وينقش داخل المربعات بأشكال مختلفة كالأرياش والمحاريب والبلسنه، وتكون الحظية اسفلها دوماً وتعلوها البناه والامشاط،	
	الحظية أو المحابس أو المزولة أو المداخل	يعتمد في تكوينها على الشكل المعين المتكرر، ويتكون به الشرائط الزخرفية التي تمتد عرضياً على جميع جدران الغرفة ويستخدم في المجالس الداخلية	
	المُعارج	مثلثات معبئة بالألوان والخطوط المنحنية بالتبادل	
	الركن	مثلثات كبيره متتالية ومتكررة، وتكون في ركن الغرفة، وتحتوي عل بعض الزخارف المستخدمة في تزيين الجدار	

واستخدام المفردات اختلفت اماكنها على حسب الجدار الذي تم به النقش مثل (البتره – الدرج – الأبواب – النوافذ – الأركان) وتوضح الصورة (8) ترتيب توزيع المفردات والنقوش على أحد الجدار بمنزل ال مضاوي برجال المع.



صورة رقم (8) توضح ترتيب توزيع المنفردات والنقوش على الجدار (الدعجانى،2016)

اللون:

"تعتمد الزخارف الشعبية العسيرية على الألوان فلا تخلو هذه الزخارف منها، وتعتمد بشكل أكبر على الألوان الأساسية منها الأحمر والأصفر، والأخضر، والأزرق، والأسود. فمع اختلاف تناول الفنانات الشعبيات لهذه الألوان إذ إن لكل فنانة أسلوبها المميز والخاص بها"(القحطاني،2019، 82)، " والفنانة الشعبية في منطقة عسير كانت تتعامل مع ثلاثة أنواع من الألوان أولها: الألوان المستخلصة من مساحيق الأحجار الكلسية، أو من الطينات الملونة، أو من بعض النباتات والثمار " (مرزوق، 2010: 100)، وذكرت زهرة الالمعي انه في بدايات النقش لم يستخدم الا اللون الأسود والاحمر، وان بلاد قحطان لا يستخدمون اللون الأسود في نقوشهم.

تعد الإحاطة بكامل تفاصيل النقوش الجدارية في منطقة عسير امراً متعذراً لعدة أسباب. لاندثار العمارة التقليدية وهجرة سكان القرى للمدن، واختلاف تفاصيل النقوش من منطقة لأخرى، والتحولات في العمارة التقليدية حالياً في منطقة عسير الذي أدى الى اختلاط النقوش التقليدية بالحديثة مما يسبب ارباكاً في أي دراسة منهجية للنقوش (الجواهرة، 2005، 276، 277).

ثانياً: مكملات الأزياء:

تعتبر مكملات الازياء بمثابة التفاصيل السحرية والاضافات التي تزيد من جاذبية المظهر الخارجي للفرد، والتي تعكس بتصميماتها وزخارفها والوانها حضارة ومعتقدات المجتمع الذي تنتمي إليه، وأصبح تصميم المكملات من الفنون التي احتلت مركزاً هاماً في ميدان التصميم؛ ويعود ذلك لأهميته في إظهار جمال الأزياء الذي انعكس على الناحية الاقتصادية مما أدى الى اهتمام خبراء الموضة بابتكار العديد والغريب من الاشكال والانواع التي تناسب المرأة، وظهور متخصصون في مجال تصميم المكملات (خليل، 1999، 5-10).

وتنقسم مكملات الأزياء الى قسمين:

مكملات الأزياء المتصلة: هي كل ما يضاف على الملابس ويثبت عليها عن طريق حياكته مثل (الأزرار والشرائط الزخرفية وبعض الأقمشة والجلود وغيرها من الخامات الأخرى).

مكملات الأزياء المنفصلة: هي عبارة عن قطع مكملة للزي وغير متصلة به تمتاز بإمكانية تبديل وتغيير هذه القطع بما يتناسب مع الزي فتساعد في إبراز جماليات الزي وتفاصيله بشكل عام مثل أغطية الرأس -الإيشاربات -القفازات -الحلي -الأحزمة -حقائب اليد وغيرها من المكملات المنفصلة التي لا تستطيع أن تستغني عنها المرأة (سمعان واخرون،2020، 211، 216).

الدراسة التطبيقية:

من خلال دراسة الجانب النظري تم اختيار ثلاث من الزخارف الجدارية لقرية رجال المع لتصميم مكملات الأزياء تحمل سمات القط العسيري ومعاصرة الموضة المعاصرة وقامت تجربة البحث على المراحل التالية:

- رسم الجدارية ببرنامج الرسم (Adobe illustrator) وتوضيح المفردات المكونة للجدارية.
- تفكيك الزخرفة الى مفردات صغيره.
- تصميم ورسم مكملات للأزياء تتناسب مع الموضة والذوق العام.
- اضافة المفردات للزخرفة على المكملات بتكرارات واحجام مختلفة تتناسب من حيث اللون والشكل مع الخطوط البنائية للمكمل.
- تقييم التصميمات من قبل المحكمين في مجال تصميم الأزياء من خلال استبيان اشتمل على محورين (محور ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري -محور الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري).

جدول (4) الزخرفة الجدارية الاولى والمجموعات التصميمية المقترحة

مصدر الزخرفة – الركن – رجال المع (موجية، 2009)		توضيح زخارف الركن ببرنامج (Adobe illustrator)	
مفردات الزخارف بالجدارية			
المجموعة التصميمية الأولى			



المجموعة التصميمية الثانية	
المجموعة التصميمية الثالثة	

جدول (5) الزخرفة الجدارية الثانية والمجموعات التصميمية المقترحة



مصدر الزخرفة – البتره – رجال المع (موجية، 2009)		توضيح زخارف البتره ببرنامج (Adobe illustrator)	
مفردات الزخارف بالجدارية			

المجموعة التصميمية الأولى	
المجموعة التصميمية الثانية	
المجموعة التصميمية الثالثة	

جدول (6) الزخرفة الجدارية الثالثة والمجموعات التصميمية المقترحة

مصدر الزخرفة جدار بمنزل ال مغاوي– رجال المع (الدعجاني، 2016)		توضيح زخارف الجدار ببرنامج (Adobe illustrator)	

مفردات الزخارف بالجدارية	
المجموعة التصميمية الأولى	
المجموعة التصميمية الثانية	
المجموعة التصميمية الثالثة	

النتائج والمناقشة:

صدق وثبات أدوات البحث:

استبيان تقييم المتخصصين للمجموعات التصميمية المقترحة:

صدق الاستبيان :


مجلة التربية النوعية والتكنولوجيا (بحوث علمية وتطبيقية)
Journal of Specific Education and Technology (Scientific and Applied Research)
العدد الثامن – يونيو 2021

يقصد به قدرة الاستبيان على قياس ما وضع لقياسه.

صدق الاتساق الداخلي:

1- حساب معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من العبارات المكونة لكل محور، والدرجة الكلية للمحور بالاستبيان.

2- حساب معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية لكل محور من محاور الاستبيان والدرجة الكلية بالاستبيان.

المحور الأول: ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري:

تم حساب الصدق باستخدام الاتساق الداخلي وذلك بحساب معامل الارتباط (معامل ارتباط بيرسون) بين درجة كل عبارة ودرجة المحور (ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري)، والجدول (7) يوضح ذلك:

جدول (7) قيم معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة ودرجة المحور (ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري)

م	الارتباط	الدلالة
1-	0.793	0.01
2-	0.607	0.05
3-	0.856	0.01
4-	0.914	0.01
5-	0.888	0.01
6-	0.634	0.05

يتضح من الجدول أن معاملات الارتباط كلها دالة عند مستوى (0.01) لاقترابها من الواحد الصحيح مما يدل على صدق وتجانس عبارات الاستبيان.

المحور الثاني: الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري:

تم حساب الصدق باستخدام الاتساق الداخلي وذلك بحساب معامل الارتباط (معامل ارتباط بيرسون) بين درجة كل عبارة ودرجة المحور (الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري)، والجدول (8) يوضح ذلك:

جدول (8) قيم معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة ودرجة المحور (الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري)

م	الارتباط	الدلالة
1-	0.767	0.01
2-	0.821	0.01
3-	0.618	0.05
4-	0.942	0.01

يتضح من الجدول أن معاملات الارتباط كلها دالة عند مستوى (0.01 – 0.05) لاقترابها من الواحد الصحيح مما يدل على صدق وتجانس عبارات الاستبيان.

الصدق باستخدام الاتساق الداخلي بين الدرجة الكلية لكل محور والدرجة الكلية للاستبيان:

تم حساب الصدق باستخدام الاتساق الداخلي وذلك بحساب معامل الارتباط (معامل ارتباط بيرسون) بين الدرجة الكلية لكل محور (ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري، الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري) والدرجة الكلية للاستبيان، والجدول (9) يوضح ذلك:

جدول (9) قيم معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية لكل محور (ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري، الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري) والدرجة الكلية للاستبيان

	الارتباط	الدلالة
المحور الأول: ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري	0.709	0.01
المحور الثاني: الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري	0.864	0.01

يتضح من الجدول أن معاملات الارتباط كلها دالة عند مستوى (0.01) لاقترابها من الواحد الصحيح مما يدل على صدق وتجانس محاور الاستبيان.

الثبات:

يقصد بالثبات reability دقة الاختبار في القياس والملاحظة، وعدم تناقضه مع نفسه، واتساقه واطراده فيما يزودنا به من معلومات عن سلوك المفحوص، وهو النسبة بين تباين الدرجة على الاستبيان التي تشير إلى الأداء الفعلي للمفحوص، وتم حساب الثبات عن طريق:

1-معامل الفا كرونباخ Alpha Cronbach
2-طريقة التجزئة النصفية Split-half
3-جيوتمان Guttman

جدول (10) قيم معامل الثبات لمحاور استبيان تقييم المتخصصين للمجموعات التصميمية المقترحة

المحاور	معامل الفا	التجزئة النصفية	جيوتمان
المحور الأول: ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري	0.782	0.820 – 0.749	0.770
المحور الثاني: الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري	0.924	0.961 – 0.888	0.912
ثبات استبيان تقييم المتخصصين للمجموعات التصميمية المقترحة	0.819	0.854 – 0.773	0.805

يتضح من الجدول (10) أن جميع قيم معاملات الثبات: معامل الفا، التجزئة النصفية، جيوتمان دالة عند مستوى 0.01 مما يدل على ثبات الاستبيان.

النتائج:

الفرض الأول:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعات التصميمية المقترحة في ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين.

وللتحقق من هذا الفرض تم حساب تحليل التباين لمتوسط درجات المجموعات التصميمية المقترحة في ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين، والجداول (11) توضح ذلك:

جدول (11) تحليل التباين لمتوسط درجات المجموعات التصميمية المقترحة في ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين

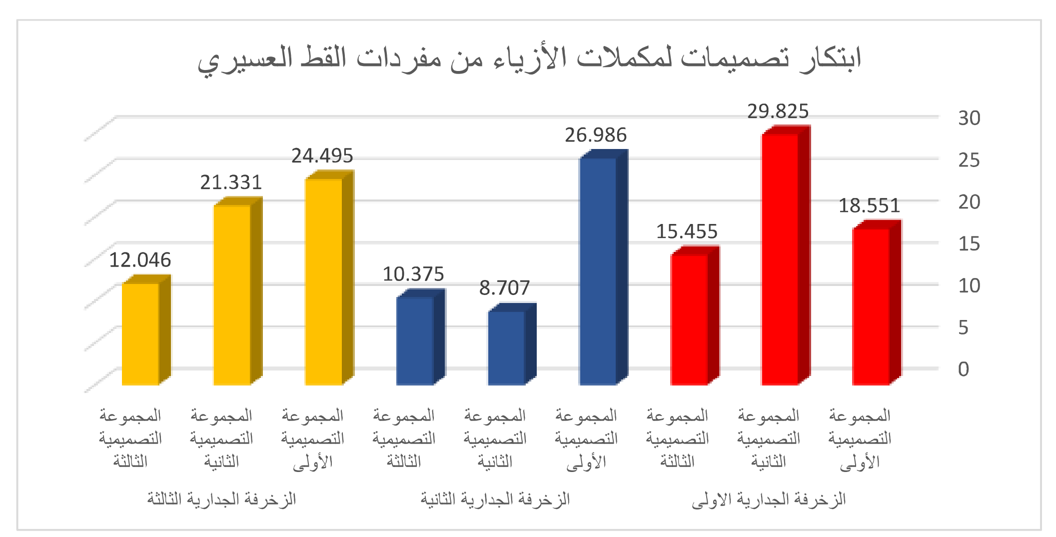
ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجات الحرية	قيمة (ف)	الدلالة
بين المجموعات	2882.140	360.267	8	57.941	0.01 دال
داخل المجموعات	839.412	6.218	135		
المجموع	3721.552		143		

يتضح من جدول (11) إن قيمة (ف) كانت (57.941) وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى (0.01)، مما يدل على وجود فروق بين المجموعات التصميمية المقترحة في ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين، ولمعرفة اتجاه الدلالة تم تطبيق اختبار LSD للمقارنات المتعددة والجدول (12) يوضح ذلك:

جدول (12) اختبار LSD للمقارنات المتعددة

ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري		الزخرفة الجدارية الأولى			الزخرفة الجدارية الثانية			الزخرفة الجدارية الثالثة		
		المجموعة التصميمية الأولى م = 18.551	المجموعة التصميمية الثانية م = 29.825	المجموعة التصميمية الثالثة م = 15.455	المجموعة التصميمية الأولى م = 26.986	المجموعة التصميمية الثانية م = 8.707	المجموعة التصميمية الثالثة م = 10.375	المجموعة التصميمية الأولى م = 24.495	المجموعة التصميمية الثانية م = 21.331	المجموعة التصميمية الثالثة م = 12.046
الزخرفة الجدارية الاولى	المجموعة التصميمية الاولى	-								
	المجموعة التصميمية الثانية	**11.273	-							
	المجموعة التصميمية الثالثة	**3.096	**14.370	-						
الزخرفة الجدارية الثانية	المجموعة التصميمية الاولى	**8.435	*2.838	**11.531	-					
	المجموعة التصميمية الثانية	**9.843	**21.117	**6.747	**18.278	-				
	المجموعة التصميمية الثالثة	**8.176	**19.450	**5.080	**16.611	1.667	-			
الزخرفة الجدارية الثالثة	المجموعة التصميمية الاولى	**5.943	**5.330	**9.040	*2.491	**15.787	**14.120	-		
	المجموعة التصميمية الثانية	*2.780	**8.493	**5.876	**5.655	**12.623	**10.956	**3.163	-	
	المجموعة التصميمية الثالثة	**6.504	**17.778	**3.408	**14.939	**3.339	1.671	**12.448	**9.284	-

** دال عند 0.01　　* دال عند 0.05　　بدون نجوم غير دال



شكل (1) يوضح متوسط درجات المجموعات التصميمية المقترحة في ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين

من الجدول (12) والشكل (1) يتضح أن:

1- وجود فروق دالة إحصائيا بين المجموعات التصميمية المقترحة عند مستوي دلالة 0.01 ، فنجد أن الزخرفة الجدارية الأولى "المجموعة التصميمية الثانية" كانت أفضل المجموعات التصميمية المقترحة في ابتكار تصميمات لمكملات الأزياء من مفردات القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين ، يليها الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الأولى" ، ثم الزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الأولى" ، ثم الزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثانية" ، ثم الزخرفة الجدارية الأولى "المجموعة التصميمية الأولى" ، ثم الزخرفة الجدارية الأولى "المجموعة التصميمية الثالثة" ، ثم الزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثالثة" ، ثم الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثالثة" ، وأخيرا الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثانية" .

2- كما توجد فروق عند مستوي دلالة 0.05 بين الزخرفة الجدارية الأولى "المجموعة التصميمية الثانية" والزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الاولى" لصالح الزخرفة الجدارية الأولى "المجموعة التصميمية الثانية" ، كما توجد فروق عند مستوي دلالة 0.05 بين الزخرفة الجدارية الأولى "المجموعة التصميمية الأولى" والزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثانية" لصالح الزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثانية" ، كما توجد فروق عند مستوي دلالة 0.05 بين الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الأولى" والزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الأولى" لصالح الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الأولى" .

3- بينما لا توجد فروق بين الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثانية" والزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثالثة"، بينما لا توجد فروق بين الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثالثة" والزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثالثة".

الفرض الثاني:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعات التصميمية المقترحة في الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين.

وللتحقق من هذا الفرض تم حساب تحليل التباين لمتوسط درجات المجموعات التصميمية المقترحة في الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين، والجداول (13) توضح ذلك:

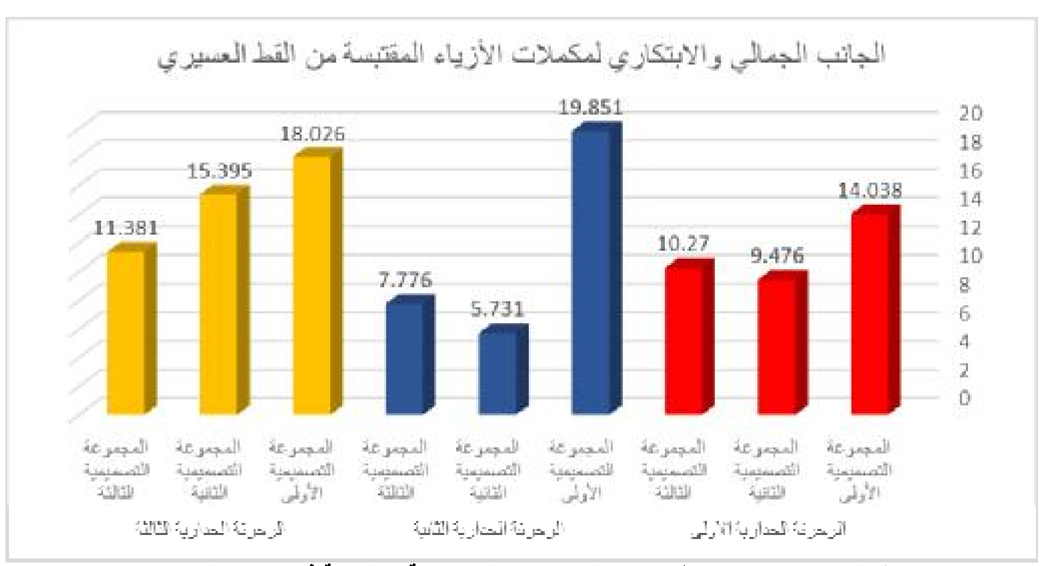
جدول (13) تحليل التباين لمتوسط درجات المجموعات التصميمية المقترحة في الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين

الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجات الحرية	قيمة (ف)	الدلالة
بين المجموعات	7521.959	940.245	8	30.043	0.01 دال
داخل المجموعات	4225.054	31.297	135		
المجموع	11747.013		143		

يتضح من جدول (13) إن قيمة (ف) كانت (30.043) وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى (0.01)، مما يدل على وجود فروق بين المجموعات التصميمية المقترحة في الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين، ولمعرفة اتجاه الدلالة تم تطبيق اختبار LSD للمقارنات المتعددة (14) التالي يوضح ذلك:

جدول (14) اختبار LSD للمقارنات المتعددة

الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري		الزخرفة الجدارية الاولى			الزخرفة الجدارية الثانية			الزخرفة الجدارية الثالثة		
		المجموعة التصميمية الأولى م = 14.038	المجموعة التصميمية الثانية م = 9.476	المجموعة التصميمية الثالثة م = 10.270	المجموعة التصميمية الأولى م = 19.851	المجموعة التصميمية الثانية م = 5.731	المجموعة التصميمية الثالثة م = 7.776	المجموعة التصميمية الأولى م = 18.026	المجموعة التصميمية الثانية م = 15.395	المجموعة التصميمية الثالثة م = 11.381
الزخرفة الجدارية الاولى	المجموعة التصميمية الاولى	-								
	المجموعة التصميمية الثانية	**4.562	-							
	المجموعة التصميمية الثالثة	**3.768	0.793	-						
الزخرفة الجدارية الثانية	المجموعة التصميمية الاولى	**5.813	**10.375	**9.581	-					
	المجموعة التصميمية الثانية	**8.307	**3.745	**4.538	**14.120	-				
	المجموعة التصميمية الثالثة	**6.262	1.700	*2.493	**12.075	*2.045	-			
الزخرفة الجدارية الثالثة	المجموعة التصميمية الاولى	**3.988	**8.550	**7.756	1.825	**12.295	**10.250	-		
	المجموعة التصميمية الثانية	1.356	**5.918	**5.125	**4.456	**9.663	**7.618	*2.631	-	
	المجموعة التصميمية الثالثة	*2.657	1.905	1.111	**8.470	**5.650	**3.605	**6.645	**4.013	-



شكل (2) يوضح متوسط درجات المجموعات التصميمية المقترحة في الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين

من الجدول (14) والشكل (2) يتضح أن:

1- وجود فروق دالة إحصائيا بين المجموعات التصميمية المقترحة عند مستوي دلالة 0.01 ، فنجد أن الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الأولى" كانت أفضل المجموعات التصميمية المقترحة في الجانب الجمالي والابتكاري لمكملات الأزياء المقتبسة من القط العسيري وفقا لأراء المتخصصين ، يليها الزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الأولى" ، ثم الزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثانية" ، ثم الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الأولى" ، ثم الزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثالثة" ، ثم الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثالثة" ، ثم التصميم الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثانية" ، ثم الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثالثة" ، وأخيرا الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثانية" .

2- كما توجد فروق عند مستوي دلالة 0.05 بين الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الأولى" والزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثالثة" لصالح الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الأولى" ، كما توجد فروق عند مستوي دلالة 0.05 بين الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثالثة" والزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثالثة" لصالح الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثالثة" ، كما توجد فروق عند مستوي دلالة 0.05 بين الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثانية" والزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثالثة" لصالح الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثالثة" ، كما توجد فروق عند مستوي دلالة 0.05 بين الزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الأولى" والزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثانية" لصالح الزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الأولى" .

3- بينما لا توجد فروق بين الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثانية" والزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثالثة" ، بينما لا توجد فروق بين الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الأولى" والزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثانية" ، بينما لا توجد فروق بين الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثانية" والزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثالثة" ، بينما لا توجد فروق بين الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثانية" والزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثالثة" ، بينما لا توجد فروق بين الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثالثة" والزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثالثة" ، بينما لا توجد فروق بين الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الأولى" والزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الاولى".

الفرض الثالث:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعات التصميمية المقترحة وفقا لأراء المتخصصين.

وللتحقق من هذا الفرض تم حساب تحليل التباين لمتوسط درجات المجموعات التصميمية المقترحة وفقا لأراء المتخصصين، والجداول (15) توضح ذلك:

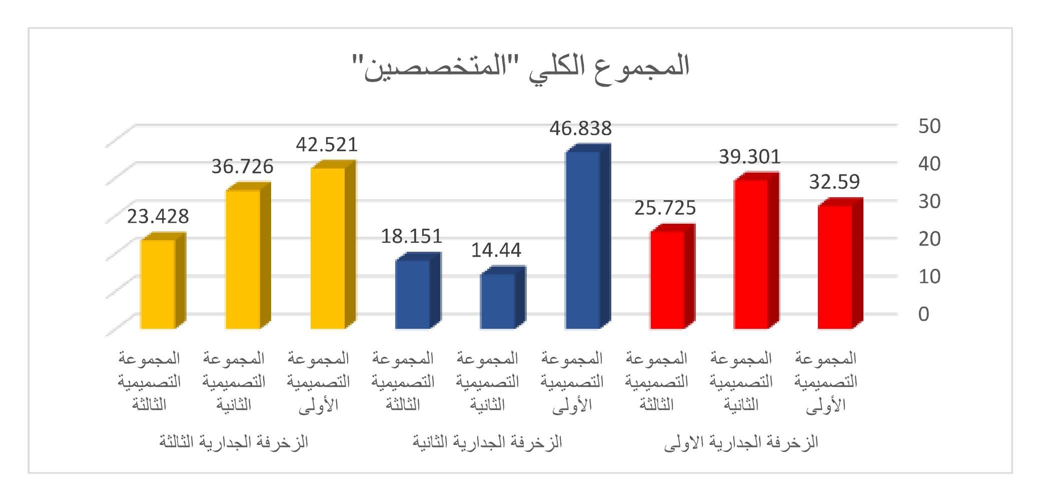
جدول (15) تحليل التباين لمتوسط درجات المجموعات التصميمية المقترحة وفقا لأراء المتخصصين

المجموع الكلي "المتخصصين"	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجات الحرية	قيمة (ف)	الدلالة
بين المجموعات	16699.033	2087.379	8	41.787	0.01 دال
داخل المجموعات	6743.640	49.953	135		
المجموع	23442.673		143		

يتضح من جدول (15) إن قيمة (ف) كانت (41.787) وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى (0.01)، مما يدل على وجود فروق بين المجموعات التصميمية المقترحة وفقا لأراء المتخصصين، ولمعرفة اتجاه الدلالة تم تطبيق اختبار LSD للمقارنات المتعددة والجدول (16) يوضح ذلك:

جدول (16) اختبار LSD للمقارنات المتعددة

المجموع الكلي "المتخصصين"		الزخرفة الجدارية الاولى			الزخرفة الجدارية الثانية			الزخرفة الجدارية الثالثة		
		المجموعة التصميمية الأولى م = 32.590	المجموعة التصميمية الثانية م = 39.301	المجموعة التصميمية الثالثة م = 25.725	المجموعة التصميمية الأولى م = 46.838	المجموعة التصميمية الثانية م = 14.440	المجموعة التصميمية الثالثة م = 18.151	المجموعة التصميمية الأولى م = 42.521	المجموعة التصميمية الثانية م = 36.726	المجموعة التصميمية الثالثة م = 23.428
الزخرفة الجدارية الاولى	المجموعة التصميمية الاولى	-								
	المجموعة التصميمية الثانية	**6.711	-							
	المجموعة التصميمية الثالثة	**6.865	**13.576	-						
الزخرفة الجدارية الثانية	المجموعة التصميمية الاولى	**14.248	**7.536	**21.113	-					
	المجموعة التصميمية الثانية	**18.149	**24.860	**11.284	**32.397	-				
	المجموعة التصميمية الثالثة	**14.438	**21.150	**7.573	**28.686	**3.710	-			
الزخرفة الجدارية الثالثة	المجموعة التصميمية الاولى	**9.931	**3.220	**16.796	**4.316	**28.081	**24.370	-		
	المجموعة التصميمية الثانية	**4.136	*2.575	**11.001	**10.111	**22.285	**18.575	**5.795	-	
	المجموعة التصميمية الثالثة	**9.161	**15.873	*2.296	**23.410	**8.987	**5.276	**19.093	**13.298	-



شكل (3) يوضح متوسط درجات المجموعات التصميمية المقترحة وفقا لأراء المتخصصين

من الجدول (16) والشكل (3) يتضح أن:

1- وجود فروق دالة إحصائيا بين المجموعات التصميمية المقترحة عند مستوي دلالة 0.01 ، فنجد أن الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الأولى" كانت أفضل المجموعات التصميمية المقترحة وفقا لأراء المتخصصين ، يليها الزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الأولى" ، ثم الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثانية" ، ثم الزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثانية" ، ثم الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الأولى" ، ثم الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثالثة" ، ثم الزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثالثة" ، ثم الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثالثة" ، وأخيرا الزخرفة الجدارية الثانية "المجموعة التصميمية الثانية".

2- كما توجد فروق عند مستوي دلالة 0.05 بين الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثانية" والزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثانية" لصالح الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثانية" ، كما توجد فروق عند مستوي دلالة 0.05 بين الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثالثة" والزخرفة الجدارية الثالثة "المجموعة التصميمية الثالثة" لصالح الزخرفة الجدارية الاولى "المجموعة التصميمية الثالثة" .

خلاصة النتائج:

بعد تحليل النتائج احصائياً للجانب التجريبي ودراسة الإطار النظري تبين التالي:

1- هناك اختلافات في اشكال المفردات والمسميات للنقش العسيري بين مختلف مناطق عسير وأماكن توظيفها على جداريات المنازل (الجدار – الدرج – النوافذ – الأبواب).

2- ثراء زخارف القط العسيري بالعديد من القيم الفنية والجمالية الملهمة لمجالات الفنون المختلفة.

3- أمكن توزيع مفردات القط العسيري على مكملات الأزياء بأحجام واشكال تتناسب مع الخطوط البنائية للمكمل.

4- أمكن تصميم (9) مجموعات لمكملات الأزياء تتوافق مع ألوان القط العسيري، وتمتاز بالتنوع والابتكار والمعاصرة مع الحفاظ على سمات هذ الفن الشعبي.

5- تحقق القيم الجمالية للمجموعات التصميمية لمكملات الأزياء من خلال استخدام مفردات القط العسيري.

6- تحقق التوافق والترابط بين الخطوط البنائية للمجموعة التصميمية الواحدة لمكملات الأزياء.

مما سبق يتضح إمكانية تصميم مكملات للأزياء تمتاز بالحداثة والأصالة من الفن الجداري العسيري (القط).

التوصيات:

1. التعمق في دراسة القيم الجمالية والفنية التي تذخر بها الفنون التراثية السعودية بمختلف أنواعها والاستفادة منها كمصدر الهام يساعد على فتح افاق جديدة للتفكير الإبداعي لإيجاد حلول تصميمية في مجال الأزياء ومكملاتها تمتاز بالأصالة والمعاصرة؛ لذا يجب دراستها اكاديمياً وتحليلها للاستفادة منها بأساليب علمية.
2. إقامة معارض تضم فنون التراث السعودي لنشر الوعي الفني والثقافي.
3. ربط الفنون الحديثة بالفنون التقليدية للحفاظ على التراث من الاندثار ونقله الى الأجيال بصورة تتماشى مع تطورات الموضة وتلقى قبولاً لديهم.

المراجع:

- احمد، يسري معوض عيسى (2010):" قواعد واسس تصميم الأزياء"، عالم الكتب، الطبعة الأولى، القاهرة.
- الالمعي، علي (2014):" فاطمه الالمعي متعهدة فن القط في عسير"، مجلة القافلة، العدد 3، المجلد 63.
- الجواهرة، هاني محمد (2005):" وحدة العناصر والاشكال في النقوش الجدارية بمنطقة عسير وعلاقتها باللباس"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد 21، العدد2.

- حجي، منى محمد (2020):" جداريات فن (القط العسيري) كمصدر لإثراء المشغولة النسجيه"، المجلة الأردنية للفنون، المجلد 13، العدد 3.
- خلف، أماني مصطفى إبراهيم (2018):" الاستفادة من ماكينة التريكو المستطيلة في عمل أشرطة تستخدم كمكملات متصلة للملابس"، مجلة التصميم الدولية، المجلد 8، العدد 2.
- خليل، نادية محمود (1999):"مكملات الملابس الإكسسوار فن الاناقه والجمال"، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، القاهرة.
- خوجلي، خالد خوجلي إبراهيم (2017):" التصوير الجداري المعاصر وارتباطه بالعمارة "، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا، المجلد 18، العدد 3.
- الدعجاني، نوره محسن محمد (2016):" جماليات زخارف الفن الشعبي (القط والنقش) على المنسوجات باستخدام تقنية التطريز الآلي"، رسالة دكتوراه، كلية التصاميم، جامعة ام القرى.
- زكريا، فادية محمد هشام (2019):" فلسفة القط العسيري ودور المرأة في نقل الموروث الثقافي الحرفي لإثراء المعلقات النسيجية وتنشيط التسويق السياحي السعودي"، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، المجلد 4، العدد 15.
- سمعان، جرمين فوزي، محمد، هند خلف مرسي، على، أمنية مهدى حسن(2020):" استحداث حقائب يد معدنية للزينة قائمة على الاتجاهات الفنية الحديثة"، المجلد 5، العدد 19.
- السيد، مايسه فكري احمد، سهيل، ياسر محمد، حسين، نيفين فاروق، محمد، هبة عاطف عبد العزيز (2018):" المعالجات التشكيلية في بعض أعمال فناني الجرافيتي كوسيط بصري لابتكار تصميمات طباعية لمكملات الملابس"، مجلة الفنون والعلوم التطبيقية، كلية الفنون التطبيقية، جامعة دمياط، المجلد 5، العدد 4.
- السيد، مايسة فكرى أحمد، فهيم، أماني حمدي، عثمان، دعاء شعبان (2018):" السيريالية المصرية في التصميم الطباعي لأقمشة مكملات ملابس السيدات"، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، المجلد 3، العدد 12، الجزء الأول.
- الشهراني، علي عبدالله (2008):" فن زخرفة العمارة التقليدية بعسير"، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى.
- الشوربجي، مصطفى محمد (2006):"رؤية حديثة للرموز الشعبية كقيمة تشكيلية وتوظيفها في تصميم مكملات أقمشة المفروشات المطبوعة"، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان.
- الصعيدي، هناء كامل حسن، الهاشل، منتهي صالح عبد الله (2020):" ابتكار معلقات نسجية للمسكن المعاصر مستوحاة من التراث العسيري للحفاظ على الهوية العربية السعودية"، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، المجلد 5، العدد21.
- عارف، إيمان أحمد (2016):" دراسة تحليلية لتوائم فن نقش الجدار مع البيئة الطبيعية والإنشائية المعمارية بمنطقة عسير في أواخر حكم الدولة العثمانية"، مجلة التصميم الدولية، المجلد 6، العدد 4.
- عباس، رأفت عمر إبراهيم (2016): "الخامات والأساليب المستخدمة في فن التصوير الجداري"، رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا، السودان.
- عبد العظيم، حنان (٢٠٠٥):"صياغة معاصرة للرموز الشعبية العربية في مجال الرسم الإليكتروني"، مجلة العلوم والفنون التطبيقية، المجلد 3، العدد 2.
- العسيري، حنان فائع حسن، إبراهيم، عبير إبراهيم عبد الحميد وسليمان، أميمة أحمد عبد اللطيف (2017): "استحداث تصاميم مستوحاة من الفن الجداري العسيري (القط) لإثراء جماليات الزي النسائي "، مجلة التصميم الدولية، المجلد 7، العدد 4.
- الفوزان، عبير. " القط العسيري ابداع النساء." اهلا وسهلا، مارس، (2018).
- القحطاني، يسرى سعيد محمد (2019):" جماليات القط العسيري ودوره في إثراء الإنتاج الفني المعاصر"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 3، العدد 4.
- قربان، مسعودة عالم (2020):"الصياغات المعاصرة لوحدات فن القط العسيري كمدخل لاستلهام تذكارات سياحية في مجال المشغولات المعدنية"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، المجلد 11، العدد 1.
- محمد، اماني شعبان علي(2021):" مداخل تجريبية للخامات البيئية لإنتاج مكملات ملابس بصياغات تشكيلية مستحدثة"، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية"، المجلد 6، العدد 25.
- محمود، أمل محمد، علي، لمياء حسن(2009): " فاعلية استخدام الموديولات التعليمية في اكتساب بعض المفاهيم الفنية والمهارات الأدائية الخاصة بمكملات الملابس" حقيبة اليد " لدى طالبات المرحلة الجامعية"، مجلة بحوث التربية النوعية، المجلد 2، العدد 14، جامعة المنصورة.
- مرزوق، علي عبدالله (2010م): "فن زخرفة العمارة التقليدية بعسير" دراسة فنية وجمالية، الهيئة العامة للسياحة والآثار، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض.
- مريع، عبد الله (2010):" النقش العسيري فن يحاكي الزمان ويناجي المكان" جريدة الرياض، العدد 15333.

- مسلم، اسعد يحيى (2019): "السمات التعبيرية في الرسم الجداري العراقي المعاصر"، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد 24، السنة الثالثة عشرة.
- مصطفى، أشرف عبد الفتاح (2013):"حلول تصميمية مستحدثة مستلهمة من الخط الهيروغليفي كمدخل لإثراء القيم الجمالية التصميم النسجيات"، دراسة تجريبية، مجلة التصميم الدولية، المجلد 3، العدد 4.
- مغاوي، علي إبراهيم (2004): "ضد التضاريس "قراءة تحليلية"، جدة، الطبعة الأولى.
- نصر، منى محمد سيد (2018):"اتجاه الهدم والبناء لتصميم مكملات الأزياء"، مجلة التصميم الدولية، المجلد 8، العدد 4.

المراجع الأجنبية:

- Mauger, Thierry (2009):" Color of Arabia the Painters Garden the Architecture and Murals of Asir", Asbar center for studies, research communications.

المواقع الالكترونية:

- وزارة الداخلية، "امارة منطقة عسير -نبذه عن المنطقة"، (13 مارس، 2021)، تم الاسترداد من https://www.moi.gov.sa/wps/portal/Home/emirates/aseer/!ut/p/z1/04_iUlDg4tKPAFJABjKBwtGPykssy0xPLMnMz0vM0Y_Qj4wyizfwNDHxMDQx8vb3MTU0cAz0NvMx8_EwMjAw0PfSj8KvIDixS/!L8gO1ARAJZVnQI

The aesthetics of Al-Asiri wall art (Al-Qat) as an entry point for the enrichment of fashion supplement design

Fatema A.El-Eedaros
Associate Professor of Fashion Design-Umm Al-Qura Universtity

Abstract:

Wall painting is one of the oldest forms of human expression known to man, and the Asir region is considered one of the regions of the Kingdom of Saudi Arabia, which is rich in popular artistic wall art inscriptions known as (cat art) and varied between geometric shapes and plant decoration, and the field of designing clothing supplements is one of the rich fields that It contains innovation and diversity between each piece, and the development in the world of supplements has accompanied the change in the types of clothes; Whereas, the type of supplement and the method of its use is the brainchild of the designer of clothes, and it is considered a requirement of elegance, so it was necessary to diversify its decoration and invent new solutions for its production.

Therefore, the research aimed to take advantage of the aesthetics of the elements of Asiri wall art (the cat) to create design collections for contemporary fashion supplements that preserve the originality of the past through experimentation with computer drawing programs, and the research followed the descriptive analytical approach by analyzing the elements of Al-Qatt Al-Asiri art, along with the experimental method Conducting many design experiments to create collections for contemporary fashion supplements, and the results resulted in the richness of the Al Asiri cat motifs with many inspiring artistic and aesthetic values, and the possibility of distributing the Al Asiri cat vocabulary on fashion supplements.

Where (9) collections have been designed to complement the costumes that correspond to the colors of Al-Qat Al-Asiri, and are characterized by diversity, innovation and contemporary while preserving the features of this popular art. To open new horizons for creative thinking to find design solutions in the field of fashion and its supplements

التراث والأزياء في عادات وتقاليد الزواج في بلاد بنى شِهر

د. سهيلة حسن عبد الله المنتصر اليماني
أستاذ الملابس والنسيج المساعد
عميد كلية التربية للاقتصاد المنزلي بمكة المكرمة

مجلة بحوث التربية النوعية – جامعة المنصورة
العدد التاسع – يناير ٢٠٠٧

التراث والأزياء في عادات وتقاليد الزواج في بلاد بنى شهر

د. سهيلة حسن عبد الله المنتصر اليماني
أستاذ الملابس والنسيج المساعد
عميد كلية التربية للاقتصاد المنزلي بمكة المكرمة

المقدمة ومشكلة البحث :

يعتبر التراث عنصر هاماً من عناصر الحضارة العربية والتي كانت قائمة الوجود العربي ومنذ انطلاق أسلافنا من جزيرتهم العربية إلى بلاد الرافدين (اسكندراني ، ٢٠٠٠م) فالتراث الشعبي ليس مجرد ركيزة تاريخية لم يعد لها وظيفة تلائم التطور والمعاصرة ، ولكن هو في الحقيقة حصيلة ثقافية لأجيال من بيئات ومراحل تعليمية متعددة (يونس ، ١٩٧٣م) فالتراث تراكمي الارتباط كل جيل يستمد مقوماته من الجيل السابق فتتماسك الأجزاء وتقوى الروابط فهو ماضي تليد ورثه الأجداد للأحفاد ليكون مرآة صادقة تعكس بصدق وموضوعية حضارة المجتمع وعاداته وتقاليده والتي تدل على شخصيته (الميمان ، ١٤١٠هـ)

وتعتبر عادات وتقاليد الزواج من عناصر الثقافة التي تنتقل من جيل إلى آخر والتي ينقلها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل ، ونجد أن بعض هذه العادات والتقاليد لم تستطيع أن تصعد أمام سيطرة التغيرات التي تحدث في كل جوانب الحياة بصفة عامة وتقاليد الزواج بصفة خاصة بل قد تختفي وتتخذ صوراً جديدة .

ومع التطور السريع الذي طرأ على المملكة والانفتاح الكبير على العالم الخارجي كان سبباً في حدوث فجوة بين الحاضر والماضي وهذه الفجوة الملحوظة تزداد يوماً بعد يوم إن لم نسعى للحد من اتساعها فعلى أمتنا اجتياز مرحلة الانبهار بحضارة الغرب التي طرقت جميع أبواب الحياة ونواحها المختلفة ،فالتغير الذي حدث كان مذهلاً لدرجة كبيرة في القرى التي كانت محدودة داخل الأسوار الكبيرة فامتدت وترامت أطرافها .

ولقد وضحت البسام (١٩٨٥م) في قولها "خوفاً من ضياع السمات التي تميز مجتمعنا السعودي عن غيره ، وحتى لا ننضم إلى ركب الحضارة المادية ونفقد هويتنا المميزة يجب علينا الاهتمام بإحياء تراث هذا الشعب وأن يكون هذا الإحياء بالمفهوم الاجتماعي ، لا بمفهوم التنقيب عن الآثار فقط بل تتم دراسة التراث وتسجيله وحفظه بطريقة سليمة حتى نضمن له استمرارية البقاء في إطار البيئة وحتى لا تطغى الثقافة الجديدة الوافدة على ثقافة الإنسان في هذه المنطقة"

هذا ما دعا الباحثة إلى التطرق إلى هذه الدراسة ، واضعة نصب عينيها أهمية تسجيل ذلك الجزء من التراث بجميع تفاصيله الدقيقة . فالحضارة لا تعني ترك القديم لأنها استمرار للماضي ، حيث يذكر العمودي (١٤١٠هـ) أن دور الماضي والتراث بكل أبعاده ومساراته يشكل قضية أساسية لا يمكن تجاهلها" .

وحيث أن الزواج يعتبر من العادات والتقاليد الاجتماعية الهامة التي تحتل مكانة أساسية في التنظيم الاجتماعي لكل المجتمعات الإنسانية عامة (عبد الجبار ، ١٩٨٣م) ،والمجتمع السعودي خاصة لإكمال الدين وصيانة الشرف ، وكان الهدف من الزواج في الماضي يتمثل في إضافة أيدي عاملة تساعد على

النشاط الاقتصادي للأسرة بإضافة إلى ما يشكله الإنجاب من هيبة ومكانة للأسرة علاوة على القوة الاقتصادية (الغامدي ،١٩٨٥ م) .

وبما أن ملابس الزواج قديماً وما تحتويه من نواح جمالية وفنية أحد أهم عناصر التراث الثقافي المادي والتي تعتبر جزء مهماً من التراث لا يمكن تجاهله . وهي مرآة صادقة تعكس الأوضاع الاجتماعية ،الثقافية، والاقتصادية جاءت ضرورة هذا البحث بعنوان التراث والأزياء في عادات وتقاليد الزواج في بلاد بنى شهر ويجب أن تتم هذه العملية وفق أسس علمية صحيحة بجمع عناصر التراث أولاً ، ثم تصنيفها للتعريف عن كل ما يمكن الاستفادة منه لتطويعه حسب احتياجات الحاضر وبذلك يبنى المجتمع الحاضر على أسس الماضي التليد (فدا ، ١٩٩٣ م) .

أهداف البحث :

١- إلقاء الضوء على عادات وتقاليد الزواج عند أهالي المنطقة الجنوبية في بلاد بنى شهر .
٢- تسجيل وتوثيق الملابس التقليدية الخاصة بالزواج في بلاد بنى شهر.
٣- التعرف على أنواع الحلي الخاصة بالزواج في بلاد بنى شهر.
٤- تحديد المفاهيم الخاطئة في الزواج .

أهمية البحث :

١- الاستفادة من التراث التقليدي لقبائل بنى شهر باعتباره تاريخاً وحضارة .
٢- إضافة مدخل جديد لتدريس الأزياء الشعبية لطالبات الملابس والنسيج بكليات البنات للاستفادة منها في استحداث أزياء جديدة مبتكرة .

حدود البحث :

أ- حدود بشرية : تقتصر على الأشخاص الذين عاصروا ملابس الزواج بالمنطقة الجنوبية في بلاد بنى شهر ، أو ممن اقتنوا هذه الأزياء .
ب - حدود جغرافية : تقتصر الدراسة على بلاد بني شهر في المنطقة الجنوبية بالمملكة العربية السعودية.
جـ - حدود مادية : تقتصر على كل مايتعلق بالتراث والأزياء في عادات وتقاليد الزواج لقبائل بني شهر(ملابس ،حلي ،أدوات وجهاز العروس،..)

فروض البحث :

١- إمكانية تسجيل التراث التقليدي الخاص بعادات وتقاليد الزواج لقبيلة بني شهر.
٢- إن قبيلة بنى شهر تتميز بملابس تقليدية وحلى خاصة بها مختلفة عن ما يحيطها داخل المملكة العربية السعودية.
٣- إن استخدام أسلوب علمي منظم يسهم في التعرف على خصائص وسمات ملابس وحلى قبيلة بنى شهر وما تتميز به من تطريز وزخارف .

منهج البحث :

أولا : المنهج التاريخي : عن طريق جمع المعلومات عن الماضي لاستنتاج العلاقة بين الظواهر الحالية والماضية والربط بينهما وتأكيد ذلك بما يحصل عليه من أدلة علمية صحيحة (عبيدات وآخرون ، ١٩٩٣م) .

ثانياً : المنهج الوصفي : عن طريق اكتشاف الوقائع ووصف الظواهر وصفاً دقيقاً مع تحديد الخصائص كيفياً أو كمياً (محمد والسرياقوسي ، ١٤٠٨هـ) .

وفي هذا البحث تمت دراسة الماضي بوصف عادات وتقاليد الزواج وما يحويها من أزياء وحلى للمرأة ببلاد بني شهر وتحليلها .

أدوات البحث :

١- المقابلة الشخصية.
٢- التصوير الفوتوغرافي.
٣- التصوير بالماسح الضوئي.
٤- التسجيل الصوتي .

مصطلحات البحث :

١- التراث:

جاء ذكره في القرآن بمعنى الميراث المنقول من الآباء إلى الأبناء قال تعالى : (وتأكلون التراث أكلاً لما) آية (١٩) سورة الفجر .

الإرث وأصله الورث (البستاني ، ١٩٩٣م) ، وهو عناصر الثقافة التي تنتقل من جيل إلى آخر .

٢- التراث الشعبي :

كما اتفق عليه غالبية علماء التراث والفولكلور هو عبارة عن مجموعة من العناصر الثقافية المادية والروحية للشعب تكونت على مدى الزمن وانتقلت من جيل إلى آخر بكافة أشكالها وعناصرها المادية والشفهية المدونة وغير المدونة (العنتيل ، ١٩٧٨م) .

وعرفته السلامي (٢٠٠١م) بأنه الثقافة الشعبية أحد روافد ثقافة الأمة وخلاصة حصيلة متوارثة من المعرفة ، التجارب والتفاعل ، ويشمل (الأدب الشعبي ، الموسيقي ، الرقص الشعبي ، العادات ، التقاليد ، المعارف الشعبية ، الثقافة المادية ، الفنون والحرف الشعبية) .

٣. الأزياء الشعبية :

هي أنماط من الإبداع الشعبي التشكيلي تعيش في بعدين هما المكان والزمان لتؤدي وظيفة حيوية هي التستر، أو اجتماعية هي المظهر اتفق عليها مجتمعها لتعطي طابعاً معيناً لشخصية مرتديها فتكون معبرة عن نوعه ذكراً أو أنثى ،عمره ، مكانته، وبيئته الثقافية، وهي ليست وليدة القرن الحالي فهي متوارثة من أجيال وعصور سابقة نشأت منذ قديم الزمان ثم تطورت، واتخذت خصائص معينة عبر العصور التاريخية (العمودي ، ١٤٠١هـ) .

٤. بلاد بنى شهر :

تقع في الجنوب الغربي للمملكة العربية السعودية ، ويخترقها الطريق الذي يربط بين مدينتي أبها والطائف،والذي يمر بالسراة،وكذلك الطريق الساحلي (جدة ـ جازان) وتقع بلاد بنى شهر

بالتحديد ما بين خطي العرض ١٨١٠ ـ ١٩٣٠ شمالاً وخطوط الطول ٤١٤٠ ـ ٤٢٣٠ شرقاً أي حوالي ٧٠كم من الجنوب إلى الشمال وبطول حوالي ٢٥٠كم من الغرب إلى الشرق قد يضيق ويتسع من جهة إلى أخرى .

ويحد بلاد بنى شهر من الشمال بلاد إخوانهم بنى عمرو ، وجزء من بلاد بلقرن من جهة تهامة ومن الجنوب بلاد بللسمر ، والريش وبللحمر ، ومن الشرق بلاد شهران ، وبيشة وجزء من بلحارث ، ومن الغرب وادي يبه ، وجزء من بلقرن بتهامة وربيعة المقاطرة .

ويبلغ عدد سكان بني شهر حوالي مائتي ألف نسمة . (الشهري ، ١٤١٨هـ) .

٥. قبيلة بني شِهر :

وضح أبو العلا (١٩٨٦م) : أن الهجرات الإسلامية أثرت في التوزيع الجغرافي للقبائل منذ أن ظهر الإسلام حتى الآن ، وإذا قارنا بين التوزيع الجغرافي للقبائل قبيل ظهور الإسلام بالتوزيع الجغرافي للقبائل حالياً سيتضح أن هناك قبائل قد اختفت نهائياً، أو قبائل قد انتقلت لجهات أخرى، أو قبائل جديدة ظهرت لم تكن موجودة.

وإذا نظرنا إلى التوزيع الجغرافي حالياً في المملكة فنجد أن إقليم عسير بالمنطقة الجنوبية قد ضم قبيلة بني شهر، وتنقسم قبيلة بنى شهر إلى فرعين حسب ما تعارف عليه السكان هما :

١- سلامان : ولهم عدد من البطون،الفخود،العشائر،الفصائل،والأسر ومشيختهم حالياً في أسرة العسبلي بمدينة النماص .

٢ - بنو أثلة : لهم عدد من البطون ،الفخوذ ،العشائر ،الفصائل، والأسر ومشيختهم حالياً في أسرة الشبيلي بن العريف بمدينة تنومه . (الشهري ، ١٤١٨هـ)

٦. نسب بني شِهر :

اسم شِهر هو الجد الأعلى لبنى شهر الذي ينحدر من أصول القبائل العربية بجنوب الجزيرة العربية ، وهم من العرب العارية أي الراسخة في العروبة والخالصة.

وتروي المصادر التاريخية بأن نسب شهر هو شهر بن حجر بن الهنوء بن الأزد بن كهلان بن يشجب بن سبأ بن يعرب بن قحطان بن هود علية السلام .

٧. العادات والتقاليد :

هي أنماط من الأفعال،و السلوك، وسبل التفكير تمثل طرق السلوك الاجتماعي التي ارتضاها أبناء المجتمع وأقروها واطمأنوا إليها وتناقلوها جيلاً عن جيل وهي مرآة تعكس أسلوب حياة الناس وتفكيرهم وطريقة مواجهتهم للمشكلات ، ويرتبط بها الفرد إلى درجة أن من يخرج عنها يقابل بازدراء شديد (كيفي ، ١٤٠٨ هـ) .

وذكر عبد الجبار(١٤٠٣ هـ) أن بعض العادات والتقاليد الاجتماعية تكتسب قدراً من الأهمية يجعلها تحتل مكانة أساسية في التنظيم الاجتماعي لكل المجتمعات الإنسانية .

٨. الزواج :

عرف السنيدي (١٤٢٠ هـ) الزواج :

<u>لغــة</u> : الزواج يأتي بمعنى الاقتران ، الارتباط ، والاجتماع .

شرعاً : عقد به يستباح استمتاع كل من الزوجين بالآخر على وجه مشروع . كما أوضح ذلك فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين بقوله [لا يقصد بعقد النكاح مجرد الاستمتاع بل يقصد به ذلك المعنى وهو الأسرة الصالحة ، والمجتمعات السليمة] .

الدراسات السابقة :

١. دراسة اسكندراني ، بثينة محمد حقي (٢٠٠٠م) : بعنوان (الملابس التقليدية للنساء في المدنية المنورة ومدى تمسك العرائس فيها بارتداء الشرعة المديني في ليلة الدخلة .

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن سمات الملابس التقليدية للمرأة المدينية مع دراسة أثر اختلاف الحالة الاجتماعية والسن ومدة سنوات الزواج ومناسبة الارتداء على تمسك المرأة المدينية بارتداء الشرعة المديني في يوم ليلة الدخلة ، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك الملابس التقليدية التي تتنوع حسب استخدامها فمنها اليومية داخل المنزل كالكرتة ، السروال ، الصدرية والشمبر ، وملابس خارج المنزل كالملاية المديني ، البرقع، والملاية التركي، وملابس للمناسبات الخاصة مثل الشرعة المديني ، المحف ، المصكك ،و المنثور . وأوضحت الدراسة أن هناك فروقاً بين عروس الماضي والحاضر بالمدينة المنورة نحو التمسك بارتداء الشرعة المديني في ليلة الدخلة تبعاً لمتغير الحالة الاجتماعية واختلاف السن ومدة سنوات الزواج ، وجاءت النتائج لصالح المرأة المدينية الأكبر سناً والمتزوجة قديماً ، أما عروس الحاضر فكانت تفضل ارتداء الشرعة المديني في ليلة الحنة أو حضيرة في مناسبة زواج ، وعروس الماضي تفضل ارتداء الشرعة المديني في ليلة الدخلة .

٢. دراسة البسام ، ليلى صالح (١٩٨٥م) : بعنوان (التراث التقليدي لملابس النساء في نجد)

هدفت هذه الدراسة إلى جمع بعض عناصر التراث المادي في نجد ودراسة تطريزه عن طريقة الألبسة والنقوش وقطع الحلي وذلك بهدف الحفاظ عليه والاستفادة منه باتخاذه مصدراً للخطوط والتصميمات الأصيلة ، وتوصلت نتائج الدراسة انه لم يكن هناك اختلاف بين المناطق المختلفة في أنواع الملابس المستخدمة وأساليب تنفيذها . فيما عدا الزي المسمى (زبون) من قطع الملابس الخارجية الذي استُخدم في منطقة حائل فقط ، وأيضاً (الصديرية) من الملابس الداخلية التي ارتدتها النساء في منطقة القصيم فقط .

كما أوضحت الدراسة بأن التطريز له أهمية كبرى في ملابس المرأة النجدية ولو كان بكميات بسيطة مثل ما هو موجود في نهاية طرف الكم أو رجل السروال (حجل) ، أما ملابس العروس والمناسبات طرزت باستخدام خيوط الذهب والفضة أو الحرير الملون .

٣ . دراسة فدا ، ليلى عبد الغفار (١٩٩٣م) : بعنوان (الملابس التقليدية للنساء في مكة المكرمة أساليبها وتطريزها) .

هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على الملابس التقليدية للمرأة المكية التي استخدمتها في الزمن المحدد للبحث والذي يرجع إلى مئة عام سابقة بغرض جمع وتسجيل ودراسة الأساليب التي استخدمت في تنفيذ وتطريز تلك الملابس ، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أنه لا يوجد اختلاف في القطع الملبسية التي ارتدتها جميع النساء في مكة المكرمة وهي (السروال ،و الصدرية كملابس داخلية ، والزبون، والكرتة والثوب كملابس خارجية، والمحرمة، والمدورة كغطاء للرأس إلاّ أن الاختلاف القائم هو بسبب

الفوارق الطبيعية والمادية ونوعية الخامات المتوفرة ، كما أوضحت النتائج بأن الثياب تصنع من أقمشة حريرية شفافة بهدف إبراز القطع المطرزة بالكنتيل ، التلي ، والترتر على الملابس (كالزبون المنتور) واقتصر استخدام الأقمشة السميكة في حالة البدل الثقيلة الخاصة بالعروس والتي يكون التطريز فيها على الثوب مباشرة بالتلي مثل (الثوب المصكك) .

٤ . دراسة على ، سمر محمد (١٩٩٣م) : بعنوان (عن أثر اختلاف البيئات على بعض أنماط الملابس التراثية للنساء في المملكة العربية السعودية) . دراسة مقارنة .

هدفت الدراسة إلى توصيف الملابس بالبيئات المختلفة في المنطقة الوسطى (الرياض) والمنطقة الغربية (مكة المكرمة) والمنطقة الجنوبية (عسير) ،وتوصلت النتائج إلى أن هناك علاقة بين البيئة الجغرافية والاجتماعية ظهر أثرها في انتشار التصميمات الفضفاضة خاصة بالرياض ومكة المكرمة التي تتناسب مع حرارة الجو مثل إضافة (التخراصة) في الدراعة لإعطاء حرية الحركة بالإضافة إلى استخدام الأقمشة القطنية متسعة النسيج في عمل أغطية الرأس والوجه خاصة في المنطقة الغربية ، كما أوضحت النتائج أن تأثير البيئة الاجتماعية تفوقت على الناحية الجغرافية في التأثير على شكل الملابس التراثية في المملكة واتضح ذلك في حرص النساء على ارتداء ملابس خارجية تستربها جميع أجزاء الجسم لاستخدامها عند الخروج من المنزل مثل (العباءة) في الرياض والتي أطلق عليها اسم (المرشدة) في عسير وسميت ملابس الخروج في مكة المكرمة (بالملاية) واستخدمت جميعاً بلون أسود بغية الوقار والاحتشام بالرغم من ارتفاع درجة الحرارة في مكة المكرمة والرياض وهذا يدل على مدى التمسك بالقيم الدينية السائدة في المجتمع .

٥ـ دراسة السلامي ، خيره عوض عوضه (٢٠٠١م) : بعنوان دراسة الأزياء الشعبية للمرأة السعودية في منطقة الباحة .

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الأنماط الملبسية للأزياء الشعبية للمرأة في منطقة الباحة وتوضح تأثير البعد الجغرافي والمناخي عليها من حيث الخامة ، واللون ، والتصميم والزخرفة مع ابتكار تصميمات مقتبسة منها تناسب متطلبات الحياة العصرية ، وتوصلت الدراسة إلى أن المرأة في منطقة الباحة لم تملك سوى ثوبين في الغالب أحدهما يرتدى سائر الأوقات ولكل الأعمال ويسمى المقاطع أو المجلول ويتميز بالبساطة والآخر للمناسبات .

٦- دراسة آل الشيخ ، نوره بنت عبد الملك (١٩٨٣م) : بعنوان (الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام) .

هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على النواحي الحضارية في المدينة المنورة من الناحتين الاجتماعية والاقتصادية . فدرست العادات والتقاليد لأهالي المدينة وأشارت فيها إلى ملابس المرأة وزينتها ، وأوضحت أن لبس النساء في صدر الإسلام لم يقتصر على الملابس القطنية والصوفية بل ارتدت الحرير والقطيفة وغيرها . فكانت تلبس . الدرع والخمار والنقاب والإزار فوق الجلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع .

٧. دراسة عبد الجبار ، أحمد عبد الإله (١٩٨٣م) : بعنوان (عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية . دراسة ميدانية انثروبولوجية حديثة) .

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على عادات وتقاليد الزواج في هذه المنطقة في الحاضر والماضي للكشف عن الملامح الحقيقية للتراث الشعبي في هذا المجال ، وتوصلت الدراسة بأن هناك بعض العادات والتقاليد اكتسبت ثباتاً عبر الزمن مثل التقاليد التي لا تسمح بسفور المرأة ويرجع ذلك إلى تمسك المجتمع السعودي بالتقاليد الإسلامية ، وأخرى تميزت بالثبات ولكنها أخذت تتعرض للتغيير إلى جانب ظهور بعض العادات والتقاليد المستخدمة ويشمل ذلك ملابس المرأة ووسائل زينتها ويرجع ذلك إلى التغير الاجتماعي الذي حدث في المجتمع السعودي بصفة عامة وإلى التغيرات التي حدثت في التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية للأسرة.

التعليق على الدراسات السابقة :

يتضح مما سبق أن المنطقة الجنوبية حظيت بدراستين إحداها عن عسير وكانت دراسة مقارنة عن تأثير البيئات على الملابس التراثية عموماً والآخر لمنطقة الباحة ولكنها لم تتعرض لملابس الزواج وعاداتها وتقاليدها بشكل تفصيلي كالدراسة الحالية . كما نجد أن الدراسات المتعلقة بملابس الزواج وعاداتها وتقاليدها فكانت تدور حول المنطقة الغربية في المملكة العربية السعودية وبقية الدراسات كانت عن الملابس التقليدية بصفة عامة في مكة المكرمة ونجد .

لذا فالدراسة الحالية تعتبر إضافة جديدة للتراث الشعبي بصفة عامة والأزياء الشعبية بصفة خاصة بالتوثيق والتحليل العلمي .

عادات وتقاليد الزواج في بلاد بنى شِهر

بلاد بنى شِهر كغيرها من القبائل الأخرى في جنوب الجزيرة العربية حافلة بالكثير من العادات والتقاليد والفنون التي أفرزتها طبيعة المجتمع المتآلف .

وترتكز الحياة الاجتماعية لسكان المنطقة الجنوبية على الأسس والقواعد الإسلامية الراسخة والتي تمتد جذورها إلى العام العاشر الهجري بالإضافة إلي العادات والتقاليد العربية التي كانت سائدة قبل الإسلام بالمنطقة وأقرها فيما بعد الإسلام . والسمة الغالبة في تركيبة المجتمع حالياً الأساس القبلي المدعوم بقيم الإسلام والأخلاق العربية الأصلية مثل الكرم ، والمروءة ، والشهامة ، والشجاعة ، والتعاون وهذه الصفات لا تميز أهل منطقة الجنوب فقط بل هي نموذج لصفات سكان المناطق الأخرى بالمملكة العربية السعودية (السلامي ، ٢٠٠١م) .

والجدير بالذكر أن طبيعة المنطقة الجغرافية الصعبة وتباين مناخها من قطاع لآخر فرضت عادات وتقاليد تتميز بها بلاد بنى شهر مثل التعاون في كل المناسبات سواء السعيدة مثل الأفراح والأعياد ، أو المواساة في الأحزان والمآتم ، أو في مواسم الحصاد وما يتبعه من أعمال ، ومن أبرز عادات وتقاليد الزواج فيها يتضح كالتالي :

١ – الخطوبة :

تتم الخطبة من خلال بحث أقارب الشخص الذي ينوي الزواج عن الزوجة المناسبة، وفي القرون الماضية كانت الفتاة لا تخرج عن أسر الأقارب نظراً لرغبة الجميع بإحاطة الأسرة بسياج من القرابة

خاصة عند أهل الأرياف والبوادي فنجد إن بنت العم لابن عمها، وهكذا إلا فيما ندر، وعادةً يقوم بالخطبة الأب فإذا كان متوفياً فأحد الأعمام أو الأخوان الكبار أو الأقارب ، حيث يذهب ذلك الوسيط إلى ولى أمر المخطوبة ويفاتحه في الأمر فيقول الوسيط : [لنا رغبة في إبنتكم فلانه لولدنا فلان] ، فإذا وافق ولي أمر المخطوبة قال : له [الله يحييكم ما عندي مانع أشوف رأي البنت وأعطيكم الخبر] وبعد السؤال عن الخاطب تتم الموافقة من المخطوبة بعد التشاور مع أهلها فيرسل والد المخطوبة إلى والد الخاطب ويقول له : [الله يحييكم]،بعد ذلك يأتون إلى والد المخطوبة ويتفقون على المهر ثم تقدم لهم وجبة العشاء المكونة من (اللحم والمرق ، العصيدة ، الفطير) ويسمى هذا العشاء "صلح " .

٢- عقد القران :

بعد اختيار الزوجة المناسبة ورضا كل من الطرفين واقتناع كل منهما بالآخر يتم عقد القران . وحسب ما شرحت أم علي كانت العقود في الماضي شفوية وليست مكتوبة حسب روايات الأجداد ، بعد ذلك يدفع الصداق ويحدد الطرفان يوماً للزواج ويتفقان فيه على عدد الأشخاص الذين يأتون مع العريس فإذا كانت القبيلة كلها تشارك في حفل الزفاف فإن القبيلة التي منها العروس تهب بكل إمكانياتها لاستقبال العريس وقبيلته .

٣ - المهـــر :

كانت المهور في الماضي قليلة لضيق اليد حتى أنه يقال أن المهر لم يزيد عن العشرة ريالات للبكر، وأقل من ذلك للثيب .

وفي بعض القبائل كانت المهور عبارة عن حلي مصاغة من الفضة أو ثوب متلي (ثوب مطرز بالخيوط الملونة) أو مصون (غطاء للرأس) ،وهذا يكون على حسب إمكانية الخاطب أما إذا كانت المهور نقوداً لا تدفع للمخطوبة بل لولي أمرها لكي يتصرف فيه حسب رغبته .

وقد ذكر الشهري (١٩٩٧م) : أن في القرن الرابع عشر للهجرة أصبح المهر يصرف لتجهيز المخطوبة ، وأن بعض الآباء وأقارب المخطوبة يدفع من ماله الخاص لتجهيز العروس ومنهم قبائل بني شهر

٤ . العلاقة بين الخطيبين :

يستطيع العريس أن يزور عروسه في بيت أهلها في بعض المناسبات والأعياد ، وكان يجلب لها الهدايا تقديراً لعروسه .

٥ . جهاز العروس :

تجهز العروس من قبل أهلها وذلك حسب يسرهم ويكون في الغالب عبارة عن :

١- سجادة وتسمى لديهم (زولية) ، وتتضح في الصورة رقم(١) .
٢- صندوق ويسمى لديهم (سحارة) وبداخلها الأشياء الخاصة بالعروس ويتضح ذلك في الصورة رقم (٢) .
٣- بعض الأواني المنزلية مثل قدور النحاس، والقدح المصنوع من الخشب ،و المبخرة وتسمى لديهم (مجمر)، وكذلك البرمة المصنوعة من الفخار(يحل ،تورة) ، والخسفة، ويتضح ذلك في الصورة رقم(٣).
٤- لحاف ويسمى لديهم (معطب) .

٥- بقرة وتسمى لديهم (حوز) .

هكذا كان جهاز العروس قديماً غير مكلف .

٦. حنة العروس :

تحنى العروس عادة في مجتمع القرية في بيت أهلها قبل زواجها بيومين في جلسة عائلية وجو من البهجة والسرور بوجود القريبات والصديقات، وتقوم بتحنيتها إحدى القريبات المتزوجات وذلك تفاؤلاً بحياة زوجية سعيدة ، حيث يعتقدون أن الحنة تحمل البركة، وهذا ينافي تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف حيث أن البركة في الزواج من عند الله سبحانه وتعالى ، ويقال عند الزواج (بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير) .

وتحنى العروس أيديها وأرجلها، وتسمى حنة اليد (القبضة) ويكون لون الحنة حمراء أو سوداء على حسب رغبة العروس ويتضح ذلك في الصورة رقم(٤) ، ويحرص أهل العروس على أن لا تقوم بوضع الحنة للعروس أرملة أو مطلقة أو زوجة غير موفقة في حياتها لأنهم يعتقدون أنه مصدر شؤم على مستقبل حياتها الزوجية ، وهذا ينافي تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف حيث قال : رسول الله صلى عليه وسلم (لا عدوى ولا طيره في الإسلام) .

٧. حمام العروس :

تقوم بعض قريبات العروسة أو أخواتها بالاهتمام بالعروس وذلك بدهن شعرها وجسمها ببعض الزيوت الطبيعية مثل زيت الزيتون وزيت السمسم ، وذلك قبل الزواج بفترة وجيزة(يومين) ،وكذلك صبغ شعرها بالحناء لإعطاء اللون الأحمر ، وتستحم العروس يوم الزفاف، ويوضع الطيب على شعرها لإعطائه نعومة ، ورائحة جميلة ويتكون هذا الطيب من :.

١. الورد المجفف ويسمى لديهم (هدسه) .
٢. محلب وهو نوع من أنواع الحبوب له رائحة عطره .
٣. حبات من القرنفل يسمى لديهم (عويدي) وشكله يشبه المسمار.
٤. حبات من الهيل .

فتجمع كل هذه المكونات وتخلط وتسحق بين حجرين يسمى الأول (فهـــره) والثاني (مسحقة) وهي القاعدة، ثم يوضع الطيب المسحوق على شعر العروس،ويتضح ذلك في الصورة رقم(٥).

أما بالنسبة للعريس فيقوم بالاستحمام في بيت أهله ثم يذهب إلى الحلاق الموجود في القرية لحلاقة الشعر وتزيين الشارب واللحية .

٨. ملابس الزفاف :

١- الثوب المتلي : وهو الثوب المميز لزي العروس للمرأة الجنوبية لقبيلة (بني شهر) ويتصف بالاتي:

- الشكل العـام للثوب : عبارة عن ثوب طويل بطول المرأة ويتسع تدريجيا من الأعلى إلى أسفل والأكمام وطويلة وتضيق نزولا" إلى الإسورة وتتصل بقطعة موجودة فوق قطعة الجنب وتسمى (تخراصة)، ومن المعتاد ترك فتحة صغيرة في خياطة الكم لإخراج اليد عند الوضوء لضيق فتحة الكم .

- حـــــردة الرقبـــــة:عبارة عن حردة دائرية صغيرة وبها فتحة طولية من الأمام،وقد تكون الحردة مربعة متسعة قليلا وذلك لتسهيل مرور الرأس.
- أمـــاكن التطريـز : يتركز التطريز على أطراف الكم والصدر والجنبين بالخيوط الحريرية الملونة والقصب.
- الغـــرز المســـتخدمة: غرزة السلسلة.
- القمـــاش المسـتخدم: صنع هذا الثوب من قماش القطيفة المخمل، مما يظهر القطن الأسود أو الستان .
- الألـــوان المستخـدمة: الأحمر،الأصفر،الأزرق،الأبيض،الأخضر،البرتقالي، الذهبي.
- الزخارف المستخدمة: السيف، النخلة، الوردة، المثلث، الدائرة، الخطوط المستقيمة،المنحنية، المنكسرة. ويتضح ذلك كله في الصورة(٦،٧،٨)

٢- <u>الثوب المكلف: يشبه تماما الثوب المتلي، ولكنه يعتمد على التطريز الآلي ،وقد ظهر هذا الثوب بعد ظهور الآلة.</u>

كما ارتدت الفتيات والشابات الملابس المصبوغة بالأخضر والأحمر .

٣- <u>السروال :</u>

يتسع من الأعلى ويضيق تدريجيا" عند الساق إلى أن يصل إلى القدم ، ويطرز الجزء الأسفل منه بخيوط الحرير الملونة مثل الثوب ويصنع من الأقمشة القطنية ، ويتضح في الصورة رقم (٩) ، ومن مسميات الأقمشة التي استخدمت في صناعته :

أ- (الحلبي): وهو عبارة عن قماش ملون يتميز باللمعان ذو نسيج أطلسي ويكون مقلماً ويجلب من حلب .

ب- (خط البلدة): وهو عبارة عن قماش قطني أبيض مقلم بالأحمر والأسود وكان يجلب من مصر .

٤- <u>المنديل :</u>

وهو عبارة عن قماش قطني خفيف ملون باللون البرتقالي أو الأحمر أو مزخرف بالورود المطبوعة يثنى على شكل مثلث ويوضع على الرأس ويربط من الأمام تحت الذقن ويلبس تحت الطرحة أو القناع ومن المعتاد أن تضع المرأة بعض النباتات العطرية مثل الريحان . تحت المنديل، ويسمى (غراز أو عُكس) ، ويتضح ذلك في الصورة رقم(١٠) .

٥- <u>المصون :</u>

ويسمى شيلة أو مسفع : وهو عبارة عن غطاء للرأس مستطيل من القطن الأسود الخفيف له أهداب على الأطراف ترتديه المرأة المتزوجة فوق المنديل وتلفه حول وجهها وتثبته في الجنب تاركة الوجه مكشوف ،و للمصون كتل من الخيوط الحريرية الملونة التي يغلب عليها الأحمر ،والأخضر ،والأبيض ،وتتعدد ألوان الكتل .

وترتدي المرأة المصون، بحيث تضع طرفها على منتصف الرأس بشكل عرضي ويتدلى الطرف الثاني ، ويتضح ذلك في الصورة رقم(١١) .

٩- حلي العروس :

تلبس العروس ما أمكنها من الحلي المصاغة من الفضة لاستكمال مظهرها وزينتها ، وهي كما يلي :

١- الخواتم وتسمى فتخ ، ويتضح في الصورة رقم(١٢).
٢- الأساور وتسمى لديهم (مفارد – معضد) ، ويتضح في الصورة رقم(١٣).
٣- السلاسل وتسمى (معانق) وتصنع من الأحجار والفضة ،ويتضح في الصورة رقم (١٤)
٤- الحزام : ويتضح في الصورة رقم (١٥) .
٥- العصابة : وتلبس حول الرأس ، ويتضح في الصورة رقم (١٦).

١٠- زينة عين العروس :

تقوم العروس بوضع الكحل على طرف عينيها باستخدام المرود ، والكحل عبارة عن حجر أسود يُعرف (بالأثمد) يسحق قبل استعماله ويوضع (بالمكحلة)، أما المرود فهو عبارة عن عمود رفيع مصنوع من المعدن أو الفضة، ويستخدم أيضاً لقفل المكحلة ، وتحرص المرأة دائماً على تزيين عينيها بالكحل طوال اليوم وفي كل الأوقات .

والكحل له قيمة علاجية للعين ، وفي الحديث الشريف ،(ضعوا الأثماد فإنها تجلي النظر وتطيل الأهداب)

١١- زينة شعر العروس :

يقسم شعر العروس إلى ثلاثة أقسام في اليمين وفي اليسار وفي الخلف بعمله على شكل ضفائر، ويتضح في الصورة رقم(١٧)، ثم يوضع بعض من الطيب في مقدمه الرأس.

وبعد الانتهاء تقوم العروس بارتداء الطرحة والعباءة وهي في كامل زينتها ،ويتضح ذلك في صورة رقم (١٨).

١٢- حفل الزفاف :

في صباح اليوم المتفق عليه للزفاف يذهب العريس ومعه عدد من رجال قبيلته وعند الاقتراب من منزل أهل العروس تبدأ العرضة الجنوبية وهي رقصات حماسية يتخللها قذف بالبندقية إلى أكثر من عشرة أمتار في الهواء لبعض من أبناء العشيرة، وهذا يعتبر نوع من استعراض المهارة والإبداع في حمل السلاح واستخدامه ، وبعد الانتهاء من العرضة يقوم أهل العروس وجميع المدعوين من أهل القرية بالترحيب بهم ثم يقدمون لهم القهوة ،والرطب ، وبعدها يتناولون بعض المأكولات الشعبية مثل :

١. العصيدة : وهي عبارة عن دقيق الذرة والبر المعصود في الماء حتى ينضج ، وهي الأكلة المفضلة في الجنوب .
٢. المشغوثة : مثل العصيدة ، ولكن تقدم مع العسل .
٣ . الفطير : وهو عبارة عن دقيق البر معجون مع الماء وقليل من اللبن الحامض ، ويفرد بشكل طولي أو دائري ثم يخبز في فرن التنور المسمى لديهم " الميفا" ويتضح في الصورة رقم (١٩) ، ويقدم مع العسل والسمن ، كل هذا في صبـــاح ذلك اليوم وقت الضحى .

وبعد صلاة الظهر تقدم لهم وجبة الغداء حسب استطاعة أهل العروس من الذبائح (لحم ومرق) وكذلك العصيدة والفطير والأرز الأبيض ،و بعد الانتهاء من الغداء تكون العروس قد تم تجهيزها للرحيل مع زوجها ، وإذا كانت المسافة بعيدة فتحمل العروسة على دابة عليه هودج ، ودواب أخرى تحمل أثاثها ، ويأخذها العريس إلى منزله ، وعند اقتراب موكب العروس من دار العريس تستقبل بالترحاب من أهل زوجها وأقاربه ويبدأ إطلاق الرصاص وضرب الدفوف ، وفي عصر ذلك اليوم يذهب أقارب العروس إلى منزل العريس ليتناولوا وجبة العشاء ويذهبون لصلاة العشاء بعدها يقومون بالاحتفال وإقامة العرضة الجنوبية، واللعب الشهري ويكون اللعب بتقابل مجموعتان من الرجال على شكل صفوف متقابلة لكل صف حوالي عشرون شخص ويتضح في الصورة رقم(٢٠) ، ويحضر عدد من الشعراء ويستمر الحفل لساعات من الليل ويتخلل العرضة بعض المحاورات الشعرية والتي فيها من العبر والنصائح ما يشد انتباه الجميع مثل قول الشاعر محمد بن علي : ياالله يا رافع الأقدار تهب على قومي حجاب، اكسِنا ثوب سترك واجعل الحظ بيدينا ونوره وأن تولف قلوب الناس لا بارت أحكام الزمان ، والله يسعدكم بشارة .

١٣- الرفد :

من العادات البارزة والمرتبطة بمناسبة الزواج وهو أن يقدم الأقارب والأصدقاء كلا" حسب قدرته ، شيء من المال ، أو قد يقدم بعض من الذبائح لأهل العريس .

١٤- الصبحة :

تستيقظ العروس في صباح اليوم التالي فتقوم بتجهيز نفسها لاستقبال الضيوف بحضور والدتها التي تجلب معها الفطور المكون من الآتي :

١- العريكة : عبارة عن دقيق بر معجون بالماء .
٢- الفطير : (سبق ذكره)
٣- الأقراص: تتكون من دقيق البر معجون بالماء وخميرة، وتكون الأقراص خفيفة .

أما العروس فتجهز بعض المشروبات مثل :

١- قهوة الهيل : وهي عبارة عن البن بإضافة قرنفل وقرفة وزنجبيل وهيل وتقدم مع التمر .
٢- قهوة القشر : وهي عبارة عن قشر البن واليانسون والزنجبيل المطحون والقرفة .
٣- الشاي : وهي عبارة عن أوراق الشاي وتأتي جاهزة في أكياس .

وبعد الانتهاء من الفطور يقدم الضيوف بعض الهدايا للعروس إما حلي مصاغة من الفضة أو نقوداً .

١٥- النُّقْلة :

هذه العادة تعنى انتقال العروس من دار زوجها إلى دار أهلها لأول مرة بعد الزواج ، حيث يحضر والد العروس بنفسه ويوجه الدعوة إلى العريس وأهله والعروس لحضور حفل عشاء يقيمه في داره وتقام الأهازيج والزغاريد والرقصات ، وهذه العادة تبين مدى حب الأهل وتقديرهم لإبنتهم .

١٦- بيت الزوجية :

هكذا يبدأ مشوار جديد وطويل في حياة كل منهم وتعيش الزوجة مع أهل زوجها ولا تفكر في مسكن مختلف ، وكان البيت يتكون من غرفتين أو ثلاث ومطبخ وحمام ويكون البيت داخل الحوش (حديقة البيت).

والبيوت كانت عبارة عن أحجار مبنية فوق بعضها لا تزيد عن ثلاثة أدوار ، والنوافذ والأبواب كانت تصنع من الخشب ، وكذلك الأسقف كانت تثبت بقطع من الخشب ، ويتضح ذلك في الصورة رقم (٢١) .



صورة رقم (١) سجادة صغيرة (زولية)



صورة رقم (٢) صندوق خشب (سحارة)





أنواع من البرمة (يحل ، تورة)



خسفة



مبخرة





مقدح

صورة رقم (٣) أنواع من الأواني المنزلية



صورة رقم (٤)

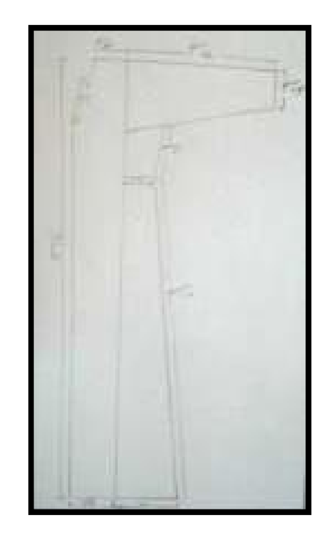
تبين حنة اليد (القبضة) اليد اليمنى حنة سوداء ،واليد اليسرى حنة حمراء



صورة رقم (٥)

تبين الحجرين الذي يتم به سحق مكونات الطيب (هدسة ،محلب ،عويدي وريحان)





صورة رقم(٦) الثوب المتلي من الأمام ومقاساته



صورة رقم (٧) الثوب المتلي من الخلف



صورة رقم (٨) إسورة الكم للثوب المتلي



صورة رقم (٩) تبين تطريز السروال



صورة رقم (١٠) فتاة ترتدي المنديل بعد أن وضعت الريحان



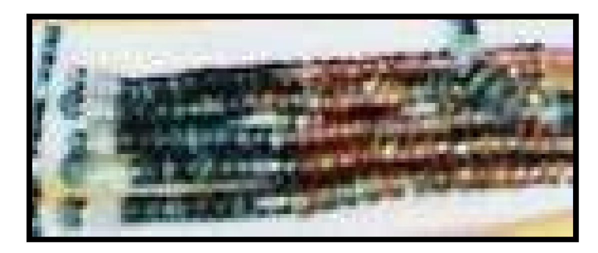
صورة رقم (١١) طريقة وضع غطاء الرأس (المصون)





صورة رقم (١٢) خواتم من الفضة





صورة رقم (١٣) الأساور (المفارد ـ المعضد)



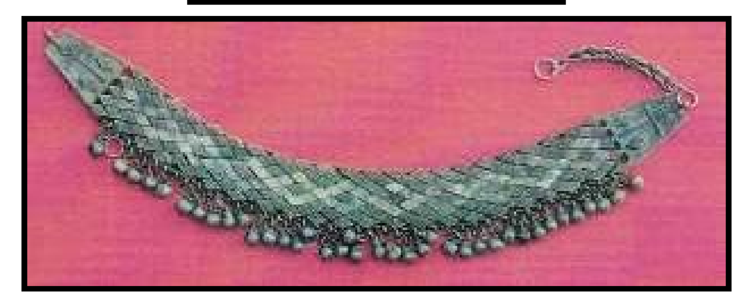


صورة رقم (١٤) السلاسل (معانق)



صورة رقم (١٥) الحزام الفضي





صورة رقم (١٦)

العصابة الفضية التي توضع على الرأس وترتديها المرأة مع ثوب مكلف (تطريز بالماكينة)



صورة رقم (١٧) توضح كيفية تقسيم الشعر وعمله على شكل ضفائر



صورة رقم (١٨)

توضح العروس وهي ترتدي الثوب المكلف في كامل زينتها بعدما ارتدت العباءة والطرحة (القناع)



صورة رقم (١٩) التنور (الميفا)





صورة رقم (٢٠) توضح اللعب الشهري والعرضة الجنوبية









صورة رقم (٢١) تبين شكل البيوت من الداخل والخارج

تحليل النتائج وتفسيرها

١ . من خلال تناول الإعلان في التعريف بعادات وتقاليد الزواج لبلاد بنى شهر كان له دورفعال في زيادة الثقافة وتوفير المعلومات والظروف المحيطة مع تعليم مهارات جديدة تنقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل وتساعد على تنشئة الجيل الجديد .

٢ . من أهم العادات والتقاليد في الزواج بقبيلة بنى شهر عدم غلو المهور عند الزواج، وهذا ما أكده الشهري (١٤١٨هـ) ، أن المهر في القرن الرابع عشر الهجري بسيطاً جداً في عشائر بنى شهر .

٣ . تتميز قبيلة بنى شهر بالأخلاق الأصيلة مثل الكرم والتي تظهر جلية في كرم الضيافة بعادات وتقاليد الزواج ، وهذه السمة وغيرها من الأخلاق العربية لا تميز هذه القبيلة فقط بل هي نموذج لصفات سكان المناطق الأخرى بالمملكة العربية السعودية .

٤ . اهتمت المرأة في بلاد بنى شهر بالتطيب حيث استخدمت الروائح العطرية من النباتات الطبيعية لإضافة الرائحة الطيبة عليها .

٥ . المحافظة على الأزياء والحلي التقليدية للزواج لقبيلة بنى شهر يعد عنصر حيوي يساعد على المحافظة على التراث بالطرق العلمية المنظمة الذي أخذ في الاندثار .

٦ . إن تحليل الزي وتوصيفه ساعد على معرفة الخامة المستخدمة لملابس الزواج والأسلوب المستخدم في التطريز والذي اعتمد أولا" على الأسلوب اليدوي والذي له الأهمية الكبرى في إبراز جمال الزي، وتم استخدام (غرزة السلسلة) بشكل كبير في التطريز مع تداخل الخيوط الملونة، وقد تركز التطريز على الصدر وفي الأساور وجانبي الثوب .

٧ . أما الحلي فقد استخدمت المرأة السلاسل والأساور المصنوعة من الأحجار الكريمة المضافة لها أجزاء بسيطة من الفضة، أما الأحزمة والخواتم فكانت مصنوعة من الفضة مع إضافة القليل من الأحجار الكريمة وذلك لاستكمال زينتها وجمالها .

التوصيات

١ . دعوة الجامعات والكليات إلى التضامن والتعاون لإنشاء متحف يضم تراث المملكة العربية السعودية ليكون مرجعاً للمهتمين بهذا المجال وحفظاً لتاريخ الأمة .

٢ . ضرورة تبادل الأبحاث والدراسات بين جامعات وكليات المملكة وتوفيرها في المكتبات حتى يتسنى للباحث العلمي سهولة الرجوع إليها .

٣ . دعوة الآباء وأولياء الأمور إلى عدم المغالاة في المهور وتيسير الزواج وعدم التعسف في طلبات الزواج لمراعاة الفروق بين الناس وإتباعا" لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

٤ . الدعوة إلى تصحيح الكثير من المفاهيم والمعتقدات الخاطئة في عادات الزواج .

٥ . دعوة وسائل الإعلام إلى الاهتمام بشكل أكبر بتعريف العالم بعادات وتقاليد الدول العربية المختلفة عن الزواج .

المراجع

١- أبو العلا ، محمود طه (١٩٨٦م) : جغرافية شبه الجزيرة العربية ، ط ٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة

٢- آل الشيخ ، نورة بنت عبد الملك (١٩٨٣) : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام ، تهامة ، جدة .

٣- اسكندراني ، بثينة محمد حقي (٢٠٠٠م) : الملابس التقليدية للنساء في المدينة المنورة ومدى تمسك العرائس فيها بارتداء الشرعة المديني في ليلة الدخلة ، جامعة الملك عبد العزيز . قسم الاقتصاد المنزلي. جدة .

٤ – البسام ، ليلى صاح (١٩٨٥م) : التراث التقليدي لملابس النساء في نجد ، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي ، الدوحة ، قطر .

٥- البستاني ، المعلم بطرس (١٩٩٣م) :القاموس المحيط باللغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان .

٦ – السلامي ، خيره عوض عوضه (٢٠٠١ م) : دراسة الأزياء الشعبية للمرأة السعودية في منطقة الباحة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للاقتصاد المنزلي والتربية الفنية ، قسم الملابس والنسيج ، جدة .

٧- السنيدي ، فهد عبد الكريم بن راشد (١٤٢٠ هـ) : الزواج ، دراسة فقهية اجتماعية ، مكتبة الرشد ، الرياض .

٨- الشهري ، فايز سالم (١٤١٨ هـ) : الوجيز في التاريخ وجغرافية بلاد بنى شهر ، الطبعة الأولى ، مطابع الخالد للأوفست ، الرياض .

٩- عبد الجبار أحمد عبد الإله (١٩٨٣م) : عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية والمملكة العربية السعودية (دراسة ميدانية انثروبولوجية حديثة)، تهامة ، جدة .

١٠- عبيدات ، ذوقان وعبد الرحمن عدس وكايد عبد الحق (١٩٩٣ م) : البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الرياض .

١١- علي ، سمر محمد (١٩٩٣م) : أثر اختلاف البيئات على بعض أنماط الملابس التراثية للنساء في المملكة العربية السعودية – دراسة مقارنة . مجلة علوم وفنون (دراسات وبحوث) العدد (٤) ـ أكتوبر . جامعة حلوان. القاهرة

١٢- العمودي ، حمود (١٤٠١ هـ) : التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة .

١٣- العنتيل ، فوزي (١٩٧٨م) : بين الفولكلور والثقافة الشعبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

١٤- الغامدي ، سعيد فالح (١٩٨٥ م) : التراث الشعبي في القرية والمدينة (منطقة الباحة ومدينة جدة) ، الطبعة الأولى، مطابع شركة دار العلم للطباعة والنشر، جدة .

١٥- فدا ، ليلى عبد الغفار (١٩٩٣م) : الملابس التقليدية للنساء في مكة المكرمة أساليبها وتطريزها ، رسالة ماجستير. كلية التربية للاقتصاد المنزلي والتربية الفنية. قسم الملابس والنسيج ، الرياض .

١٦- محمد ، على عبد المعطى ومحمد السريا قوسي (١٤٠٨هـ) : أساليب البحث العلمي ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت .

١٧- الميمان ، محمد إبراهيم (١٤١٠هـ) : التراث الشعبي ، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ،الرياض .

١٨- يونس ، عبد الحميد (١٩٧٣م) دفاع عن الفولكلور ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة .

فلسفة القط العسيري ودور المرأة في نقل الموروث الثقافي الحرفي لإثراءالمعلقات النسيجية وتنشيط التسويق السياحي السعودي

The Philosophy of Al-Qatt Al-Asiri and the Role of the Woman in the Transfer of the Handicraft Cultural Heritage for the Enrichment of the Textile Hangings and Promotion of the Saudi Tourism Marketing

أ.م.د/ فادية محمد هشام زكريا
أستاذ مساعد بقسم الفنون التطبيقية –كلية التصميم والعمارة –جامعة جازان –المملكة العربية السعودية
قسم طباعة المنسوجات والصباغة والتجهيز

Assist. Prof. Dr. Fadia Mohamed Hesham Zakria
(Professor Assistant in the Department of Applied Arts –Faculty of Architecture and Design –Jazan University –Kingdom of Saudi Arabia)
Kenzy407@yahoo.com
fhesham@jazanu.edu.sa

الملخص:
يركز البحث في إلقاء الضوء علي مشكلة البحث التي تتمثل في أهمية "فن القط العسيري" على أنه واحد من الفنون الشعبية المعروفة بالمملكة العربية السعودية، وهو فن النقش والزخرفة التقليدية على جدران المنازل الذي برعت فيه نساء منطقة عسير، والذي قررت منظمة الأمم المتحدة "اليونسكو" إدراجه ضمن قائمة المنظمة للتراث الثقافي غير المادي للبشرية الذي يحتاج لصون عاجل، والذي عُقد في جزيرة "جيجو" بجمهورية كوريا الجنوبية في الفترة من 4 إلى 9 سبتمبر من العام الحالي 2017، وكذلك إبراز دور المرأة العسيرية في تنمية ونقل التراث الثقافي الحرفي للقط العسيري، وأهدافه من حيث توضيح فلسفة بنائه، وألوانه المميزة، وأشهر فنانات القط العسيري، بالإضافة إلى تمكين المرأة في المجتمع، وذلك من خلال عمل تصميمات خاصة وإنتاج ورش، ودورات، ومتاحف، وقرى سياحية لتطوير هذا التراث السياحي والمحافظة عليه، والوقوف على خصائصه، وكذلك استحداث تصميمات تساهم في تنشيط التسويق السياحي والارتقاء بالذوق العام، والكشف عن هويتها التراثية وما تحمله من كنوز أثرية جعلتها تتصدر الوجهات السياحية التراثية في المملكة. وتفترض الباحثة أن الدراسة التحليلية لنماذج مختارة من زخارف التراث العسيري سوف تعمل على الوقوف على خصائص زخارفها الطباعية وسماتها المؤثرة، وقد اتبعت لتحقيق ذلك المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التجريبي. ويتبلور ذلك في نتائج البحث من إظهار جماليات القط العسيري من خلال التصميمات المبتكرة المستوحاة من القط العسيري بالتطبيق على تجميل الفنادق السياحية بمنطقة عسير بمخرجات المعلقات النسيجية المطبوعة وأثر ذلك على عملية التسويق السياحي السعودي.

الكلمات المرشدة:
فلسفة القط - الموروث الثقافي - الحرف - المعلقات النسيجية - التسويق السياحي.

Abstract:
The Research aims at highlighting the problem of the Research, which is represented in the "Art of Al-Qatt Al-Asiri" as one of the folk arts known in Saudi Arabia. It is the art of the traditional engraving and decorating on the walls of houses, which was mastered by the women in Asir region. The UNESCO has added this art to the list of the Intangible Cultural Heritage of Humanity, which shall be maintained urgently, whose meeting was held in the

DOI: 10.12816/mjaf.2019.11741.1112

Island of Jeju in South Korea during the period from 4th to 9th of September 2017. The Research also highlights the role of the women in Asir in the development and transfer of the handicraft cultural heritage of Al-Qatt Al-Asiri through the recognition of its philosophy, distinguishable colors, and most famous artists. It enables the woman in the community through setting special designs, making workshops, courses, museums, and tourist villages to develop and maintain this tourism heritage, and know its characteristics. It also creates designs that contributes in stimulating the tourism marketing, promoting the public taste, and discovering the heritage identity and the heritage treasures, which makes it at the top of the heritage tourism destinations in Saudi Arabia. The Researcher assumes that the analytical studying of the selected models of the decorations of Asiri heritage will help in recognizing the characteristics of the printing decorations and their effective characteristics, for which the Researcher used the descriptive analytical approach and the experimental approach. This is shown in the Research results through showing the aesthetic aspects of Al-Qatt Al-Asiri through the creative designs that are inspired from this art using the application in the decoration of the tourism hotels in Asir with the outputs of the printed textile hangings, and the impact of this on the Saudi tourism marketing.

Keywords:

Philosophy of Al-Qatt Al – Asiri - Artistic Cultural - Handicrafts -Textile Hanging - Tourism Marketing.

مشكلة البحث Statement of the Problem:

- تتحدد مشكلة البحث في إلقاء الضوء على أهمية القط العسيري على أنه تراث مصنف عالميًا، وأثره على الارتقاء بالمعلقات النسيجية المطبوعة وعملية التسوق السياحي.
- ما دور المرأة في تنمية الموروث الثقافي الحرفي للقط العسيري والحفاظ علية من الاندثار؟

أهداف البحث Objectives:

تتحدد أهداف هذا البحث فيما يلي:

- إظهار جماليات القط العسيري ومنطقة (عسير) كموقع سياحي مميز على مستوى المملكة من حيث الموقع الجغرافي وتنوع التضاريس والجبال والقرى السياحية والمناخ وتنوع العادات والتقاليد والحرف التراثية وجماليات القط بما يثري التصميمات النسيجية المطبوعة.
- التعرُّف على أشهر فنانات القط العسيري وموضوعاته وفلسفة بنائه وألوانه الجذابة والاتجاهات الفنية الحديثة والتقنيات التي اتبعوها في أعمالهم لإحياء التراث العسيري من خلال تحليل نماذج من أعمالهم.
- تحديد أوجه الاستفادة من جماليات القط العسيري من خلال التصميمات المبتكرة للمعلقات النسيجية المطبوعة وأثر ذلك على عملية التسوق السياحي.
- الارتقاء بالذوق العام والحس الجمالي وتأكيد الهوية الثقافية للتراث العسيري.

أهمية البحث Importance of Research:

تتحدد أهمية هذا البحث فيما يلي:

- استحداث تصميمات معاصرة للمعلقات النسيجية المطبوعة مستوحاة من جماليات الزخارف التراثية للقط العسيري كمصدر خصب للتصميمات المبتكرة المستمدة من التراث الأصيل المميز للمنطقة والمصنف عالميًا من منظمة اليونسكو للتراث العالمي.

- إبراز دور المرأة في المجتمع العسيري ونقل الموروث الثقافي الحرفي من خلال (النقش على الجداريات، إنشاء متاحف خاصة، قرى سياحية، الورش الخاصة، إقامة دورات لتطوير هذا الفن والمحافظة عليه من الاندثار)
- حماية الحرف التراثية من خطر الغزو الحضاري والتقدُّم التكنولوجي وتنشيط عملية التسوق السياحي المحلي بما ينعكس على حياة الفرد والمجتمع.

مصطلحات البحث Terminology:

<u>الفلسفة:</u> هي كلمة يونانية قديمة مركَّبة من مقطعين هما "فيلو" بمعني حب و"سوفيا" بمعني حكمة، وبذلك فإن كلمة "فيلوسوفيا" تعني لغويًا "حب الحكمة". إن الفلسفة تتضمن الحكمة التي تم تنظيمها لتشكيل بناء عقلي استخدامي، أو هي مجموعة من المبادئ والمفاهيم العامة التي تغطي فرع معرفة معين في التعليم أو فرع معرفة عام أو نظام ديني عقائدي أو أي نشاط إنساني آخر، وتتضمن الفلسفة الانطولوجيا والابستمولوجيا والاكسيولوجيا (محمد عزت، 1984م).

<u>القَط:</u> هو فن تزيين جدران المنازل في منطقة عسير منذ مئات السنين، ويعتمد على الزخارف الهندسية البديعة التي تستوحي أبعادها ودلالاتها من الثقافة المحيطة، وخصوصًا ألوان الطبيعة.

وكلمة **<u>"قَط" في معاجم اللغة العربية:</u>** تعني "الخَّط" أو "النحت" أو "القطع"، وهو ما تفعله المبدعات من نساء منطقة عسير في المنازل، وخصوصًا منازل الأثرياء ووجهاء المجتمع قديمًا، وعاد فن" القط العسيري" لواجهة الاهتمام العالمي بعد أن تم اختياره ضمن القائمة التمثيلية للتراث العالمي غير المادي، لدى منظمة "اليونسكو" (نت-30).

<u>اليونسكو والموروث الثقافي</u>: لقد ظهر الموروث الثقافي غير المادي بداية سنة 1990، بعد التوصيات التي قُّدِمَت لليونسكو سنة 1989 حول حماية الثقافات التقليدية، فى وقت يتجه التراث العالمي أساسًا إلى الجوانب المادية للثقافة... (نت-37).

<u>التراث:</u> كلمة عربية أصيلة، مُشتَّقة في اللغة من كلمة ورث، وتعنى مجموع ما تركه الميت لوارثه. ولقد تعدد تعريف التراث. ومن خلال القراءات، ترى الباحثة أن التراث هو الهوية التي تميز أمة أو شعب عن غيره من قيم عبر العصور حتى العصر الحديث، وبشكل أشمل التراث هو موروث شعب ما، يخصه دون غيره من الشعوب وقد يتشابه في جزء منه مع غيره من الشعوب، ولكنه لا يتشابه فيها جميعًا، ويتضح ذلك في العادات والتقاليد والفنون والثقافات الحضارية المتوارثة عبر الأجيال والتي تحمل في طياتها كافة المعاني المميزة لهوية الشعب أو الأمة. (السلامي، 2001م)

<u>المعلقات النسيجية المطبوعة</u>: تُطلق على كل ما يُعلق على الجدران لاستخدامه من الناحية الجمالية إلى جانب وظيفته النفعية. والمعلق المطبوع عبارة عن هيئة مرنة في مساحته تسمح بالانسدال لتعلق فوق الجدران تحوي مضمونًا مسجلًا بمعالجة تشكيلية فنية (مصطفى حسين، وآخرون، 2000م).

<u>التسوق السياحي</u>: هو تنشيط السياحة بكل أشكالها، ولمعرفة الناس في كل أنحاء العالم بالمكان السياحي وحثهم على الذهاب إلية ويتم ذلك بعدة طرق منها تنشيط شركات السياحة والطيران في أنحاء العالم بمساعدة ودعم الدولة لهذه الشركات ومنها الإعلان عن جمال وروعة المكان السياحي من جمال طبيعي وتسوُّق من خلال البرامج المعلنة وهذا النوع من التسويق له أكبر مردود من الناس للذهاب للأماكن السياحية (نت-36).

حدود البحث Research Limits:

اقتصرت حدود هذا البحث على الحدود الآتية:

<u>أولًا: الحدود المكانية</u>: اقتصرت حدود البحث المكانية على منطقة (عسير) التي تقع وسط الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية.

ثانيًا: الحدود الزمنية: اقتصرت حدود البحث الزمنية على المائة وخمسين عام الأخيرة حتى الآن.

ثالثًا: الحدود الموضوعية: اقتصرت حدود البحث الموضوعية لهذا البحث على ما يلي:

يتضمن البحث دراسة تحليلية لمجموعة من نماذج مختارة من التراث العسيري قديمًا وحديثًا للوقوف على خصائص زخارفها الطباعية وسماتها المؤثرة.

الجانب التصميمي: حيث تقوم الباحثة بعمل دراسة تجريبية لاستحداث حلول تصميمه طباعية معاصرة للمعلقات النسيجية السياحية.

فرضيات البحث Research Hypotheses:

تتحدد فرضيات البحث فيما يلي:

تفترض الباحثة أن الدراسة التحليلية لنماذج مختارة من زخارف القط العسيري والوقوف على خصائصها من حيث الشكل واللون وأسس الزخرفة الهندسية القائمة على التجريد تُعتبر مصدرًا يثري تصميم المعلقات النسيجية السياحية المطبوعة وبالتالي يمثل عملية جذب لأهمية المنطقة وجماليات الزخارف المنقولة من خلال الحرفيات ودورها في تنشيط وترويج التسوق السياحي للمنطقة.

منهجية البحث Research Methodology:

المنهج الاستقرائي: من خلال الدراسات السابقة ومصادر الاطلاع.

المنهج الوصفي التحليلي: يتمثل ذلك في الدراسة التحليلية لنماذج مختارة من زخارف القط العسيري.

المنهج التجريبي: (الفني التطبيقي)، وذلك من خلال التصميمات المبتكرة المنفذة باستخدام برنامج (-RamseteIII AdopephotoshopCs) والدراسات الفنية لزخارف (القط العسيري) للدراسة موضوع البحث للاستفادة منها لاستحداث معلقات نسيجية مطبوعة تثري مجال السياحة الداخلية.

المنهج الوظيفي: دور الحرف التراثية (القط العسيري) كحرفة يدوية شعبية من زاوية وظيفتها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفنية وأثرها على التسوُّق السياحي للمنطقة.

الدراسات السابقة المتعلقة بالبحث Review of Literature:

1. أسماء عبد الله ثقفان: "جماليات الفن الشعبي العسيري ودوره في التنشيط السياحي من خلال اللوحة التشكيلية "رسالة ماجستير منشورة –كلية التربية –جامعة الملك سعود 1429ه الموافق 2008م.
2. أحمد محمد آل سنة: "دور الفنون التشكيلية في تنمية السياحة الداخلية في المملكة العربية السعودية" رسالة ماجستير منشورة – قسم التربية الفنية – جامعة الملك سعود الرياض – 1428ه الموافق 2008م.
3. علي بن عبد الله الشهراني: "العناصر الفنية والجمالية للعمارة التقليدية بمنطقة عسير" رسالة ماجستير – كلية التربية الفنية – جامعة أم القرى – مكة المكرمة -1420ه.
4. نهال عبد الجواد محمد أبو الخير إيمان بهنس أحمد خضير: "الزخارف الشعبية كمدخل لإثراء القيم التشكيلية والتعبيرية والوظيفية لتصميمات المفروشات "" دراسة حالة على المنسوجات المستخدمة في القرى السياحية واستراحات الطرق في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية " – بحث منشور -مجلة التصميم الدولية – عدد (5) –2015م.
5. هاني محمد علي الجواهرة: "وحدة العناصر والأشكال في النقوش الجدارية بمنطقة عسير وعلاقتها باللباس" بحث منشور -مجلة جامعة دمشق للعلوم والهندسة – المجلد الحادي والعشرون – العدد الثاني – 2005م.

محاور البحث Research Axes:

المحور الأول: منطقة عسير بين المقومات الجغرافية والطبيعية وبين الإمكانيات السياحية والتنموية.

المحور الثاني: السياحة في عسير وأهم عوامل الجذب السياحي للمنطقة.

المحور الثالث: أشهر فنانات القط ودور المرأة في نقل الموروث الثقافي الحرفي.

المحور الرابع: دراسة تحليلية لزخارف التراث الشعبي العسيري والاستفادة منها في ابتكار "تصميمات طباعية" معلقات نسيجية مستوحاة من جماليات زخارف القط العسيري "الجانب التطبيقي" تجارب البحث وأثرها على التسوُّق السياحي.

الإطار النظري للبحث Theoretical Part:

المحور الأول: منطقة عسير بين المقومات الجغرافية والطبيعية وبين الإمكانيات السياحية والتنموية

عسير هي عروس الطبيعة وعشق الغيوم وأنشودة المطر، أعطاها موقعها أهمية حيوية للحجاج والتجار، وميزتها تضاريسها بجمال الطبيعة من جبال وسهول تناغمت مع البيئة والطبيعة لتكون مرتعًا للطيور الجارحة والنادرة. وتتمتع منطقة عسير بمناخ جميل طوال أيام السنة وخاصةً صيفًا لتصبح مقصد أهل الجزيرة العربية صيفًا للسياحة، ولها تاريخ يمتد إلى حضارات سبأ ومدين واليزيدية وما قبل الإسلام (نت-25).

تقع منطقة عسير في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية بين خطي الطول (41) و(44) وخطي عرض (17.5) و(20.5) وعلى ارتفاع يزيد عن 3000م عن سطح

البحر تتوسط بين منطقة مكة المكرمة شمالًا وغربًا ومنطقة الرياض شرقًا ومنطقة نجران جنوبًا، ومنطقة جازان من الجنوب الغربي وساحل البحر الأحمر غربًا، وتُقَدَّر مساحة منطقة عسير بأربعمائة ألف كيلومتر مربع (نت-26) وتتألف من عشرة أقسام إدارية رئيسية هي أبها، خميس، مشيط، محايل، أحد رفيدة، النماص، بيشة، تثليث، سراة عبيدة، سبت العلاية، ظهران الجنوب، وتفرع منها أكثر من 400 قرية وهجرة ويتميز موقعها الجغرافي بأنه كان ومازال طريقًا للحجاج القادمين من اليمين بالإضافة إلى وقوعها على طرق التجارة الرئيسية بين الحجاز واليمن (نت-25).



الشكل رقم (1) موقع منطقة عسير في المملكة

وفيما يلي عرض لأهم المواقع الأثرية بعسير:

ومن أبرز المواقع والمتاحف التي لا تزال قائمة إلى وقتنا الحاضر تستقبل زوارها منذ سنوات لتضع أمام زوارها فن البناء والتراث العمراني لمنطقة عسير (نت-27):

قصر شدا: يقع قصر شدا في مدينة أبها، وقد شُيد عام 1348ه، 1927م



الشكل رقم (2) قصر شدا

قرية ومتحف رجال ألمع: تقع هذه القرية غرب أبها وهي من أشهر وأروع القرى التراثية في الجزيرة العربية. (نت-28)، انظر الشكل رقم (3).



الشكل رقم (3) قرية ومتحف رجال ألمع

قرية المفاتحة: هي واحدة من القرى السياحية الواقعة في مدينة أبها جنوب المملكة العربية السعودية القرية مقامة على طراز معماري مُستمد من تراث وحضارة منطقة عسير وهي عبارة عن مجموعة من المباني المتلاصقة على امتداد الممرات الداخلية والخارجية والتي تم بناؤها بالأساليب التقليدية للبناء في مدينة أبها.

أجزاء القرية:

مركز الملك فهد الثقافي: أصبحت القرية تحتضن عدد من مراكز الندوات والأمسيات وورش العمل والمؤتمرات والدورات.

مقر المفاتحة الأثري: هو مبنى يتألف من ثلاثة أدوار تضم أعدادًا كبيرة من القطع الأثرية العسيرية، ومحلات الحرف والمركز الإعلامي.

مسرح المفاتحة: أصبحت قرية المفاتحة تضم بين أحضانها أكبر مسرح مُغلق في الشرق الأوسط يتسع لأكثر من ثلاثة آلاف متفرج استُخدِمَت فيه أحدث التقنيات الصوتية والإضاءات.

سوق الثلاثاء: وفي الجانب الآخر من المفاتحة يتربع سوق الثلاثاء الشعبي الذي يعتبر من أقدم الأسواق الشعبية في منطقة عسير وسُمي بهذا الاسم نسبة ليوم انعقاده وهو يوم الثلاثاء من كل أسبوع، (سلطان – 2009م).



الشكلان رقم (4) و(5) لقرية المفاتحة



الشكل رقم (6) لسوق سوق الثلاثاء الشعبي بقرية المفاتحة

قرية بن حمسان التراثية: تقع هذه القرية الرائعة في مدينة خميس مشيط ويجدُر بكل سائح زيارتها لأنها من الأماكن المملوءة بالمعلومات التراثية والثقافية الخاصة بمنطقة عسير.



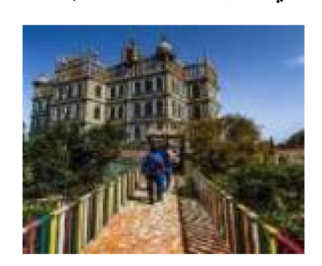
الشكل رقم (7) خميس مشيط

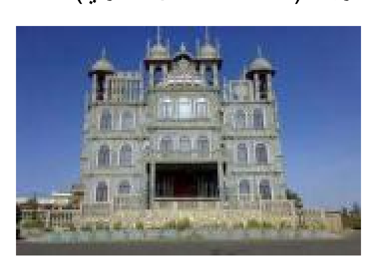


الشكل رقم (8) قرية بن حمسان التراثية

متحف النماص:

متحف النماص في الشكل رقم (9) هو أحد متاحف عسير. يقع المتحف في الحي القديم من قرية المقر فوق جبال السروات ويجاوره عدد من القصور والحصون الأثرية القديمة ذات التصميمات الإبداعية. ويحتوي المتحف على كل ما يتصل بتراث المنطقة، كما يحتوي على أكثر من 2,000 قطعة أثرية. (متحف النماص الأثري)





الشكل رقم (9) متحف النماص الأثري

قصر أبو ملحة

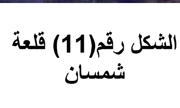
يقع هذا القصر على أطراف ساحة البحار وسط مدينة أبها وهو أحد المعالم المميزة في المنطقة. انظر الشكل رقم (10).

الشكل رقم (10) قصر أبو ملحة



قلعة شمسان

هي من أقدم المعالم الأثرية في مدينة أبها وتقع في مدينة أبها بجنوب المملكة العربية السعودية على جبل متوسط الارتفاع وهي قرية جبلية بناها الألمعيون "قبائل رجال ألمع" من الحجارة الصلبة. ويعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد (نت-29). انظر الشكل رقم (11). وتضم منطقة عسير عدد كبير من الأودية الصخرية والجبال والمنتزهات مثل منتزه الأمير سلطان -منتزه عسير الوطني - منتزه الشرف -منتزه المحفار –منتزه جبل مرير -منتزه الحبلة –منتزه السودة... وغيرهم) -وآلاف القرى السياحية وعدد كبير من المتاحف العامة والخاصة ويمكن حصر أهم المتاحف بالمنطقة من خلال الجدول التالي:



الشكل رقم(11) قلعة شمسان

م	اسم المتحف	الموقع بمنطقة عسير
1	متحف قصر شدا	وسط مدينة ابها
2	متحف رجال ألمع	في قرية ألمع التراثية
3	متحف بني عمرو	في مركز بني عمر
4	متحف ظهران الجنوب	في مدينة ظهران الجنوب
5	متحف إدارة التعلم	في بيشة
6	متحف سبت العلاية	في محافظة بلقرن
7	متحف النماص	وسط مدينة النماص
8	متحف بن حمسان التراثي	في خميس مشيط
9	متحف قرية المقر	قرية المقر السياحية في النماص
10	متحف بن سلام	النماص

أهم المتاحف بمنطقة عسير

المحور الثاني: السياحة في عسير وأهم عوامل الجذب السياحي للمنطقة

تعريف السياحة: السياحة Tourism لغةً هي التجوال في البلاد للتنـزه أو الفرجة أو غير ذلك. (عبد الرزاق، 2012م). والسياحة في مفهومها الواسع هي ممارسة عطلة عن العمل بعيدًا عن مكان الإقامة المعتاد الذي يسكنه الإنسان. كما أنها من ناحية أخرى عبارة عن زيارة مكان آخر غير مكان السكن الذي اعتاد الإنسان الإقامة به)، كما أن الأنشطة السياحية بصفة عامة (McIntosh et al., 1994) لفترة تزيد عن أربع وعشرين ساعة تنتج عن دوافع طبيعية واقتصادية واجتماعية وبشرية ونفسية. (كفافي، 1991، ص16).

ويمكن تقسيم السياحة إلى نمطين أساسيين:

السياحة الخارجية: تتمثل حسب المفهوم الدولي في الانتقال المؤقت للأفراد من دولة الإقامة الدائمة إلى دولة أخري ليوم واحد على الأقل، ليس بهدف العمل، إنما بهدف الاستجمام أو ممارسة الرياضة والترويح وخلافه من أنشطة ترفيهية.
السياحة الداخلية: هي الانتقال المؤقت لأكثر من أربع وعشرين ساعة إلى مكان آخر داخل الدولة خلاف مكان الإقامة الدائمة ولنفس الأسباب السابقة (يونس فضل أحمد، 1993م).

أهمية السياحة على التنمية وأثرها:

تعتبر السياحة صناعة مهمة سريعة النمو، ومصدرًا مهمًا للدخل في معظم الدول ومجالًا متناميًا لتوفير فرص العمل. بصفة عامة، يمكن لمس أهمية السياحة من كونها أكبر الصناعات الناشطة على مستوى العالم في الوقت الحاضر، وهو ما يمكن ملاحظته عبر تزايد أهمية السياحة وحضورها الفعال في حياة الكثير من الدول والشعوب ومسيرتها، والكم الهائل من الأبحاث والكتب والمقالات والتحقيقات والنشرات والبرامج التي تتناول السياحة على صُعد ومستويات متعددة (أبو قحف، 1986م).

عسير السياحية:

يتوافر في منطقة عسير العديد من الإمكانيات التي يمكن استثمارها في التنمية السياحية، والتي تشمل المناخ المعتدل، والأماكن والمعالم الطبيعية كالمتنزهات، والغابات، والمناطق المفتوحة، والمحميات الطبيعية، والجبلية، والأودية، والشواطئ البحرية الغنية بالشعب المرجانية المميزة والمعالم البحرية العجيبة والتراثية والحضارية، والقرى القديمة ذات الطابع المعماري المميز، والقلاع، والحصون، والقصبات، والقصور التاريخية، والمساجد القديمة الأثرية، والنقوش، والزخارف، والمتاحف. وذلك إضافةً إلى توافر العديد من الخدمات والمرافق المساندة لحركة السياحة كالبنية الأساسية التي يحتاج لها أي سائح كالفنادق والشقق المفروشة والمنتجعات السياحية والخدمات الرياضية والصحية والثقافية.

أهم المعوِّقات التي تواجه التسويق السياحي بمنطقة عسير:

على الرغم من توافر خدمات البنية الأساسية والتحتية في عسير إلا أنها لا تزال في حاجة ماسة للتطوير، ومن هذه الخدمات التي تحتاج إلى التطوير ضعف البنية السياحية المهنية، وضآلة خدمات النقل السياحي، وعدم وجود جهات مخصصة لتطوير التسويق السياحي، وافتقار المنطقة للأنشطة الجديدة الجاذبة للسياحة الخارجية، ، وتهديد المعالم بالاندثار لعدم الاهتمام والحفاظ عليها (زايد وأيمن، 2017م)، وبالتالي حرمان المنطقة من أهم معالمها ومن المحاولات الجغرافية المهمة لدراسة السياحة السعودية (القحطاني وآخرون، 1997) التي تناولت المفاهيم المختلفة للسياحة ومناهج دراستها ودوافعها ومعوقاتها للسياحة كما قدم (إبراهيم، 1992) عرض لمقومات السياحة وخصائصها في منطقة عسير

وبناءً على ذلك كانت الاتجاهات لتنشيط الخدمات السياحية والجذب السياحي لترويج عملية التسويق السياحي للمنطقة وسوف تتناول الباحثة التعريف أهم عوامل الجذب السياحي.

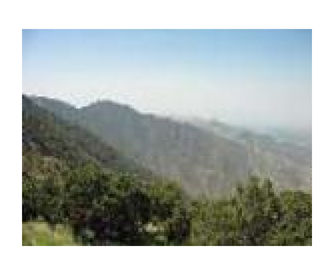
وتنقسم عوامل الجذب السياحي إلى ثلاثة أقسام وكل قسم يندرج تحته العديد من العوامل:

(عوامل جذب طبيعية -عوامل جذب تراثية وشعبية -عوامل جذب ترفيهية وتسويقية -المؤتمرات والمعارض)

عوامل جذب طبيعية: وتعتبر أهم عوامل الجذب السياحي وتشمل (المناظر الطبيعية – المناخ) ونجد منطقة عسير تتميز بالمناظر الطبيعية الخلابة والجبال والتضاريس والمدرجات الخضراء والهضاب والصحاري والأودية كما بالأشكال رقم (12) و(13) و(14) والمناخ المعتدل الممطر وخاصةً في فصل الصيف والربيع.



الشكل رقم (12) أبها



الشكل رقم (13) السودة

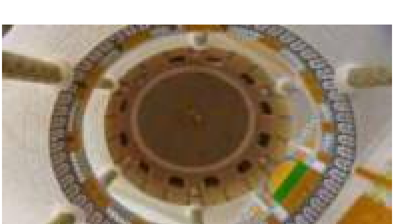


الشكل رقم (14) الحبلة

عوامل جذب تراثية وشعبية:

وتتمثل في القلاع والحصون الأثرية والمتاحف الخاصة والعامة، والتي تحوي الحياة والتراث العسيري القديم والحديث، وقد تم تناولها بالتفصيل سابقًا كما بالأشكال (من 2 إلى 11) والفنون الشعبية والحرف التراثية وعلى رأسها القط العسيري الذي استخدمته المرأة العسيرية لتزيين الجدران الداخلية للبيت العسيري والمتاحف الخاصة التي كانت من أهم وسائل حفظ التراث والجذب السياحي للمنطقة.

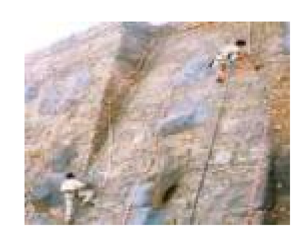


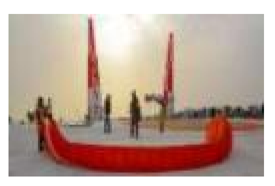


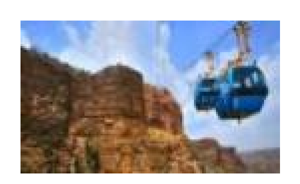
الشكل رقم (15) القط العسيري داخل متحف النماص ابداع الجذب التراثي والتأثر بالفن الإسلامي

عوامل جذب ترفيهية وتسويقية:

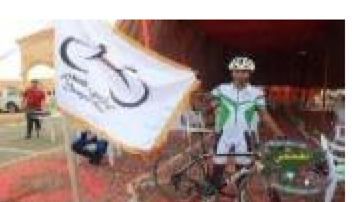
وتتمثل في عوامل الجذب الرياضية والألعاب الترفيهية والتسوُّق وساعد على ذلك طبيعة المنطقة التي تشتهر بالجبال والمدرجات الخضراء حيث تقام رياضة "تسلق الجبال" شكل (16) في (السودة – والحبلة – والسحاب والتنومة... وخلافه) والعربات المعلقة (التلفريك) شكل (18) ورياضة سباق الدرجات شكل (19)، ورياضة الطيران الشراعي شكل (17) وغيرها وعروض الطائرات وعروض الصوت والضوء على بحيرة سد أبها والمنتزهات والحدائق والألعاب المتنوعة ومهرجانات التسوُّق شكل (20) ومتعة التسوُّق السياحي بالإضافة إلى الأسواق الشعبية للمنطقة (سوق الثلاثاء والأثنين وأحد رفيدة) (أسماء عبد الله، 2008م).


الشكل رقم (16) رياضة تسلق الجبال


الشكل رقم (17) رياضة الطيران الشراعي


الشكل رقم (18) التلفريك

وقد نظَّمت اللجنة العليا المُنظِّمة لمهرجان أبها للتسوق 1439 -2018 العشرين بتوجيه الدعوة للرعاية والمشاركة من أجل المشاركة والمساهمة في تنمية السياحة الداخلية من خلال هذا المهرجان الذي يضم إلى جانب صالات التسوق الوطنية والدولية فعاليات عائلية مختلفة على أرض مركز أبها الدولي للمعارض (نت-36)، بالإضافة إلى المؤتمرات والندوات والأمسيات الشعرية والاحتفالات.


الشكل رقم (19) مسابقة الدراجات



الشكل رقم (20) متعة التسوق ومهرجان التسوق 2018

<u>المحور الثالث: أشهر فنانات القط ودور المرأة في نقل الموروث الثقافي الحرفي</u>

<u>المرأة العسيرية وأسس زخرفة جدران العمارة الداخلية للبيت العسيري (الجدران –الأرضيات – الأسقف)</u>

يقول مرزوق إن في منطقة عسير التي تمتاز بغنى فني وثراء تشكيلي زخرفي شغل إنسان المنطقة للواجهات والجدران الداخلية لمبانيه التقليدية بوحدات زخرفية جميلة نابعة من معطيات بيئته وقائمة على الوحدات الهندسية المجرَّدة والعناصر الزخرفية النباتية والأشكال الرمزية المُستمدَّة من النباتات والجمادات. ونجد مراحل تجميل المنازل في عسير كما يوضح الدكتور مرزوق تبدأ بالقط، رسم القط، تغطية الحوائط الداخلية بطبقة جصية تسمى عند أهالي المنطقة صهرا، وبعد جفافها تقوم النساء المختصات تجميلها بشتى أنواع الرسوم والزخارف وتسمى تلك الزخارف بالقطة.

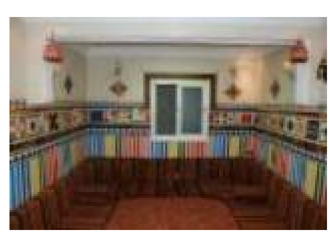
ويوضح الشكل رقم (21) مراحل عملية القط وقد ذكر لنا الأستاذ والشاعر الكبير (محمد الألمعي) أن القط يتكون من خطوط أفقية طويلة متوازية تصاحبها خطوط رأسية عامودية بمسافات وأبعاد متقاربة، حيث يرى أن الحالة الأفقية متواجدة في المدرجات الزراعية المتتابعة، بينما كوَّنت الجبال الشكل الرأسي بصريًا، فنقلتنا من الحالة البصرية إلى حالة التجريد وهو أساس في بناء زخارف القط العسيري (أسماء عبد الله، 2008م)، وقد استخدمت المرأة الألمعية أدوات ومكونات موجودة في بيئتها بين يديها وحوَّلتها إلى ريشة، فقد استخدمت ذيل الأغنام بشكل أشبه بالريشة للتزيين والنقش (نهال وإيمان، 2015م).

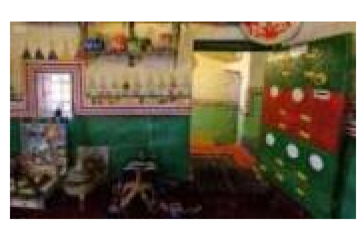


الشكل رقم (21) يُوضِّح مراحل عملية القط أو النقش من الجص ثم التخطيط ثم التلوين تُسمى قط او تقطيط

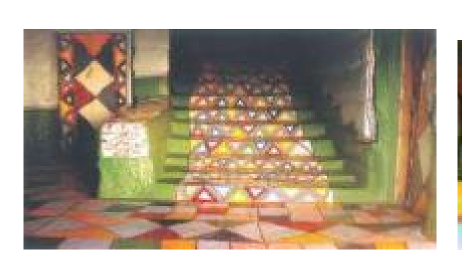
ولا يقتصر فن الزخرفة والتزيين على الحوائط المعمارية بل تعدى ذلك إلى توظيف هذا الفن على أغلب مصنوعات المنطقة التقليدية وقد اتسمت بدقة الزخارف وجودة الأداء بأسلوب زخرفي تقليدي مُكتسب عن طريق المشاهدة والممارسة "تظهر فيه براعة المرأة العسيرية في مزج الألوان الأساسية الأحمر والأصفر والأزرق والأسود المستخلصة من الطبيعة والموارد الصديقة للبيئة لتزيين الجدران كمرآة تعكس ذوق المرأة العسيرية في تزيين بيتها.







الشكل رقم (22) تزيين الجدران الداخلية والنوافذ والأبواب وامتد إلى الصناعات التقليدية



الشكل رقم (23) زخارف الهندسية والنباتية المجردة للقط تزيين الدرج والأرضيات الهندسية

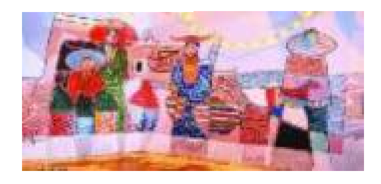




الشكل رقم (24) الزخارف الهندسية المجردة في تزيين الأبواب



الشكل رقم (25) زخارف هندسية ومنحنيات مجردة من القط لتزيين الأسقف



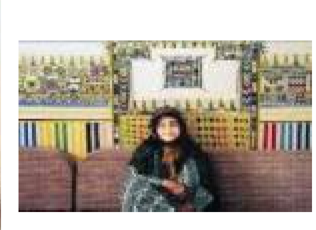
الشكل رقم (26) استخدام المرآة العسيرية زخارف الخط العربي في القط على الجدران.

وبشكل عام كانت النقوش الجدارية في المنطقة عبارة عن منظومة متكاملة من الخطوط والأشكال الهندسية والمساحات اللونية (عمرو، 1988م).

أشهر رائدات القط العسيري ودور المرأة في نقل التراث:

من أبرز رائدات "القط" اللائي اشتهر بعضهن منذ حوالي 150عامًا، جحاحة بنت بريدي وفاطمة بنت امسباع، وآمنة بنت محمد بن هادي، فاطمة بنت محمد الزهر، شريفة بنت أحمد الألمعي، وفاطمة بنت علي أبو قحاص (نت-31)، وهي الرائدة الأولى لفن القط وأبرزهن على الساحة.

فاطمة علي أبو قحاص "رائدة القط العسيري" هي فنانة سعودية من قبيلة عسير من محافظة رجال ألمع. من أشهر الفنانات التشكيليات لفن القط العسيري. (محمد القويز-2007 م) اشتهرت بفنها على الرغم من عدم حصولها على أي شهادة تعليميه (35) (هيفاء-2013م) أشرفت على الكثير من الدورات التدريبية لفن القط وزينت كثير من المزارات السياحية في منطقة أبها وعسير برسوماتها التشكيلية (نت-32). توفيت عام 2010 عن عمر يناهز 90 عام (عبد الله المسلمي، 2010م). ويذكر مغاوي: «إن فاطمة أبو قحاص تعد رائدة النقش الألمعي، وقد فازت بإحدى جوائز ملتقى أبها أيضًا»، مبينًا ضرورة تخليد هذا الفن بتعليمه للفتيات (نت-30). وفيما يلي نماذج من أعمال الفنانة شكل (27):


الشكل رقم (27) نماذج من أعمال رائدة فن القط العسيري فاطمة بنت علي أبو قحاص

فاطمة فايع الألمعي "متعهدة القط العسيري": أشهر مبدعة في النقش العسيري، تفتح متحف يضم 400 قطعة من الموروث الشعبي، وقالت فايع: **"**تعلمتُ هذا الفن من فنانة كبيرة بالمنطقة، وهي فنانة بالفطرة تدعى فاطمة أبو قحاص، التي كان لها دور كبير في تخليد هذا الفن، الذي يُسمى النقش الألمعي، من خلال تلقينها لهذا الفن لعدد من السيدات"، كما قالت: «إن هذا الفن يمثل هوية المنطقة، وإنَّ حُبها لهذا النقش جعلها تُصر على تعلُّمه»، مشيرةً إلى أن دعم زوجها الكاتب علي مغاوى جعلها تزداد إصرارًا على تعلُّم هذا النقش الذي تُحِب أن تُورِّثُه لبناتها، وحذرت من اندثار هذه النقوش بموت السيدات كبيرات السن اللاتي يُتقنّ هذا الفن، مشيرةً إلى أن عدد النساء اللاتي يَقُمن بالتدريب على هذا الفن في رجال ألمع قليل، وذكرت منهن زهرة فايع، وشريفة محمد مهدي، وفوزية بارزيق (نت-30)، وتضيف فاطمة إنَّها شعرت بأنَّ فن القَّط والملابس التقليدية في عسير بدأ في الانحسار، كما أنَّ الملابس لم تعُد تُمثِّل الحس الفني للبيئة في عسير، وأنَّها لم تعد تمُتْ لذائقة المجتمع بأي فن لا من الداخل ولا من الخارج.





شكل رقم (28) أول متحف للمرأة العسيرية "متحف فاطمة الألمعي"

وتوضح فاطمة أن هذا المتحف، يضم تفاصيل زينة المرأة من جميع مناطق المملكة، قبل أن تختتم حديثها بقولها إنَّ في المتحف عرضًا مرئيًا عن تاريخ هذا النقش ونماذج من الألبسة التقليدية (نت-33) كما بالشكل رقم (30).





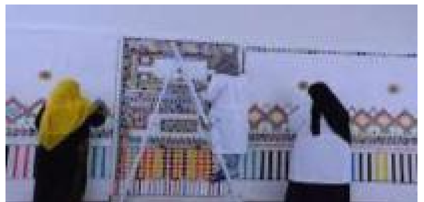
الشكل رقم (29) يضم متحف فاطمة الألمعي جزء خاص بالملابس التقليدية للجنوب "عسير – نجران –جازان"

ومن هنا ترى الباحثة دور المرأة العسيرية في حفظ التراث ونقله عبر الأجيال وحمايته من الاندثار من خلال إنشاء المتاحف الأثرية والقرى السياحية وممارسة النقش وإقامة الدورات التدريبية والندوات والمؤتمرات والعمل كمدربات مما كان له أثر كبير انعكس على رفع قيمة الموروث الشعبي حتى وصل إلى العالمية.

القط العسيري يصل إلى العالمية

وخلال العقد الأخير ارتبط فن "القَّط" بالجانب السياحي في منطقة عسير ولعل الحدث الأهم في مسيرة هذا الفن العريق هو عرض جدارية لـ "القط" في مبنى الأمم المتحدة بنيويورك في أواخر عام 2015م، نفَذتها 13 فنانة من منطقة عسير تحت اسم "منزل أمهاتنا" بطول 18 مترًا شكل (30)، وحظيت حينها بإقبال بإعجاب كبير من زوار المكان، الذي استقبلهم وشرح لهم أسرار الجدارية صاحب فكرة العمل الفنان الدكتور أحمد ماطر والمشرف على إعدادها الباحث علي مغاوي (نت-31).

ولن تقتصر مهمة الفنانات على الجدارية، بل سيُقدم معرض فني بهدف إيضاح دور المرأة في تكوين وأرشفة التاريخ المحلي من منطقة عسير مغاوى: هدفنا إعادة «فن القط» للواجهة والتعريف بذائقة الإنسان العسيري، (سلطان -2015م).




الشكل رقم (30) جدارية الأمم المتحدة بعنوان "بيوت أمهاتنا" بطول 18 مترًا –شارك بالعمل بها 13 فنانة مختصة بالنقش العسيري

المحور الرابع: دراسة تحليلية لزخارف التراث الشعبي العسيري والاستفادة منها في ابتكار "تصميمات طباعية " معلقات نسيجية "مستوحاة من جماليات زخارف القط العسيري "الجانب التطبيقي" تجارب البحث

القط أو " النقش " (تعريفه – تحليل مفردات النقش وأسس بناءه –ألوانه)

القط العسيري أو النقش أو الزَّيان

هو أحد الفنون التجريدية التي نشأت في منطقة عسير في السعودية تقوم به النساء لتزيين بيوتهن، حيث تُختار أنماط هندسية وتصميمات مختلفة متناسبة لإنجاز طبقات فوق بعض تتشكل فيها العديد من الخطوط والرسمات لكل منها مصطلحها الخاص ثم تُلوَّن بعدد من الألوان كالأسود والأزرق والأحمر والأصفر (عبد الله مريع -2010م). كانت النساء تقوم بجميع النقوش الداخلية للبيت العسيري، أما عن النقوش الخارجية كان يقوم بها الرجال وفيما يلي توضيح لمكونات النقش ورمزية كل عنصر ودلالته.

تحليل مفردات القط أو النقش ودلالته:

يضم فن "القط" مفردات بصرية يقسمها الباحث في التراث علي إبراهيم مغاوى إلى 10 أنواع هي "البنات" و"الأرياش" و"المحاريب" و"الركون" و"البلسنة" و"الأمشاط" و"التعذيق" و"سنكرولي" و"المثالث" و"المخامس" و"الكف" و"الشبكة"

م	مفردات النقش	الرمز (الدلالة)
1	البَنَاهْ	يرمز هذا الشكل إلى الأنثى، ويأتي غالبًا في أعلى القط سواء كان في البترة أو الجدار في الختام أو الحِظية، ويرُمِز إليه بما يشبه الشجرة المستندة إلى قاعدة مثلثة وترها أفقي ورأسها إلى الأعلى وكأنها أيضا ترمز إلى الجبال المتراصة.
2	الأرياش	تأتي على شكل نباتات بين البناة.

3	المحاريب	وهي ترمز إلى المحراب، يمثّل في شكله الناحية الدينية وحضورها ضمن اهتمامات النقاشات، المحاريب في النقش تأتي على شكل يشبه تتالي أمواج البحر.
4	الركون	هي أشكال مثلثة كبيرة متجاورة تختلف في شكلها وقد تحوي أشكالًا مختلفة من تصميمات النقش.
5	البلسنة	تأتي في الحظية وفي الختام وتُحَلّى بما يسمونه النُّقَط، وهي قوالب معيَّنة الشكل متماشية مع امتداد الحظية، تتمثل البلسنة في دوائر صغيرة ومنقوطة.
6	الأمشاط	هي خطوط متوازية تتجه للأعلى أو إلى الأسفل في نهاية الحظية، تشبه في شكلها أسنان المشط.
7	التعذيق	في نهاية البناة ينتهي رأس المثلث بثلاث نقاط تشبه عذوق الذرة.
8	سنكر ولي	هو شكل لمحاريب متجاورة متوازية، لكنه يأتي في اتجاه اليمين غالبًا
9	المثالث والمخامس	هي ثلاثة خطوط أو خمسة خطوط متوازية، تأتي في أسفل النقش كفاتحة له، وقد تأتي منفردة في بيوت الدرج أو الرَّدَمْ
10	الكف	هي خطوط متوازية مختلفة الألوان في أسفل جدار الغرفة وفي أروقة السلالم.
	الشَّبكة	هي معينات أو مربعات هندسية متداخلة تأخذ لونًا موحدًا، ويندر أن تتعدد الألوان فيها.

القط العسيري، فن "ألوان الطبيعة" الذى تخطى الحدود ليصل إلى العالمية

أهم ما يميز النقش الألمعي، أنه يتميز بالألوان الطبيعية الزاهية مثل الأزرق، والبرتقالي، والأخضر، والأبيض، والأسود، وكانت المرأة قديمًا تستخرج هذه المواد اللونية من الطبيعة لتُزيِّن منزلها، مما يؤكِّد الحس الفني للمرأة في عسير، وشعورها المرهف، وتحسسها لجماليات الطبيعة (نت-30) وعن طبيعة الألوان المستخدمة في "القط " فالفنانة الشعبية (القطاطة) في منطقة عسير كانت تتعامل مع ثلاثة أنواع من الألوان هي الألوان المستخلصة من مساحيق الأحجار الكلسية أو من الطينات الملونة أو من بعض النباتات والثمار، وهذه الألوان الطبيعية تقوم بتحضيرها بنفسها وذلك بإضافة

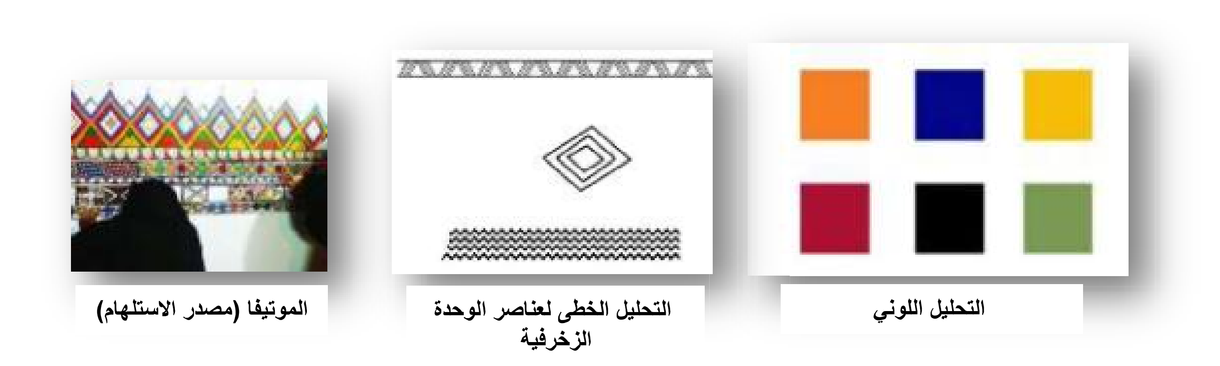
المواد المثبتة والملمعة إليها، والنوع الثاني من الألوان المستخدمة هي ألوان جاهزة الصنع على شكل مساحيق (بودرة) كانت تُستورد من بعض الدول المجاورة، وبإضافة الماء والمواد المثَبّتة إليها يتم التلوين بها، أما النوع الثالث فهي الألوان الزيتية الحديثة وقد لوحظ أن هذا النوع من الألوان الحديثة لم يستعمل إلا في وقت قريب مضيفًا أنه قد تعاملت القطاطة مع الألوان الأساسية وهي الأحمر والأصفر والأزرق بشكلٍ رئيس إضافةً إلى الألوان الثنائية مثل الأخضر والبرتقالي. أما الألوان الثلاثية فاستخدمتها في الوقت الحاضر (نت-33).

الجانب العملى للبحث "التطبيقى" Practical Part:

لقد قامت الباحثة باختيار مجموعة من الزخارف المميزة للقط العسيري التي نُقِشت على جداريات العمارة العسيرية التي تم تناولها بالإطار النظري للبحث، وتم إجراء دراسية تحليلية للوحدة الزخرفية المختارة من حيث التحليل اللوني والشكلي وأسس بناء الوحدة الزخرفية والاستفادة منها للتطبيقات العملية للبحث في بناء المعلقات النسيجية وتوظيفها في مجال العمارة الداخلية (الفنادق السياحية بمنطقة عسير) وفيما يلي تجارب البحث:

الفكره التصميمية رقم (1):

قوام هذه الفكرة الأشكال الخطوط وهي العناصر الأساسية المكونة للأحزمة اللونية (الخطوط الأفقية الرفيعة– الخطوط الأفقية السميكة-الخطوط الأفقية المتكسرة "أسنان المنشار" -الخط الأفقي العمودي) والأشكال الهندسية (المُعيَّن ... إلخ) والأمشاط المتوازية بالإضافة إلى الألوان المميزة للقط العسيري تم الاستفادة منها لاستحداث معلَّق نسيجي مطبوع.



التحليل اللوني | التحليل الخطى لعناصر الوحدة الزخرفية | الموتيفا (مصدر الاستلهام)



الفكرة التصميمية 1 المبتكرة للمعلق النسيجي المطبوع



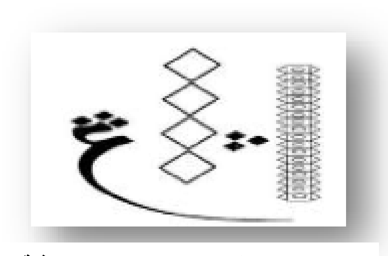
التوظيف المقترح لإحدى الوجهات الخارجية للفنادق

الفكرة التصميمية رقم (2):

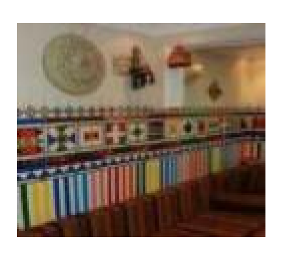
قوام هذا النقش قائم على الأشكال الهندسية المجرَّدة المتكررة أفقيًا في حزم لونية في محيط الغرفة، إلى جانب الخطوط الطولية المتكررة أسفل النقش، تم الاستفادة من الهندسيات المتكررة مع إدخال عنصر جديد للجذب "الحرف العربي" وتحقيق بناء المعلق بالإضافة إلى التحليل اللوني القائم على التضاد وتم التأثر باللون الأخضر أكثر في بناء المعلق وكان من أكثر ألوان القط المتوفرة بالطبيعة بالإضافة لتأثير الثقافة الإسلامية.



التحليل اللوني



التحليل الخطى لعناصر الوحدة الزخرفية

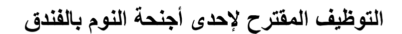


الموتيفا (مصدر الاستلهام)



الفكرة التصميمية 2 المبتكرة للمعلق النسجى المطبوع

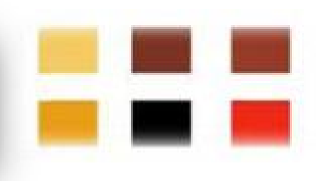




التوظيف المقترح لإحدى أجنحة النوم بالفندق

الفكرة التصميمية رقم (3)

يمثل هذا النقش أحد المقاطع التي تزين أسقف العشة (البيت التقليدي العسيري)، وقوام الزخرفة قائم على التكرار الشبكي الدائري للأشكال الهندسية المجردة (المثلث المتساوي الأضلاع –والمعين -والدائرة بالإضافة إلى التحليل اللوني، نجد أن أغلب البناء اللوني قائم على اللون البرتقالي بدرجاتة والأحمر والأصفر والتى يكثر فيها إستخدام الألوان الحارة نتيجة التبادل الثقافى بين بلاد النوبة وشرق أفريقيا وجنوب غرب الجزيرة العربية قبل الإسلام، كما كانت العشة الوحدة الرئيسية للبناء فى قلب أفريقيا وطبيعى يأتى تشابه فى النقوش المكملة للبناء، وتم الاستفادة من تحليل تلك العناصر لبناء المعلق بشكل معاصر. (هاني، 2005م، ص289)



التحليل اللوني



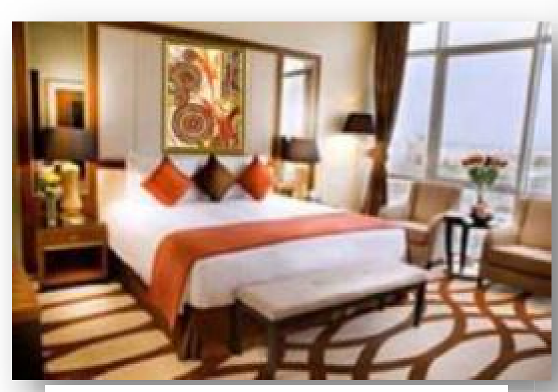
التحليل الخطى لعناصر الوحدة الزخرفية



الموتيفا (مصدر الاستلهام)



الفكرة التصميمية 3 المبتكرة للمعلق النسيجي المطبوع



التوظيف المقترح لإحدى الأجنحة الفندقية

الفكرة التصميمة رقم (4):

من خلال التحليل البصري لوحدة النقش وُجد أنها تتكون من الخطوط الأفقية متنوعة السُمك وتمثل المحاور لبناء العمل وتأتى الخطوط الرأسية بالقاعدة، والرموز من الأرياش والبناة ذات القاعدة المثلثة ويعلوها الريشة وهي من المكونات المميزة

لوحدات القط العسيري والدائرة ومن خلال تلك العناصر إلى جانب التحليل اللوني تم بناء عناصر المعلق.



التحليل اللوني

التحليل الخطى لعناصر الوحدة الزخرفية

الموتيفا (مصدر الاستلهام)



الفكرة التصميمة 4 المبتكرة للمعلق النسيجي المطبوع





التوظيف المقترح لإحدى الأجنحة الفندقية

الفكرة التصميمية رقم (5):

النقوش الجدارية العسيرية عبارة عن منظومة متكاملة من الخطوط والأشكال الهندسية والمساحات اللونية، وكان أغلبها قائم على وحدة المثلث والخط وتم دمج الخط العربي المُستخدم في إحدى الجداريات معهما وتم استخدام الخطوط متنوعة السُمك بطريقة رأسية مع توزيعات رأسية للمثلث وبشكل كرف مع الحروف مما أكسب التصميم زينةً مع التأثيرات اللونية وساعد على إبراز بناء المعلق النسيجي.



التحليل اللوني

التحليل الخطى لعناصر الوحدة الزخرفية

الموتيفا (مصدر الاستلهام)



الفكرة التصميمة 5 المبتكرة للمعلق النسيجي المطبوع





التوظيف المقترح لإحدى الأجنحة الفندقية (غرف طعام)

<u>الفكرة التصميمية رقم (6)</u>:

اعتمدت الفكرة البنائية على تحليل الوحدة الزخرفية التكرارية لعنصر البناة ذات القاعدة المثلثة وتعلوها الأرياش لبناء المعلق مع استخدام اثنين من البدائل اللونية والمرياجات اللونية لنفس الفكرة لإعطاء رؤية جديدة.



التحليل اللوني

التحليل الخطى لعناصر الوحدة الزخرفية

الموتيفا (مصدر الاستلهام)



الفكرة التصميمة 6 المبتكرة للمعلق النسيجي المطبوع



التوظيف المقترح لإحدى الأجنحة الفندقية





الفكرة التصميمية رقم (7):

اعتمدت بنائية الفكرة على الدمج بين العناصر الهندسية والحروف العربية، فاعتمدت بشكل عام على الأشكال الهندسية المجَّردة مع الحرفيات مع استخدام مبدأ التضاد اللوني ليعبر هنا عن طبيعة المنطقة ورمزية العناصر المستمدة من البيئة المحيطة بعد تجريدها. (نت-24) وتم توزيعها وكأنها تخرج من مركز إشعاع لتحقق سمة المعلق.



التحليل اللوني

التحليل الخطى لعناصر الوحدة الزخرفية

الموتيفا (مصدر الاستلهام)



الفكرة التصميمة 7 المبتكرة للمعلق النسيجي المطبوع



التوظيف المقترح لإحدى الأجنحة الفندقية

نتائج البحث Research Results:

1. قامت الباحثة بإجراء سبع (7) تجارب من الأفكار التصميمية المستحدثة والمستوحاة من جماليات زخارف القط العسيري من خلال الدراسة التحليلية لوحدات الزخارف والوقوف على خصائصها من العناصر المكونة للزخارف والألوان المميزة للقط العسيري وتطبيق ذلك من خلال التوظيف المقترح لتجميل العمارة الداخلية لمجموعة من أشهر فنادق عسير. (فندق قصر الحمراء بأبها –فندق انتر كونتيننتال بأبها -قصر أبها ... وخلافه).
2. كشفت النتائج عن أهمية التراث الشعبي وأثره على عملية التسوُّق السياحي من خلال زيادة الدراسات البحثية على منطقة عسير وأهميتها وطبيعتها السياحية وما تمتلكه من تراث ثقافي ودور المرأة في حفظه والاستفادة من جمالياته بالتطبيق على تجميل الفنادق السياحية بمخرجات المعلقات النسيجية المطبوعة.

التوصيات Recommendations:

1. توصي الباحثة بإجراء العديد من الدراسات على التراث الشعبي العسيري لما يحمله من المقومات والسمات المتنوعة من أساليب وتقنيات وحلول فنية متنوعة للتصميم المنسوجات بشكل عام وتصميم المعلقات النسيجية بشكل خاص وتنشيط التسوُّق السياحي وأثر وأهمية تلك الدراسات للارتقاء بحياة الفرد والمجتمع.
2. توثيق أسماء أشهر رائدات القط العسيري بالدراسة والبحث تخليدًا لدورهم في حفظ التراث من خلال أعمالهم ودورهم لنقل وحفظ الموروث الثقافي.

المراجع العربية Arabic References:

<u>الكتب:</u>

1. أبو قحف، عبد السلام (1986م): صناعة السياحة في مصر، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية.

Abu Kahaf, Abdulsalam (1986): Senaaet Alseyaha fe masr, Almaktab Alarabi Alhadees, Alexandria.

2. القحطاني، محمد مفرح، ومحمد أرباب، وعبد المنعم إبراهيم، (1997): السياحة الأسس والمفاهيم، دار العلم، جدة.

Alkahtani, Mohamed Mofreh, Mohamed Arbab, Abdulmoneem Ibraheem, (1997): Alseyaha Alosos w Almfahem, Dar Ileelm, Jeddah.

3. كفافي، حسين، (1991)، رؤية عصرية للتنمية السياحية في الدول النامية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة كتاب، القاهرة.

Kafafi, Hussein, (1991), Rooya Asreya leltanmeya Alseyahya fe Aldowal Alnameya, Alhayaa Alaama Almasreya lelketab, Cairo.

4. متحف النماص الأثري بمنطقة عسير.

Mathaf Alnamas Alasre in ooser.

5. محمد عزت سعد محمود (1984م): "نظريات تصميم المنتج" -القاهرة.

Mohamed Ezat Saad Mahmoud (1984): “Nazareyat Tasmem Almontag” – Cairo.

6. مصطفى محمد حسين، عبد العزيز جودة، حسين حسين حجاج (2000م): "تصميم طباعة المنسوجات اليدوية" القاهرة -الناشر غير مذكور.

Mostafa Mohammed Hussein, Abdul Aziz Goda, Hussein Hussein Haggag (2000): “Tasmem Tebaaet Almansogat Alyadaweya” Cairo – unknown Publisher.

7. يونس، فضل أحمد (1993م): الجغرافيا السياحية، دار النهضة العربية، بيروت.

Younis, Fadl Ahmed (1993): Algoghrafya Alseyaheya, Dar Alnahda Alarabeya, Beirut.

الأبحاث العلمية المنشورة والغير منشورة:

8. أسماء عبد الله ثقفان (2008 م): "جماليات الفن الشعبي العسيري ودوره في التنشيط السياحي من خلال اللوحة التشكيلية" رسالة ماجستير منشورة -كلية التربية –جامعة الملك سعود 1429ه.

Asmaa Abdullah Sakfan (2008):Gamaleyat Alfan Alshaabi Aloosery w dwroh fe altansheet alseyahy mn khelal allawha altashkelya” resale majester manshora- faculty of education – Almalek Sooud University 1429 H.

9. السلامي، خيرة عوض (2001 م): "دراسة الأزياء الشعبية للمرأة السعودية في منطقة الباحة"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد المنزلي، قسم الملابس والنسيج، جدة.

Alsalami, Khera Awad (2001): “Derasat Alazyaa Alshaabeya lelmaraa Alsoodeya fe mantekat albaha”, Resalat majester ghayr manshor, Faculty of home economics, almalabes w alnasseg department, Jeddah.

10. عبد الرزاق بن سليمان بن أحمد أبو داوود (2012 م): "مفهوم السياحة وأهميته وإمكان تطبيقه على المملكة العربية السعودية" -بحث منشور -كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، مجلة ملف العقيق، المجلد (16)، العدد (32-31)، ص: 29-45.

Abdulrazeq ben Suleiman ben Ahmed Abu Dawood (2012): “Mafhum Alseyaha w ahmyto w emkan tatbeko in Saudi arabia kingdom” – publish research – koleyat aladab w aloloom alensaneya, Almalek Abdulaziz university, Majalet malaf alakik, almjalad (16), issue no. (31-32), Page 29-45.

11. نهال عبد الجواد محمد أبو الخير، إيمان بهنس أحمد خضير (2015م): "الزخارف الشعبية كمدخل لإثراء القيم التشكيلية والتعبيرية والوظيفية لتصميمات المفروشات" دراسة حالة على المنسوجات المستخدمة في القرى السياحية واستراحات الطرق في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية" –بحث منشور -مجلة التصميم الدولية –عدد (5).

Nehal Abdulgawad Mohammed Abu Alkheir, Eman Bahnas Ahmed Khudeir (2015): “Alzakharef alshaabeya k madkhal l ethraa alkeyam altashkelya w altaaberya w alwazefya l tasmemat almfroshat” Deraset hala ala almnsogat almostkhdama fe alkora alseyaheya w

estrahat altoroq fe madinet altaaef in Saudi arabia kingdom" – publish research – majalet altasmem aldawleya – issue no. (5).

12. هاني محمد علي الجواهرة (2005م): "وحدة العناصر والأشكال في النقوش الجدارية بمنطقة عسير وعلاقتها باللباس "بحث منشور -مجلة جامعة دمشق للعلوم والهندسة –المجلد الحادي والعشرون –العدد الثاني.

Hany Mohammed Ali Algawahera (2005): "wehdet alaanaser w alashkal fe alnokosh aljedareyah in ooser w elaktha b ellebas" publish research – majalet gameat Demeshq lel oolom w alhndasa – almojalad 21 – issue no. 2.

المقالات والمجلات المختلفة:

13. محمد القويز (2007م): "السيدة فاطمة أبو قحاص الشخصية التراثية" جريدة الرياض، العدد 14290، 9 أغسطس. المصدر: www.alriyadh.com

Mohammed Alqowez (2007): "Alsayeda Fatema Abu kahas alshakhseya altoraseya" Jaredat Alreyad, Issue 14290, 9 August. Source: www.alriyadh.com

14. عبد الله المسلمي (2010م): "رحيل رائدة فن النقش العسيري"، الوطن أونلاين، 6 مارس. المصدر: www.alwatan.com

Abdullah Almoslami (2010): "Raheel Raedat fan Alnaksh Aloosery", Alwatan Online, 7 March. Source: www.alwatan.com

15. إبراهيم، أحمد حسن، (1992): السياحة في إقليم عسير، مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد 20، ص 135 - 169.

Ibraheem, Ahmed Hassan, (1992): Alseyaha fe eklem Ooser, Majalet albohos w alderasat alaarabeya, Issue no. 20, page 135-169.

16. زايد الأسمري، وأيمن العجمي (2017م): "عسير مقومات سياحية تبحث عن خارطة طريق" -الوطن أونلاين -17 يونيو. المصدر: www.alwatan.com

Zayed Alasmary, Ayman Alaagami (2017): "Ooser mokawemat seyaheya tabhas aan kharetat tareeq" – Alwatan Online – 17 Juni. Source: www.alwatan.com

17. سلطان الأحمري (2015م): فنانة مختصة بـ «النقش العسيري» تعمل على جدارية الأمم المتحدة –الرياض -الأحد 12 محرم (أم القرى) -25 أكتوبر -العدد 1728 المصدر: www.Alriyadh.com

Sultan Alahmary (2015): Fanana mokhtasa b <<Alnaksh aloosery>> taamal ala jedareyat alomam almotaheda – Alriyadh – Sunday 12 muharram (om alkora) – 25 October – Issue 1728 Source: www.Alriyadh.com

18. عبد الله مريع (2010م): "النقش العسيري فن يحاكي الزمان ويناجي المكان" جريدة الرياض –العدد (15333) المصدر: www.Alriyadh.com

Abdullah Moree (2010): "Alnaksh aloosery fan yohake alzaman w yonaje almakan" Jaredat Alriyadh – Issue (15333) Source: www.Alriyadh.com

19. عمروش، أحمد (1988م): "جماليات أشكال العمران وزخارفه بمنطقة عسير"، مجلة الجنوب، العدد 56، أبريل.

Aamrosh, Ahmed (1988): "Jamaleyat Ashkal Aloomran w zakharefohb manteqet Ooser" , Majalet Aljanob, Issue 56, April.

20. علي البشيرى (2006م): "فاطمة أبو قحاص" 7 عقود في تحويل الجدران إلى عالم جمالي"، جريدة الشرق الأوسط، العدد 9994، 9 إبريل. المصدر: archive.aawsat.com

Ali Albeshery (2006): "Fatema Abu Qahas" 7 ookod fe tahwel aljodran ela aalam gamaley", Jaredat Alsharq Alawsat, Issue 9994, 9 April. Source: archive.aawsat.com

21. سلطان الأحمري (2009م): «قرية المفتاحة» تسترجع «حضارة عسير» أمام جيل التحوُّلات، جريدة الرياض، العدد 14977، 26 يونيو. المصدر: www.Alriyadh.com

Sultan Alahmary (2009): <<Karyet Almofataha>> tstrgee <Hadart Ooser> Amam Geel Altahwolat, Jaredat Alriyadh, Issue 14977, 26 Juni. Source: www.Alriyadh.com

22. الوطن أونلاين -12 فبراير. المصدر: www.Alwatan.com
Alwatan Online – 12 February. Source: www.Alwatan.com

المراجع الأجنبية:

23. Mclntosh (1994), R.C. Goeldner and B. Ritchie, Tourism: Principles, Practice And Philosophies, John Wiley& Sons, New York

24. Mauger (1996), T. Impressions of Arabia: Architecture and Frescoes of The Asir Region, Flammarion, New York, P. 24.

مواقع الإنترنت:

25. https://ar.wikipedia.org/wiki 2018

26. https://aseer.gov.sa 2018

27. http://www.alriyadh.com/531890 2018

28. http://www.ars.gov.sa/AsirRegion/AsirAntiquities/Pages/default.asp 2018
http://www.sauditravel.com/abha/shamsan-castle-ottoman/ 2018

29. https://aawsat.com/home/article/177 2018

30. www.spa.gov.sa/171456 2018

31. http://www.alarabyia.net/ar/Saudi-today/2018/01/14

32. http://www.asharq.net.sa/2014/05/17/11448 2018

33. m.bayt.com 2018

34. http:/wwwazzamam.com 2018

35. http://www.abhashopping.com/ 2018

هدية السلطان عبد الحميد الثاني من دفتر ذكريات العائلة
"١٨٧٦– ١٩٠٩م"

د/نيفين مصطفى حسن سعد
أستاذ مساعد تاريخ حديث
كلية الآداب –جامعة المنوفية
مصر

أ/محمد عبد الله مشبب آل مزهر الأسمرى
بالمملكة العربية السعودية

ملخص

السلطان عبد الحميد الثانى شخصية تاريخية هامة أثارت جدلاً كثيراً حولها، من خلال الكتابات عنه نظر إليه البعض على أنه مصلح عادل، حكم امبراطورية كبيرة متعددة الأعراق بقوة وذكاء وحزم، استطاع الوقوف فى وجه الاستعمار الغربى واليهود ومنعهم من اقامة وطن قومى لهم فى فلسطين بالرغم من ضعف الدولة العثمانية أنذاك_ رجل أوروبا المريض – بينما نظر إليه البعض على انه ديكتاتور مستبد و بذل كل ما فى وسعه من أجل دولته وبناء جيش كبير .

وعن أهمية الموضوع نجد أنه حالة فريدة وخاصة وهى إهداء من مبعوث السلطان عبد الحميد الثانى لقبيلة بللسمر [١] الواقعة جنوب غرب المملكة العربية السعودية وشمال مدينة أبها على سلسلة جبال السروات، وذلك عند قدوم مبعوث السلطان عبد الحميد الثانى للجزيرة

---

[١] بللسمر "بتشديد اللام"، هي إحدى قبائل رجال الحجر، تقع جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وهي تقع شمال مدينة أبها على سلسلة جبال السروات، وتبعد عن مدينة أبها بحوالي ١٠٠ كم، وتقع بللسمر قلب منطقة رجال الحجر، وتأخذ المنطقة شكل المثلث قاعدته في الغرب، ورأسه في الشرق ، وتنتسب قبائل بللسمر إلى أصلين في السراة وتهامة والبادية، والأصلان هما بنو منبح وبنو العذمة، وينقسم بنو منبح إلى قسمين هما، بنو منبح الشام، وبنو منبح اليمن. وتنقسم بنو منبح اليمن إلى قبيلة آل عبيد، وقبيلة آل المضفاة وكان أهل المضفاه يسمون بني كثير، ولهذه القبيلة "المضفاه" ينتمي مشبب آل مزهر الأسمري، وتنتسب قبيلة بللسمر إلى أسمر بن حجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن شجب بن يعرب أو عريب بن قحطان (للمزيد للمزيد انظر، محمود شاكر، **شبه جزيرة العرب "عسير"**، المكتب الإسلامي، دمشق، ص١٦.
http,//www.alnssabon.com/t41262.html
ابن حزم ، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى (ت، ٤٥٦هـ)، **جمهرة أنساب العرب** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م. ، ص١٨٧.
, http,//www.alnssabon.com/t41262.html.https,//1asir.com/149984

العربية وبعد الضيافة والاستقبال له من قبل الأمير علي بن محمد جرمان أمير بللسمر وبللحمر، وبعث الأمير عدد من الوفد إلى الشيخ مشبب بن علي آل مزهر الأسمري، وبعد الضيافة والاستقبال لهم قام مبعوث السلطان بإهداء بندقية إلى الشيخ مشبب وهى من الصناعات العثمانية فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى ، ويرجع تاريخها إلى عام ١٣٢٦هـ ومطليه بالفضة وعليها ختم السلطان عبد الحميد الثانى وكتابة اسطنبول تحت الختم وكتابه باللغة العثمانية ترجمتها " **مصنوع ببنادق السلاح بتركيا**"

مقدمة

ولد السلطان عبد الحميد الثاني يوم الأربعاء الموافق ٢١ سبتمبر "أيلول" عام ١٢٥٨ هـ- ١٨٤٢ م، وهو ابن السلطان عبد المجيد من زوجته تيريموجكان قادين Tirimugan[١] ، وقد درس السلطان عبد الحميد الثانى في القصر السلطانى على أيدى نخبة من أشهر المربين فى زمنه علماً وخلقاً ، وتعلم اللغتين الفارسية والعربية. واعتنت به الزوجة الثانية لأبيه وكانت عقيماً، فأحسنت تربيته ، كما أوصت بميراثها له. وبويع بالخلافة بعد خلع أخيه مراد[٢] يوم الخميس ١١ شعبان ١٢٩٣هـ الموافق ٣٠ أغسطس ١٨٧٦م، وكان وكان عمره أنذاك أربعًا وثلاثين سنة. وقد حضر مراسم تتويجه كبار الأعيان والموظفين

[١] تيريموجكان، أم السلطان عبد الحميد الثانى، ولدت في ١٨١٩/٨/١٦وتوفيت في ١٨٥٢/١٠/٣م هي الزوجة الرابعة للسلطان عبد المجيد، شركسية الأصل ولدت في ققفاسيا من قبيلة الشايسوغ رفعت عام ١٨٤٩م إلى رتبة الزوجة الثالثة، توفيت ابنتها نعيمة قبل ولادتها للسلطان عبد الحميد وعمرها عامين ونصف بمرض الجدرى، ، ماتت بمرض السل وسنها ٣٣عاماً ، ودفنت في مقبرة مراد الخامس في ينى جامع (يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة عدنان محمود سلمان، محمود الأنصارى، (تركي – استانبول ، مؤسسة فيصل للتمويل،١٩٩٠)ص٩٥.

[٢] هو مراد الخامس ابن السلطان عبدالمجيد، وقد وُلِدَ عام ١٢٥٦ه، تعلم اللغة الفرنسية، وتأثر بثقافتها، ونُصِبَ سلطانًا بعد خلع عمه عبد العزيز عام ١٢٩٣ ه، وعندما سمع بمقتل عمه، وقيام ثورة في البلغار وتمردات في البوسنة والهرسك وصربيا، توترت أعصابه وصدرت عنه تصرفات تدل على خلل عقلي؛ فأصدر مفتي الإسلام فتوى بخلعه، ونقِل إلى قصر جراغان وبقى فيه إلى أن توفي عام ١٣٢٣ه، وله من الأولاد ثمانية، وللمزيد، انظر، محمد خير فلاحة، **الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد،** (دراسة موضوعية تبين أحوال السلاطين وما كانت عليه حضارة التزيين، ثم ما تلاها من تهور العاثبين، ٢٠٠٥م)، ص٦٨.

والوزراء من العسكريين والمدنيين ، وقد أطلقت المدافع في سائر أطراف الإمبراطورية العثمانية احتفالًا بهذه المناسبة[1].

وكان لمجئ السلطان عبد الحميد الثاني أثر واضح في المحاولات والجهود الكبيرة التي بذلها لرفع شأن الإمبراطورية العثمانية؛ فقد عجز مرادعن إدارة شئون الدولة، أو الظهور أمام الناس؛ في الوقت الذي كانت فيه الدول الاستعمارية تتطلع إلى الدولة العثمانية للانقضاض عليها، وتقسيم ممتلكاتها؛ لذلك قرر عبد الحميد قبول العرش عندما عرضه عليه مدحت باشا في المرة الثانية، ووعد وقتها بتحقيق ثلاثة شروط، وهي: إعلان الدستور، وإقامة الشورى، وإعادة تعيين السكرتارية الخاصة لشقيقه مراد[2].

اصلاحات السلطان عبد الحميد الثانى :

وقد تناولت إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني مجالات الحياة الإجتماعية والإقتصادية؛ فحاول القضاء على المظالم التي يتعرض لها سكان ولايات الإمبراطورية العثمانية.

وفي بداية حكمه كان يتابع أخبار الإمبراطورية من داخل القصر؛ فوجد أن الفساد قد استشرى في كل ركن من أركان الدولة، وبدأ الإصلاح مستعصيًا خاصةً وأن الدول الأوربية الكبرى كانت قد قطعت شوطًا كبيرًا من التقدم والرقي[3]. وفي ظل هذه الظروف الصعبة حاول السلطان منع الدولة من السقوط، كما أنه نجح بفضل الله وعنايته من الحفاظ على الدولة من السقوط لمدة ثلاثين عامًا[4]، ولهذا استقبل باحترام كبير من الدول الكبرى لعدم انغماسه في الملذات وقضاء معظم أوقاته في القيام بالاصلاحات الأساسية، وهذه

[1] ابراهيم بك حليم، **تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ص ٢٢١، إسماعيل أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ص١٨٣.

[2] رفيق شاكر النتشة، **السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة ٣، ١٩٩١م، ص٦٩، ناهد إبراهيم دسوقي، **القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص٥٨.

[3] رفيق شاكر النتشة، **السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين**، ص ٩، ٤٩.

[4] جمال عبد الهادي مسعود وآخرون، **أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ الدولة العثمانية**، الجزء الثاني، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص ١١.

الإصلاحات جعلت الدول الأوربية تخاف منه؛ لأنه سعى إلى معالجة الرجل المريض مما جعل تلك الدول تحاول الإيقاع به للقضاء عليه، والدليل على ذلك أنه بعد مرور عامين على تبوأه العرش كتب رئيس الوزراء البريطاني اللورد ساليسبوري قائلًا: "إن السلطان ليس له سوى زوجة واحدة؛ فهل سيكون كسليمان القانوني؟"[١].

يبدو أن السلطان عبد الحميد الثاني قد استفاد كثيرًا من عمه السلطان عبد العزيز[٢] الذي كان بمثابة القدوة له. فالأوضاع الداخلية والخارجية تتطلب رجلًا ذا خبرة سياسية وقدرة كبيرة على حل المشكلات؛ فمن جهة كان أنصار التغريب يطالبون بالدستور جريًا وراء الشعارات الغربية، ومن ناحية أخرى كانت التمردات في البلقان تريد من يستأصلها، ونتيجة لذلك حرص السلطان على تشكيل مجالس شعبية تعاون الإمبراطورية في أداء مهامها؛ ولهذا أصدر قرارًا في ٥ شوال عام ١٢٦٢هـ – ٢٤ أكتوبر عام ١٨٧٦م بإعلان الدستور المعروف في التاريخ العثماني بالمشروطية الأولى[٣]. وكان غرضه من إعلان الدستور هو قطع الطريق على التدخل الأجنبي بحجة إصلاح أحوال النصارى[٤] بعد قيام ثورة في البلقان ورغبة الدول الاستعمارية الكبرى في استغلال تلك الثورة لتمزيق ممتلكات الإمبراطورية العثمانية[٥].

---

[١] رفيق شاكر النتشة، **السلطان عبدالحميد الثاني وفلسطين**، ص٤٩.

[٢] السلطان عبد العزيز، هو ابن السلطان محمود الثاني، ولد في إستانبول عام ١٢٤٥ه، وأتقن اللغة الفرنسية وأجادها، وكان يحب الفروسية والمصارعة، واعتلى عرش الدولة العثمانية في عام ١٢٧٧ه بعد وفاة أخيه السلطان عبد المجيد وكان عمره آنذاك اثنين وثلاثين عامًا، وقتل عام ١٢٩٣ه، وكان له من الأولاد اثنا عشر ولدًا. انظر، محمد خير فلاحة، **الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد**، ص ٦٨.

[٣] جمال عبد الهادي وآخرون، **أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ**، ص١١، محمد خير فلاحة، الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد، ص ٦٩، روبير مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، الجزء الثاني، ترجمة، بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ص١٦٤.

[٤] إنه يوم ٢٣ ديسمبر اجتمع سفراء ألمانيا وانجلترا وروسيا والنمسا والمجر في استانبول لبحث أوضاع مسيحي الولايات البلقانية الثائرة على الدولة العثمانية فوجئوا بإطلاق المدافع إيذانا بإعلان القانون الأساسي. انظر، كمال السعيد حبيب، **الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (٦٢١ـ ١٩٠٨م)**، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٢، ص٤٤٥.

[٥] كمال السعيد حبيب، **الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (٦٢١ـ ١٩٠٨م)**، ص٤٤٥، جمال عبدالهادي، **أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ**، ص١١.

مجلس المبعوثان:

وعلى أية حال، تكون البرلمان من مجلسين، الأول يقوم الأهالي بانتخاب أعضاءه، ويسمى مجلس المبعوثان، والثاني يعين أعضاؤه من طرف الدولة ويسمى مجلس الأعيان، وقام السلطان عبد الحميد بتعيين مدحت باشا صدرًا أعظمًا، وأكد عبد الحميد على مراعاة الشريعة الإسلامية في جميع الأمور[١]. وأصدر قانونًا أساسيًا للدولة يشتمل على مائة وتسع عشرة مادة في ٤ من ذي الحجة ١٢٩٣هـ- ١٨٧٦م، يضمن لجميع رعايا الدولة الحرية والمساواة أمام القانون، وأتاح حرية التعليم مع جعله إجباريًا على جميع الرعايا العثمانيين، كما أتاح المطبوعات، وبيّن اختصاصات مجلس المبعوثان والأعيان[٢]، وكيفية الإنتخاب، وأن جميع الرعايا يطلق عليهم اسم عثماني، وأن الدولة جسم واحد، وقد أمر السلطان أيضًا بإبطال المصادرة في الأملاك والتعذيب أثناء التحقيق أو أن يسخر قوم من قومه، وعدم عزل أي قاضي إلا بوجود سبب شرعي لهذا العزل، وأكد على أهمية مبدأ الشورى[٣]، كما يذكر أحد الباحثين أن الدستور العثماني الذي وضعه السلطان عبد الحميد الثاني كان ثورة في التاريخ العثماني والإسلامي؛ لأنه طرح مرجعية علمانية جديدة مختلفة عن المرجعية الإسلامية التي تجعل من الشريعة الإسلامية وحدها مصدرًا للتشريع، ويعد هذا الدستور أول محاولة علمانية تشريعية متكاملة في البلاد الإسلامية[٤]؛ بينما ترى ناهد إبراهيم أن مسألة قبول السلطان لإعلان الدستور هو بداية عهد جديد من الرخاء؛ لأنه تم استدعاء البطارقة الأرمن واليونانيين على أساس أن الدستور يضمن المساواة بين أصحاب الديانات[٥].

---

[١] نص الدستور على أن الدين الإسلامي هو دين الدولة وتجري جميع الأديان المعروفة في الإمبراطورية العثمانية بحرية وتحت رعاية الدولة مع دوام الامتيازات للجماعة المختلفة، وأن اللغة التركية هي اللغة الرسمية، والسلطان ذات مقدسة وهو خليفة المسلمين وسلطانهم. انظر، كمال السعيد حبيب، **الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية**، ص٤٤٧.

[٢] للمزيد من التفاصيل حول اختصاصات هيئة الأعيان (الشيوخ)، وهيئة المبعوثان (النواب). انظر، نزار قازان، **سلاطين بني عثمان بين قتال الإخوة وفتنة الإنكشارية**، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص٧٢، ٧٣.

[٣] جمال عبد الهادي، **أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ**، ص١٢.

[٤] كمال السعيد حبيب، **الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية**، ص٤٤٧.

[٥] ناهد إبراهيم دسوقي، **القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص٥٨١.

وبهذا أظهر السلطان عبد الحميد الثاني روحًا إصلاحية عندما طلب من مدحت باشا إعلان القانون الأساسي المقتبس على ما يبدو من دستور بلجيكا وفرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية، وبإختصار فإن السلطان تمتع بالحقوق الدستورية كأي حاكم دستوري حيث سك النقود باسمه وذكر اسمه في الخطبة وقام بعقد المعاهدات[1].

وفي ١٤ فبراير ١٨٧٨ أقدم السلطان عبد الحميد الثاني على حل البرلمان إلى أجل غير مسمى، وعلق دستور ١٨٧٦، وأدى هذا الأمر إلى انقسام المحدثون حوله؛ فذهب فريق من الباحثين إلى أن السلطان عبد الحميد كان يفتقد للرجال الثقات، وكانت المؤامرات تحاك ضده من كل جانب، والتي تولى منها رجال ينتمون إلى الإمبراطورية العثمانية، ومن هؤلاء مدحت باشا الذي عارض هذه الإصلاحات وتآمر على عزل السلطان، وسعى لإسقاط نظام الخلافة وتطبيق النظام الأوربي اللاديني، ولهذا عزله السلطان في٥ فبراير ١٨٧٧م، وحاول تركيز السلطة بين يديه بالتدريج وطبع الإدارة بطابع الحكم المطلق[2].

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن هناك أسباب قد دفعت السلطان عبد الحميد إلى حل دستور ١٨٧٦ والعودة إلى نظام الحكم المطلق؛ لأن الحكومة الدستورية ستخلق مشكلات عديدة في المستقبل ولهذا السبب عطل العمل بالدستور[3]، وهذا الحكم المطلق أو المستبد زاد في حدته الشكوك التي ساورت السلطان عبد الحميد الثاني عند توليه عرش السلطنة العثمانية إثر عملتي خلع متعاقبتين حدثتا في سنة واحدة، كانت الأولى ضد عمه السلطان عبد العزيز الذي توفي منتحرًا بعد خلعه بأيام قليلة، وكانت الثانية ضد أخيه مراد الخامس الذي خُلع بعد أن جنّ جنونه واختل عقليًا، وكان لهاتين الحادثتين بالغ الأثر في مسلك السلطان عبد الحميد خلال سنى حكمه الطويل؛ فأكثر من تعيين الجواسيس لرصد

---

[1] عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠، ص٤١.

[2] إسماعيل أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ص١٢، عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ص٤٥، عبد العزيز محمد عوض، **الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ـ ١٩١٤**، تحقيق، أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م، ص٤٥.

[3] ناهد إبراهيم دسوقي، **القرون العثمانية**، ص٥٨١، روبير مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، ص١٦٥.

حركات الموظفين، ومراقبتهم، ولم يستثن أحدًا من المراقبة حتى الصدر الأعظم، وكلف هؤلاء الجواسيس بكتابة التقارير ورفعها إليه[١].

والسؤال الآن: هل كان هناك مبررات من قبل عبد الحميد الثاني لإلغاء الدستور؟ يقول السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته: "مدحت باشا لم ير غير فوائد الحكم المشروطي "الديموقراطي" في أوربا؛ لكنه لم يدرس أسباب هذه المشروطية ولا تأثيراتها الأخرى... وأظن أن أصول هذه المشروطية لا تصلح لكل شعب ولكل بنية قومية" أي أن البيئة التي تعمل فيها المؤسسات وتلاؤمها مع طبيعة المؤسسات هي الشرط الأساسي لتؤتى هذه المؤسسات ثمارها؛ ولم تكن المؤسسات التي طرحتها التنظيمات من وجهة نظر السلطان ملائمة للظرف التاريخي الذي تمر به الدولة، ولا كانت مناسبة لدولة عثمانية متعددة الأمم والقوميات[٢]، وهكذا يمكن القول أن هذا الاستبداد وهذه المركزية كانت من مستلزمات وحدة المحافظة على وحدة الإمبراطورية العثمانية وبقائها، وهذا الأمر لقى استجابة من مسلمي الدولة، الذين كانوا ينزعون إلى الحفاظ على الإمبراطورية وعلى الإسلام في وجه التحديات الأوربية، وكان السلطان عبد الحميد الثاني نفسه منتميًا لهذا التيار الإسلامي[٣]. كل هذا يبرر لماذا ضاق السلطان بممارسات الدستور[٤]، ولا بد من الإشارة إلى الرأي الهامالذي ساقته ماري ملز باتريك في كتابها صفحات من تاريخ تركيا الإجتماعي والسياسي والإسلامي؛ حيث ألقت باللوم على السلطان عبد الحميد الثاني بأنه منذ اليوم الذي عُطل فيه الدستور قد بدأ عهد استشهاد مدحت باشا واتهمته بأنه قضى على الرجل الهام الذي أراد أن يخدم الدولة العثمانية؛ فصرف ما تبقى من حياته معذبًا في منفاه، وأنه استشهد في سبيل نصرة مبادئه، كما يفهم من كتابها أن دستور مدحت باشا في نظر عبدالحميد لم يكن أكثر من خدعة يحالف بواسطتها الدول الأوربية الغربية، وأن علماء الشرع وزعماء الدولة بما فيهم مدحت

---

[١] عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية، ص٤٥، اسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص١٨٥.

[٢] كمال السعيد حبيب، **الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية**، ص٤٤٨.

[٣] اسماعيل أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ص١٥٨، كمال السعيد حبيب، **الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية**، ص١٨٥.

[٤] نزار قازان، **سلاطين بني عثمان**، ص٧٣.

كانوا يعلقون على الدستور أمل كبير، ويرون فيه المنقذ الوحيد للأزمة التي تعاني منها الدولة العثمانية[١].

تواصل ماري تحليلها لما أقدم عليه السلطان عبد الحميد الثاني بأن الإصلاحيون كانوا لا يزالون يعتقدون بإخلاصه ويثقون بحسن نيته؛ فلم يحسن ظنهم، وأقدم على تعطيل الدستور فجأة ومن وجهة نظرها أنه حاول البطش بمدحت باشا، لأنه خشى من حب الشعب العثماني له. فقام بنفيه إلى مدينة الطائف، وبعد مرور أربع سنوات من نفيه، قام السلطان بعقد مجلس من علماء الشرع الشريف تحاكمه على اغتيال السلطان عبد العزيز، ولم تغمض عين عبد الحميد حتى قضى عليه[٢].

كما أن المجلس الذي اجتمع منذ شهرين وأعقبه إرادة سلطانية بوقف البقية الباقية من نصوص مواد دستور مدحت باشا الإصلاحي قد توقف، ولم يجتمع البرلمان مرة ثانية إلا في سنة ١٩٠٨م، أي بعد مرور ثلاثين سنة على الحادث[٣]. لكن الباحث يؤكد أن ما قيل عن السلطان عبد الحميد الثاني لا يكتسب حق الواقعة التاريخية؛ لأن السلطان عبد الحميد تعرض في بداية حكمه إلى استبداد مدحت باشا، وغيره من الوزراء واشتداد سياستهم التغريبية بقيادة جمعية العثمانيين الجدد، والتي كانت تضم نخبة مثقفة تأثرت بالغرب، واستطاعت الماسونية[٤] أن تجندهم لخدمة أهدافها، وبلغ من استبداد الوزراء بالحكم أن مدحت باشا كتب إلى السلطان عبد الحميد في أول عهده بالحكم عام ١٨٧٧ قائلًا: "لم يكن غرضنا من إعلان الدستور إلا قطع دابر الإستبداد، وتعيين ما لجلالتكم من الحقوق وما عليها من الواجبات، وتعيين وظائف الوزراء، وتأمين جميع الناس على حريتهم وحقوقهم حتى تنهض

[١] ماري ملز باتريك، **صفحات من تاريخ تركيا الإجتماعي والسياسي والإسلامي**، بيروت، مؤسسة عز الدين، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م، ص١١٢، ١١٣.
[٢] المرجع السابق، ص١١٦، ١١٧.
[٣] المرجع السابق، ص ١١٧.
[٤] الماسونية، هي الخزان الثقافي والاقتصادي المتآمر على العالم الإسلامي، وهي من أعظم الجمعيات السرية، وتعرف بالبنائين الأحرار، وقد ظل منشأها مجهولًا، واقتبست أفكارها من المصادر اليهودية والمسيحية ولا تعترف بالأديان، وتزعم الماسونية أنها مؤسسة فلسفية تجلب الخير للإنسانية، وتتلخص وسائلهم في إغراء السياسيين بالمال، وعملوا على صرف أنظار الناس عن الحماس الديني. انظر، محمد خير فلاحة، **الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد**، ص ٧٦.

البلاد إلى مدارج الإرتقاء، وإني أطيع أوامركم إذا لم تكن مخالفة للأمور..."، ويقول السلطان عبد الحميد الثاني في هذا: " لقد وجدت مدحت باشا ينصب نفسه آمرًا ووصيًا عليّ، وكان في معاملته بعيدًا عن المشروطية "الديمقراطية"، وأقرب إلى الإستبداد"[١]، وكان مدحت باشا وأصحابه من الماسون يدمنون الخمر، ويذكر السلطان عبد الحميد في مذكراته: "... ومن المعروف أن أحرار ذلك العهد من شعراء وأدباء اجتمعوا مساء يوم صدور مرسوم القانون الأساسي في قصر مدحت باشا، لا ليتحدثوا في أمور الدولة، بل في أمور السكر والعربدة، وهم يحتسون الخمر، ومدحت باشا كان يدمن الخمر منذ شبابه، ومشهور عنه ذلك... وعندما نهض مدحت باشا من على مائدة الأكل خرج مستندًا على أذرع الآخرين حتى لا يقع على الأرض..."[٢].

أمّا قصة اتهام مدحت باشا في قتل السلطان؛ فقد شكل السلطان عبد الحميد لجنة للتحقيق في ذلك الأمر ثم قدم إلى المحكمة التي قضت بإعدامه[٣].

ومما سبق يستنتج الباحث أن ما قيل في حق السلطان عبد الحميد من تهم نُسبت إليه يبعد عن الصواب؛ فعبد الحميد كان ضد الدستور الذي عرف بالمشروطية، أي الإشتراط على الحاكم بتجديد سلطانه على اعتبار أن هذا فكر وافد من الغرب؛ ولذلك كان ضد المنادين به ورائدهم مدحت باشا، وانتقد وزيره هذا ولم يغير موقفه تجاه الحكم الدستوري على اعتبار أن الدولة العثمانية تجمع شعوبًا شتى، وقال: ماذا حدث عندما أعلنت المشروطية؟ هل قلت الديون؟ هل كثرت الطرق والموانئ والمدارس؟هل ساد الأمن الشخصي؟ هل الأهالي الآن أكثر رفاهية؟ هل تناقضت الوفيات وزادت المواليد؟ هل أصبح الرأي العام العالمي بجانبنا أكثر من ذي قبل؟ الدواء النافع يصبح سمًا عازفًا إذا كان في يد غير الأطباء. أو في أيدي من لا يعرفون أصول استعماله[٤].

[١] علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، ص ٤٠٢.
[٢] كان مدحت باشا في مجالس الخمر الخاص به يفشي أسرار الدولة العثمانية، وكانت هذه الأسرار تنشر بين أهالي استانبول. انظر، علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية**، ص ٤٠٣.
[٣] المرجع السابق، ص٤٠٣.
[٤] المرجع السابق، ص ٤٠٥، ٤٠٦.

وقد واجه عبد الحميد المؤامرات من الداخل ومن الخارج، وكان محاطًا بعدد كبير من المتآمرين كما كانت الدول الأوربية له بالمرصاد لئلا ينجح في إنقاذ الدولة المنهارة التي عمل جاهدًا لنهضتها؛ فالإمبراطورية قد بدأت منذ عشر سنوات تستعيد عافيتها رويدًا رويدًا؛ فانتشرت العديد من المدارس والمستشفيات في استانبول، وأوجد المعاهد الإدارية من أجل إعداد جيل جديد من الطلاب للوظائف العامة، وأنشأ أول مدرسة طبية عثمانية وجهزها من أمواله الخاصة[١]، وأحدث توسع في المدارس العسكرية، وأقدم على تأسيس المدارس الرشيدية، وافتتحت أول مدرسة إعدادية في استانبول سنة ١٨٧٥م، وساعدت ضريبة المعارف التي فرضتها الدولة عام ١٨٨٤م على تأسيس مدارس في مراكز الولايات، واستطاعت الدولة أن تفرض سيطرتها على ولاياتها أكثر من ذي قبل[٢]، وكان الهدف من إنشاء تلك المدارس هو أنه رأى أن التيار القومي المتأثر بالفكر الغربي هو السائد في هذه المدارس، ولذلك كان على السلطان أن يتدخل في شئونها وأمر باستبعاد مادة الأدب والتاريخ العام من الدراسة، لأنها وسيلة من وسائل الأدب الغربي، ووضع دروس الفقه والتفسير والأخلاق في برامج الدراسة، واقتصر فقط على تدريس مناهج التاريخ العثماني والإسلامي، ووجه المدارس لخدمة الجامعة الإسلامية[٣]، كما أدخل الكثير من التطوير على نظام البرق الذي استخدمه الخلفاء لأول مرة في حرب القرم، وأسس وزارة للبريد، وحاول التعرف على الغرب الأوربي، كما قام بحركة إصلاح في أعمال القضاء، وطبق بعض الإصلاحات بشكل أوتوقراطي ولا سيما في النواحي المالية والمدنية، والتي كانت في حاجة إلى تطوير[٤].

الإصلاحات العسكرية :

أدرك السلطان عبد الحميد الثاني بعد أن وضعت الحرب الروسية العثمانية أوزارها ضرورة الإهتمام بالجيش وسد حاجاته وزيادة تسليحه وتعليم الجنود والضباط الأصول

---

[١] رفيق شاكر النتشة، **السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين**، ص ٥٨.
[٢] عبد العزيز محمد عوض، **الإدارة العثمانية في ولاية سورية**، ص٤٠.
[٣] علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية**، ص ٤٢٦، وأعاد السلطان عبد الحميد الثاني تنظيم المدارس السلطانية التي كانت بمثابة المركز الأساسي للتعليم المدني في البلاد، وقام بتوسيعها لتستوعب أعدادًا كبيرة من الطلاب. انظر، ناهد إبراهيم دسوقي، **القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية**، ص٦٠١.
[٤] ناهد إبراهيم دسوقي، **القرون العثمانية** ، ص ٦٠١.

الحديثة للحرب؛ وذلك لأن الدولة العثمانية دفعت إلى تلك الحرب من جانب مدحت باشا دفعًا دون أن تكون على مستوى عالٍ من الناحية العسكرية، ولا من ناحية تأمين طرق التأمين ولا من الناحية المالية[1]، ومع أن السلطان عبد الحميد ورث إرثًا محملًا بالديون؛ إلا أنه رأى أن من الضروري العناية بأمر الجيش حتى ولو حساب الخزينة، لأنه لا يمكن حفظ الدولة من الأطماع الخارجية إلا بجيش كبير.[2]

ولهذا ظفر التعليم العسكري بأوفى عناية من عبد الحميد؛ حيث تم توسيع الكلية الحربية، ومدارس الهندسة العسكرية والبحرية والمدرسة الطبية العسكرية. كما أنشأ ثمانية عشر معهدًا تعليميًا رسميًا في مجالات المالية والشرطة، وتخرج في مدرسة الهندسة العسكرية ومدارس الطب العسكري خريجون فاق عددهم عدد الخريجين في كافة المدارس العليا المدنية.[3]

واستطاع عبد الحميد بهذا الأمر إيجاد نوع من التوازن بين التعليمين العسكري والمدني،[4] وفي الوقت نفسه قام بفصل السلطة المدنية عن السلطة العسكرية، وكان التجنيد يتم عن طريق القرعة على المكلفين بالخدمة العسكرية.[5]

ويذهب أحد الباحثين إلى أن السلطان عبد الحميد سمح لبعض غير المسلمين من الإلتحاق بالكليات العسكرية، ويرجح أنه من بين صفوف الكلية الحربية كان يوجد أحد عشر طالبًا يهوديًا وعشرون طالبًا يونانيًا واثنان من الأرمن، وكان هذا الأمر مرجعه بسبب

---

[1] كان الجيش العثماني الذي خاض الحرب ضد روسيا عبارة عن وحدات من الأفواج، وكان عدد الضباط قليلا جدًا، بينما بلغ تعداد الجيش الروسي نصف مليون جندي. انظر، أورخان محمد علي، **السلطان عبد الحميد الثاني وأحداث عهده**، اسطنبول، ٢٠٠٨م، ص ١٢٤.

[2] المرجع السابق، ص ١٢٤.

[3] جون باتريك، **القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية**، ترجمة، ناهد إبراهيم دسوقي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص٦٠١، علي أحمد عباس، **السلطان عبد الحميد الثاني الفترة ١٢٩٣-١٣٢٦ه، ١٨٧٦- ١٩٠٩م**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم درمان، السودان، ٢٠١٧م، ص١٧٩.

[4] مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي، **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**، ترجمة، صلاح سعداوي، دار البشير، ط١، ١٤١١ه-١٩٩١م، ص٢٢.

[5] يبدو أن بعض المكلفين بالخدمة العسكرية كانوا يثورون على الدولة عند إجراء القرعة في بعض المناطق. انظر، اسماعيل ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ص١٨٦.

التسامح الديني لدى السلطان،[1] ولكن من خلال ما توفر لدينا من معلومات حول دخول بعض الأجانب الجيش العثماني نستطيع أن نخرج بصورة مفادها أن السلطان لم يكن يقبل فكرة إخضاع غير المسلمين للخدمة العسكرية، وكتب السلطان عبد الحميد في مذكراته أن دخول غير المسلمين يسبب حدوث كثير من المتاعب والمشاكل، لأن هؤلاء قد يتحولون إلى الإسلام، وساسة الدول الكبرى لن تقبل هذا الأمر، ثم أن هناك محاذير أخرى مثل احتمال طلبهم إنشاء كنائس في الثكنات العسكرية وتعيين بعض القساوسة للصلاة، كما ذكر عبد الحميد أن الدولة العثمانية لو قامت بتشكيل سرايا خاصة بالعساكر النصارى ففي هذا الوضع محاذير أدهى وأمر، لأنه سيتكون جيش من البلغار والروم داخل الجيش العثماني الإسلامي، وإذا ما حدث عصيان فسوف تقوم هذه القوات بمقاتلة الجيش الإسلامي لاسيما وأن النصارى في الدولة العثمانية مرتبطون ارتباطًا وثيقًا بالدول الكبرى،[2] ولهذا يرى الباحث أنه لا يمكن قبول الرأي القائل بأن السلطان عبد الحميد قد أدخل بعض الضباط من اليهود والنصارى داخل الجيش العثماني، ونرجح أن هذا الأمر ربما قد حدث في أواخر عصر السلطان الذي أراد تهدئة الثورة التي كانت على وشك الحدوث، ويمكن القول أيضًا أن عدد هؤلاء الضباط كانوا لا يشكلون خطرًا على الجيش العثماني لأن عددهم قليل.

وعلى أية حال؛ فقد بلغ من ازدهار الأكاديمية العسكرية العليا أن متوسط عدد خريجيها في العالم بلغ حوالي ١٥١ ضابطًا، وما يقرب من هذا العدد بالنسبة لخريجي مدرسة الطب العسكري، وفي عام ١٨٩٧م وصل عدد المدارس الرشدية العسكرية[3] إلى تسع وعشرين مدرسة كان منها ست مدارس في استانبول، وواحدة في كل ولاية كبرى، وبلغ عدد التلاميذ حوالي ٨,٢٤٧ طالبًا.[4]

[1] علي أحمد عباس، **السلطان عبد الحميد الثاني**، ص١٨٠.

[2] السلطان عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية ١٨٩١- ١٩٠٨**، مؤسسة الرحالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٢٧٩م، ص١٠٣.

[3] كان يوجد بالإضافة إلى المدارس الرشدية المدنية مدارس رشدية عسكرية تؤهل طلابها إلى الإلتحاق بالكليات الحربية. انظر، علي أحمد عباس، **السلطان عبد الحميد الثاني**، ص١٨٠.

[4] المرجع السابق، ص١٨٠.

وكان السلطان عبد الحميد الثاني لا يريد من الغرب إلا ثقافته والعلوم الحديثة، ولذلك استقدم عددًا من الجنرالات الألمان لتدريب الجيش العثماني وفق متطلبات العصر،[1] وفي الواقع كانت ألمانيا (بروسيا) هي الحليف الوحيد المناسب[2] الذي كان يخطب ود السلطان؛[3] ففي أكتوبر عام ١٨٩٨ قام غليوم الثاني امبراطور ألمانيا بزيارة رسمية إلى تركيا – ويظل غليوم الثاني هو الرئيس الوحيد الأوروبي الذي استقبله السلطان عبد الحميد الثاني[4]. وفي ثلاثينات القرن التاسع عشر كان ضباط بروسيون يخدمون كمدربين في الجيش العثماني وكان من بينهم هلموت فون مولتكه، كما أن ألمانيا لم تكن تطمع في مد سيطرتها على الدولة العثمانية، ولهذا بحث عبد الحميد عن بديل للسياسة التقليدية المتمثلة في الاعتماد على بريطانيا، كما أن الجيش الألماني يتمتع بهيبة كبيرة، ولهذا تبدو ألمانيا هي الحليف المناسب المثالي لتطوير الإمبراطورية.[5]

وتشهد وثيقة عثمانية عن مدى التعاون بين الألمان والعثمانيين في عهد عبد الحميد الثاني والاستفادة من هذه العلاقات[6] ؛ ففي عام ١٨٨٢م استقدم عبد الحميد عددًا من

---

[1] أماني جعفر الغازي، **السلطان عبد الحميد الثاني المفترى عليه وموقفه من حجاب المرأة**، مجلة الدراسات الشرقية، ع ٥٥، ٢٠١٥م، ص٢٦٠، أحمد عبد الرحيم مصطفى، **في أصول التاريخ العثماني**، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣م، ص٢٤٢، سليمان بن صالح، **كيف سقطت الدولة العثمانية**، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤٢٠ه، ص٢٩.

[2] ظهر ذلك بعد أن كشفت الحرب العثمانية الروسية (١٢٩٤- ١٢٩٥ه/ ١٨٧٧- ١٨٧٨م) عن مدى الضعف الشديد في إمكانيات وتجهيزات الجيش العثماني، وأمام هذه المشكلة عمل السلطان عبد الحميد الثاني من أجل البحث عن حل، والعمل على تقوية الجيش العثماني، وتطويره بعيدًا بريطانيا وفرنسا، وفي هذا المجال وجه أنظاره نحو ألمانيا تلك الدولة الأوروبية القوية، والتي بدت له غير طامعة بممتلكات إمبراطوريته، وخاصة بعد ظهورها كدولة قوية عسكريًا بعد حرب ١٢٨٧ه- ١٨٧٠م مع فرنسا. للمزيد، انظر، سهام محمد هنداوي، **التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية (١٢٩٣ه/ ١٨٧٦م- ١٣٢٧ه/١٩٠٩م) وثائق سرية**، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سورية-دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، ص١٠٦.

[3] جون باتريك، **القرون العثمانية**، ص٦٢٧.

[4] المرجع السابق، ٢٢١.

[5] جون باتريك، **القرون العثمانية**، ص٢٢٢.

[6] نشأت علاقات سياسية وعسكرية بين ألمانيا والدولة العثمانية قبل توحيد ألمانيا وهذه العلاقات بدأت رسميًا ولأول مرة في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨- ١٨٣٩م) الذي طلب من الحكومة البروسية الاستفادة من خبرة ضباطها في تنظيم الجيش، واستجاب البروسيين لطلبه وذهبت مجموعة من الضباط تحت رئاسة هلموت فون مولتكه للقيام بهذه المهمة. للمزيد من التفاصيل راجع، مكرم عبد الفتاح عبد الخالق، **"وثيقة عثمانية حول العلاقات العثمانية الألمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني دراسة وترجمة"**، مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ع ٣١، ٢٠٠٠م، ص٣٨٧.

الجنرالات الألمان المختصين ومنهم فون دركولج وفون هوفذ، وكامب هوفذ حيث قاموا بتدريب مختلف الفرق العثمانية على أحدث الأسلحة وفقًا لمطالب العصر، كما أرسلت بعثتان في عهد بسمارك وهي بعثة أوتوكولير، وبعثة فون درغولش، وأصبح الجيش العثماني يتسلح جيدًا حيث تم تسليحه بكمية كبيرة من الأسلحة الألمانية عام ١٨٨٧م، وذلك بعد أن حصلت شركة لوفي وموزر على صفقة مع الدولة العثمانية لتزويد الجيش العثماني بالأسلحة اللازمة؛ فأصبحت ألمانيا تتمتع بتعاطف كبير داخل الرأي العام العثماني، وأصبحت تركيا تثق في ألمانيا وانتشر إعجاب دائم بالفن العسكري الألماني، وذكر الجنرال فون دركولج أن الجيش العثماني أصبح يحتل المرتبة الأولى بين الجيوش، ولا يوجد من يتفوق عليهم كما أرسل السلطان بعثات عسكرية إلى ألمانيا.[١] ويشهد السلطان عبد الحميد في مذكراته أن الإمبراطور الألماني أثنى على الضباط العثمانيين الذين يتلقون العلوم العسكرية في بلاده وأنهم في تقدم مستمر.[٢]

صحيح أن السلطان كان يرى أن الإمبراطور مخطئ لأن تقرير السفير في برلين أفاد أن القليل من الضباط العثمانيين كانوا يركزون على الاهتمام بالدراسة، والكثير منهم لا يستحقون المديح نظرًا لكثرة سلوكهم الخاطئ؛[٣] لكن ما حدث يدحض آراء الحاقدين ويبرئ ساحة السلطان من التهم التي ألصقت من أنه رجعي ولا يحب التغيير،[٤] والدليل على ذلك أنه قال: "إن تلقي أولاد الباشوات العلوم العسكرية في بروسيا يكلفنا كثيرًا، لكنه يولد انطباعًا

[١] روبير مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، ص٢٢٤، يوسف حسين يوسف، **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦- ١٩٠٩م**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٠م، ص٢٠، سهام محمد هنداوي، **التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية**، ص١٠٧، ١٠٩.

[٢] السلطان عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية**، ص٥٨.

[٣] تطرق عبد الحميد في مذكراته إلى أن الضباط العثمانيين الذين يذهبون إلى ألمانيا يدمنون شرب الخمر؛ بالإضافة إلى تعلم بعض العادات المنافية للأخلاق، وكان من الجدير بهم التمسك بالعادات العثمانية والإيمان الخالص بالله لأن هذه هي أوصاف الجندي المثالي. انظر، السلطان عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية**، ص٥٨-٥٩.

[٤] إسماعيل ياغي، **الدولة العثمانية**، ص١٨٦.

حسنًا في الخارج؛ فعلى هذا النحو نبرهن على أننا لم نبخل بشئ في سبيل إبقاء جيشنا في المستوى المطلوب".[1]

ويبدو أن ألمانيا لم تكن فقط هي الدولة الوحيدة التي اتجهت إليها أنظار تركيا؛ فعلى الرغم من أن السلطان عبد الحميد لم يكن يميل إلى فرنسا،[2] لكنه كان يحب الثقافة الفرنسية والتي كان يتعلمها الضباط البحريون، وكان الجيش الفرنسي حتى عام ١٨٧١ أعظم جيش في العالم حتى حل محله في التدريس النظام الألماني، ولم يخطئ عبد الحميد حينما ذكر أن العصر الذهبي من تاريخ تركيا في السنوات الأخيرة والإصلاحات في عهد أسلافه عبد العزيز وعبد الحميد أغا يرجع الفضل فيها للإصلاحات الفرنسية، كما يشهد عبد الحميد أن المدارس العسكرية كانت تحت التأثير الفرنسي،[3] واستمر الأمر حتى ثمانينات القرن التاسع عشر فالجيش العثماني كان يأخذ عتاده من فرنسا وألمانيا حتى حلت ألمانيا بشكل كبير محل فرنسا؛ فقد حصلت ألمانيا على نوع من الاحتكار في تجارة الأسلحة للدولة العثمانية، حيث أصبحت صفقات الأسلحة وتجارتها مع الدولة العثمانية على قائمة التجارة والعلاقات بين الألمان والعثمانيين؛ فلقد أصبحت الدولة العثمانية حتى الحرب العالمية الأولى أهم زبائن ألمانيا في مجال شراء الأسلحة بكافة أنواعها،[4] وأصبح الجيش مجهز بأرقى الأسلحة الحديثة، وقام السلطان بالانفاق على تجارب الغواصة في استانبول قبل أن تملك انجلترا غواصة واحدة، كما قام بافتتاح مدرسة في قصره لإعداد موظفي التلغراف لإدارة الشبكة الهاتفية للأغراض العسكرية، وهذا الأمر أدى إلى تحقيق عدة انتصارات بعد سلسلة من الهزائم العسكرية على حد قول أحد الباحثين.[5]

---

[1] السلطان عبد الحميدالثاني، **مذكراتي السياسية**، ص٥٨.

[2] كان عبد الحميد يخشى من فرنسا بسبب كونها جمهورية ولترويجه الأفكار الثورية. انظر، يلماز أوزتونا، **موسوعة الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري**، ص٤١٠.

[3] السلطان عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية**، ص١٣٩.

[4] مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، ص٢٢٣، سهام محمد هنداوي، **التطور التاريخي للعلاقات الألمانية**، ص١١٩.

[5] موفق بن المرجة، **صحوة الرجل المريض "السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية"**، ص١٢٣.

وكان الجيش العثماني عام ١٨٧٧م يعتبر الجيش الرابع من بين جيوش العالم بعد ألمانيا وروسيا وفرنسا، وكان يضم حوالي ٧٠٠ ألف جندي تحت السلاح وأسلحته حديثة، وفي عام ١٩٠٨م كان يوجد ٥٣٥ ألفًا مع قوات الدرك وقوات حميدية المليشية، وفي نفس العام كانت ميزانية القوات البرية ٧ ملايين ليرة ذهبية. وكان جيش التنظيمات مقسمًا إلى ٧ وحدات كبيرة كل منها تسمى جيش ومراكز هذه الجيوش حسب تسلسل أرقامها استانبول، أدرنة، وفرقة في مكة وطرابلس، وكانت رتب قواد الجيش مشيرًا أو فريقًا،[١] وأصبح الجيش يمتلك في حالة الدخول إلى الحرب ١٨ فرقة مشاة، و٧ فرق من الفرسان، و٣ فرق مدفعية.[٢]

وكانت العسكرية إجبارية بموجب قوانين ١٨٨٨، و١٩٠٤، ولا يوجد نظام ضباط احتياط وكانت مدة الخدمة حتى ٦ سنوات، وكان يتم الاستدعاء وقت الحرب؛ وفي كل عام كانت الدولة تقوم بتدريب ٧٠ ألف شخص، وكان الجندي الذي يرغب في الاستمرار في العسكرية كان بإمكانه البقاء في الجيش، وبسبب تطبيق نظام ضباط الاحتياط لم يكن الموظفون يطبقون العسكرية.[٣]

وكانت فرق الخيالة قليلة العدد وتتكون من ٣ ألوية، وفي عام ١٩٠٣م خصص للفيلق الواحد كتيبة خيالة إضافية واحدة وارتفع عدد الكتائب إلى سبعة، وكانت وحدات الاستحكام قد خصصت سرية استحكام واحدة لكل جيش، وكانت توجد كتائب وسرايا استحكام مرتبطة بمشيرية طوبخانة توجه في حالة الحرب لخدمة الجيوش حسبما تقتضيه الحاجة، ولكل جيش سرية واحدة، بينما الجيش الخامس كان له سريتا نقل إضافيتان، وكذلك توجد خمس سرايا إطفاء.[٤]

وإذ انتقلنا إلى المدفعية نجد أنها كانت مقسمة إلى ١٥ لواء، وتحتوي على ٣٥ كتيبة مدفعية، كلها كانت ٢٧١ بطارية، وكل بطارية تحتوي على ٦ مدافع، سواء في أوقات

---

[١] يلماز، **موسوعة الإمبراطورية العثمانية**، ص٤١٤، ٤١٥.
[٢] أورخان محمد علي،**السلطان عبد الحميد الثاني**، ص١٢٥.
[٣] يلماز، **موسوعة الإمبراطورية العثمانية**، ص٤١٥.
[٤] كانت السرية الواحدة في أوقات السلم تضم من ٤٠٠ إلى ٦٠٠ جندي، وكانت فصيلة الخيالة الواحدة تتشكل من ٦٠ إلى ١٢٠ حصانًا. انظر، المرجع السابق، ص٤١٧.

السلم أو الحرب، وهكذا تتشكل المدفعية من ١٦٢٦ مدفعًا سيارا، وكان توزيع ال ٢٧١ بطارية على هذا الشكل؛ فالجيش الأول ٣٩، والجيش الثاني ٥٨، والجيش الثالث ٧٧، والجيش الرابع ٣٩، والجيش الخامس ٢٦، والجيش السادس ١٧، والجيش السابع ٧، وفرقة طرابلس ٦، وفرقة حجاز بطاريتان، ومدفعية القلاع ١٤٦ بطارية، وكان الجيش الأول يحتوي على خمس سرايا من جنود الاستحكام، والثاني ٢، والثالث سرية، والرابع سرية، والجيش الخامس يحتوي على فصيلة واحدة من جنود الاستحكام، والسادس واحد، والسابع واحد، ومن ناحية أخرى كانت هناك ٦٣ فصيلة صناع على شكل لواء تابع لأمر مشيرية طوبخانة، وكان يدرب ويخرج عمالًا متخصصين ورؤساء عمل مهرة.[١]

وكانت الأسلحة تنقل إلى مكة عن طريق السفن الأجنبية من مختلف الدول،[٢] وعلى هذا كان بإمكان الإمبراطورية أن تعبئ في أوقات النفير العام ١٦٨٣٠٠٠ جندي بري، ومن الجدير بالذكر أن القوات المصرية لم تكن تحتسب ضمن هذا العدد لتحكم إنجلترا في شؤون مصر.[٣]

وبالإضافة إلى ما سبق كانت توجه قوات الدرك (الجندرمة)، وكانت تساوي ٥٤٤ فصيلة مشاه+ ٢٠٠ فصيلة خيالة، وفي عام ١٩٠٨ م كان الجيش يحتوي على ٤١٠ آلاف جندي نظامي، و٥٠ ألف درك تحت السلاح. أمّا الكتائب الحميدية فكانت كما يلي كتائب خفيفة الحركة يشكلها المتطوعون الأكراد في الأناضول الشرقية، وقامت انجلترا وفرنسا باستعمال هذا النوع من الجند، وهذه القوات تمردت بعد ذلك على السلطان عبد الحميد، وبعد إعلان المشروطية كانت تشكيلات القوات البرية ٤٠ فرقة نظامية وقت الحرب.[٤]

[١] المرجع السابق، ص٤١٧.

[٢] سهيل صابان، **تجارة السلاح في الجزيرة العربية والخليج من واقع الأرشيف العثماني ١٨٩٨- ١٩١٠/ ١٣١٠- ١٣٢٨ه**، مجلة مكتبة الملك فهد، مج ١٠، ع ٢، ٢٠٠٥م، ص٢٧٧.

[٣] يلماز، **موسوعة الإمبراطورية**، ص٤١٨.

[٤] المرجع السابق، ص٤١٨.

وقد استطاع السلطان عبد الحميد من خلال هذا الجيش الجرار تحصين المواقع الحساسة في مضيق البوسفور، واستطاع هذا الجيش بعد ذلك من إحراز النصر في موقعة جناق في الحرب العالمية الأولى ضد بريطانيا وحلفائها.[١]

ويكفي أن نقرأ صفحات من مذكرات الأميرة عائشة لمعرفة قدرة وإمكانيات هذا الجيش أثناء العرض الرسمي للجيش.[٢]

أمّا عن البنادق العثمانية[٣] فقد استوعبت عدد من الباحثين الذين أقبلوا على دراستها للتعرف على مدى ما وصلت إليه تلك الصناعة من رقي وازدهار خلال فترة الحكم العثماني، ويحتفظ متحف ليفنتس بمدينة نيقوسيا بثلاث بنادق عثمانية، اثنتان يبلغ طول كل بندقية منها ١٢٢.٥ سم تقريبًا؛ أمّا البندقية الثالثة فهي من النوع الطويل الذي كان يستخدم في حصار المدن ويبلغ طولها ١٥٧.٥سم، وتتكون كل بندقية من هذه البنادق من ماسورة معدنية وقطعة خشبية توجد في أسفلها، وبيت النار الذي يطلق عليه بيت البارود؛ أو حجرة الإشعال، والزناد والنيشان، ثم مقبض البندقية الذي يليه الكرنافة، وهي قاعدة البندقية التي ترتكز عليها في حالة استخدامها، كما تثبت الكرنافة في كتف الجندي لتصد رد فعل الطلقة عند خروجها.[٤]

وتم استخدام البنادق الطويلة في المعارك داخل القلاع، وفي أيدي الفرسان وفي الاستعراضات الملكية؛ حيث أن هذا النوع من البنادق قد وجد منه ما هو خالي من الزخرفة،

[١] أورخان محمد علي، **السلطان عبد الحميد الثاني**، ص١٢٥.

[٢] للمزيد من التفاصيل حول الاستعراضات الرسمية، انظر، مذكرات الأميرة عائشة، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ص١١٦.

[٣] البندقية عبارة عن آلة من سلاح الحرب تعرف بالبارود نسبة إلى البارود الذي يقذف به، وهي سلاح ناري فردي خفيف الوزن ذو سبطانة محلزنة، وتستعمل للرمي من الكتف على مسافات قريبة. انظر، بدر عبد العزيز بدر، **الأسلحة النارية العثمانية بمتحف ليفنتس بنيقوسيا والعصور الوسطى بليماسول في قبرص**، دراسة أثرية فنية مقارنة، أعمال المؤتمر الخامس عشر للاتحاد العام للآثاريين العرب، وجدة، مج ١، ٢٠١٢م، ص٩٧١.

[٤] عبد العزيز بدر، **الأسلحة النارية**، ص٩٧٠.

وتقتصر هيئته على هيئة لون الخشب، أو دهانه. ويوجد نوع آخر كان يحمله السلطان العثماني أثناء الحفلات الاستعراضية في القصر.[١]

وعرفت بنادق الإستعراض باسم بنادق الزينة حيث كانت تشتمل على ثروة زخرفية ضخمة من الخاس الأصفر، والذهب، والفضة والأحجار الكريمة.[٢]

بينما بنادق الزناد الفتيلي فقد ركبت سبطاناتها على أخمص خشبي يسنده الرامي إلى صدره، وكانت تستقدح بفتيل من البارود اللادخاني يوضع في القسم العلوي من أنبوبة أفعوانية الشكل؛ فإذا أشعل الرامي الفتيل لامس الفتيل الملتهب المشعل الذي يفجر الحشوة الدافعة فيحدث الإطلاق. وكان الجيش العثماني يستخدم هذا النوع من البنادق ضد خصومهم وكان يطلق على هذا النوع اسم التفنك. كما ابتكرت أيضًا بندقية الزند الصواني وزودت بمطرقة مزخرفة بهيئة منقار الديك الذي يقبض بين فكيه قطعة من حجر الصوان، وعند سحب المطرقة كانت تصطدم قطعة الصوان بصفيحة فولاذية محدثة شرارًا يصعق المشعل.[٣]

وقد أطلق صناع الأسلحة النارية على طراز البنادق الصغيرة ذات السبطانة القصيرة مصطلح "قربينة" اقتباسًا من المصطلح الألماني Karbiner ويعني البندقية الصغيرة، وتميزت بنادق هذا الطراز بأنها فائقة الجودة، عالية الدقة، جيدة المدى، وقد أعيد تصميم هذا الطراز من البنادق خلال القرن التاسع عشر حيث صارت تلقم البندقية من مؤخر السبطانة.[٤]

[١] محمد محمود علي الجهيني، **"فن زخرفة البنادق في العصر العثماني"**، مجلة كلية الآثار، جامعة جنوب الوادي، قنا، ع ٦، ٢٠١١م، ص٢٨١.
[٢] المرجع السابق، ص٣٨٢.
[٣] بدر عبد العزيز، **الأسلحة النارية العثمانية**، ص٩٧٢.
[٤] المرجع السابق، ص٩٧٣.

وكانت المواد المتفجرة هي البارود وكانت صناعته سهلة في حالة تأمين الكبريت الذي يقلل وجوده نسبيًا بالقياس إلى المواد الأخرى، وفي حالة عدم وجود البارود لا يمكن صنع أي سلاح ناري، وكان البارود المسحوق الموضوع في البراميل يمكن إشعاله في حالة أن يفجر الأبنية المغلقة، أما رمي القنابل بواسطة البارود فهو الذي ولدّ الأسلحة النارية.[1]

وإلى جانب الجيش دعم السلطان عبد الحميد الثاني الأسطول وزوده بالغواصات، وقَوّىَ قلاع الحرب على البوسفور والدردنيل،[2] وكان عبد الحميد عند اعتلائه العرش قد تسلم من عمه السلطان عبد العزيز ثماني سفن حربية فرفع هذا العدد إلى ثلاث وعشرين سفينة حربية، وثمان وسبعين سفينة مساعدة، وقام بشراء طربيدين كبيرين من ألمانيا، ومن فرنسا وإنجلترا ستة زوارق طوربيد.[3]

وفي عام ١٨٧٦ اشتعلت الثورة في بلاد الهرسك بتحريض من الجبل الأسود والصرب، غير أن الثورة قد أخمدت، ورغب السلطان في منع الدول الأوربية من التدخل، وعندما لم تفلح هذه الثورات في تحقيق الهدف بها أعلنت روسيا صراحة الحرب على الدولة العثمانية بسبب رومانيا، وأجبرت الدولة العثمانية على توقيع معاهدة سان استيفانو المجحفة بحق العثمانيين بعد أن فقدت الدولة أجزاء منها في هذه الحرب[4]؛ لكن هذه الدول الأوروبية لم تقف ساكنة وروسيا تلتهم أجزاء كبيرة من الدولة العثمانية؛ فتم عقد معاهدة برلين، وكان

---

[1] يلماز، موسوعة الإمبراطورية العثمانية، ص ٤٠٣، ٤٠٤.

[2] محمود ثابت الشاذلي، **المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية، ١٢٩٩-١٩٢٣**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص١٦٣.

[3] أورخان محمد علي، **السلطان عبد الحميد الثاني، ص١٢٦، يلماز، موسوعة الإمبراطورية العثمانية**، ص١٨٩.

[4] تدخلت انجلترا لمنع روسيا من احتلال استانبول، وعقدت روسيا والدولة العثمانية معاهدة سان ستيفانو، وقدم المندوب الروسي شروطًا، وهي،
- تعيين حدود للجبل الأسود، تستقل إمارة الصرب، استقلال بلغاريا إداريًا وكذلك رومانيا، أن يتعهد الباب العالي بحماية الأرمن، أن تدفع الدولة العثمانية غرامة قدرها ٢٤٥ مليون ليرة، أن يتم فتح البوسفور للسفن الروسية، وللمزيد من التفاصيل، انظر، يلماز أوزتونا، **موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري**، المجلد الثالث، ترجمة، عدنان محمود سلمان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠ م، ص ١٢١، علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية**، ص٤١٢، ٤١٣.

ظاهر هذه المعاهدة هو الحد من النفوذ الروسي، لكن باطنها هو المزيد من تقطيع أوصال الدولة، وتوزيع أملاكها على المستعمرين[١].

كما أدرك السلطان العثماني عبد الحميد الثاني أنه بمفرده لا يستطيع الوقوف في وجه أوروبا، وأصبح شديد الخوف من الدول الأوروبية، وحاول الحفاظ على ما تبقى لديه من أملاك الدولة، وخاف من قيام ثورة بعض الأقليات التي من الممكن أن تساندها الدول الأوروبية الأخرى، ولمواجهة هذه الأوضاع عمل على إنشاء فكرة الجامعة الإسلامية لكي يعمل على تكتل جميع المسلمين كافة حوله في الداخل والخارج، ولاقت حركة الجامعة الإسلامية هذه قبولًا لدى المسلمين بعد ما رأوا ضعف عقيدة الولاء بين أبناء الأمة، والتيارات العلمانية والأكاذيب الباطلة والوعود المعسولة، ورأى السلطان أن فكرة الجامعة سوف تحقق أهدافًا عظيمة في مواجهة أعداء الإسلام، ومن أجل تدعيم هذه الفكرة دعى جمال الدين الأفغاني (١٢٥٥– ١٨٣٩) المسلمين إلى الالتفات حول الخلافة العثمانية التي تتمثل في آل عثمان، لكن الخطأ الذي وقع فيه السلطان هو اعتماده على الطرق الصوفية في الترويج للفكرة وسكوته عن انحرافاتهم العقدية[٢].

وكانت عداوة اليهود للسلطان شديدة؛ فقد حاول اليهود استغلال الأوضاع الداخلية والخارجية التي تحيط بالسلطان، وطلب اليهود من السلطان على لسان هرتزل أن يعطيهم فلسطين؛ لتكون وطنًا قوميًا ليهود العالم، واستطاع هرتزل أن يحصل على تأييد أوروبي لفكرته، وعرض مبلغًا كبيرًا من المال حوالي عشرين مليون ليرة ذهبية لسداد ديون الدولة مقابل التنازل عن فلسطين؛ إلا أن رد السلطان جاء مخيبًا لآمال اليهود، وفخرًا لكل إنسان مسلم، وقال لا، لن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة؛ لأنها ليست ملكي؛ بل هي

---

[١] دعت النمسا إلى عقد مؤتمر برلين، ولبت الدعوة جميع الدول الكبرى مثل انجلترا وفرنسا وألمانيا وروسيا والنمسا، وتم تعديل معاهدة سان استيفانو، وتناولت شروط مؤتمر برلين،
استقلال بلغاريا، وضم البوسنة والهرسك للنمسا، واستقلال الصرب والجبل الأسود، ضم مدن قارص وردهان لروسيا. للمزيد، انظر، عزتلو يوسف بك آصاف، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم وحتى الآن**، تقديم، محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ص١٣٣، محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق، إحسان حقى، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص٦٠٣.

[٢] حول فكرة الجامعة الإسلامية، راجع، أنور الجندي، **السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية**، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ص٩٦، ١١٥، موفق بني المرجه، المحقق، أحمد عبد الله الفليج، **صحوة الرجل المريض أو (السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية)**، مؤسسة صقر، الكويت، ١٩٨٤م، ص٨٥، ٢٠٠.

ملك شعبي، وقاتل أسلافي من أجل هذه الأرض؛ فليحتفظ اليهود بملايينهم، وفشلت كل إغراءات اليهود المالية؛ فأخذوا في التآمر مع كل القوى المعادية للمسلمين والتنسيق مع كل الاتجاهات من أجل الإطاحة بالسلطان من طريق أطماعهم بفلسطين، وتولى المحفل الماسوني الإيطالي المعروف باسم المشرق الأعظم لهذه المهمة[١].

وقد لعبت المحافل الماسونية مع يهود الدونمة[٢] دورًا في التخطيط لخلع السلطان، وكانت بمثابة العقل المدبر كما كانت دول أوروبا الغربية هي الممول؛ لأنه كان لها نفوذ كبير في أوساط الباب العالي، وبين الأتراك الشبان، وكانت بيروت قد شهدت افتتاح فرع للماسونية للقضاء على السلطان عامي ١٨٦٨– ١٨٦٩، وبعد عام ١٩٠٥ وجدت جمعية الاتحاد والترقي مجالًا واسعًا للعمل في سالونيك بسبب المراقبة الدولية التي كانت موجودة بها من جانب انجلترا وفرنسا. واستطاع الاتحاديون أن يتسربوا إلى مواقع القرار؛ فكانت حركتهم قومية طورانية، وتكاملت أطراف المؤامرة من الماسونيين والعلمانيين وكلاهما ممثل في جمعية الاتحاد والترقي، والدول الأوروبية ممثلة في حزب تركيا الفتاة، ومن خلف الجميع يقود اليهود زمام المؤامرة، وقد استغلوا لعبة الدستور الذي كان معطلًا منذ عام ١٨٧٦، وحاول السلطان من جانبه تفويت الفرصة على المتآمرين، لكن وقعت حادثة قُتل فيها عدد من أنصار الاتحاد والترقي، وعلى أثر هذه الحادثة تحركت قوات الاتحاد من سلانيك وتوجهوا إلى استانبول، ودخلوا قصر الخلافة، وتم عزل السلطان عبد الحميد الثاني، ونقل إلى سالونيك حيث بقى عدة سنوات وسمح له بثلاث سلطانات وأربع محظيات، وحاشية لا تتجاوز ثلاثين شخصًا، واصطحب معه هرًا كان يحبه كثيرًا، وهكذا أفل نجم السلطان عبد الحميد الثاني من أفق السياسة، وجاءوا بأخيه محمد رشاد إلى العرش، وفاق سكان العاصمة وعلى رأس الدولة سلطان جديد وهو محمد رشاد[٣].

---

[١] للمزيد حول علاقة اليهود بالسلطان عبد الحميد الثاني، انظر، محمد خير فلاحة، **الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد**، ص ٧١، ٧٢، حسان علي حلاق، **دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (١٩٠٨-١٩٠٩م)**، الدار الجامعية، بيروت، بدون تاريخ، ص ٧، ١٠٢، رفيق شاكر النتشه، **السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين**، ص ١٠١، ١٠٤.

[٢] يهود الدونمة، كلمة تعني الرجوع أو العودة والارتداد، ودينيًا تعني مذهبًا جديدًا؛ أمّا من الناحية السياسية فتعني اليهود المسلمين الذين لهم كيان خاص، انظر، علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ص ٤٤٠.

[٣] ماري ملز باتريك، **صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعي والسياسي والإسلامي**، ص ١٤٤، رفيق شاكر النتشة، **السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين**، ص ١١٩، ١٢٣، كمال السعيد حبيب، **الأقليات والسياسة في**

الخاتمة:

حاول هذا البحث إلقاء الضوء على عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وكشف عن الطابع الحقيقي الذي تميزت به سياسته تجاه الدولة العثمانية، وتجاه الدول الكبرى الأوروبية المعادية، والتي نظرت للدولة العثمانية على أنها دولة ضعيفة لم تعد تقوى على الفتوحات كما كانت في السابق.

– كما أظهرت هذه الدراسة بعض النتائج المهمة في تاريخ تلك المرحلة؛ فقد كشفت الدراسة عن أن عبد الحميد الثاني ترك بصمات واضحة في سياسته مع الدولة العثمانية من خلال التمسك بتعاليم الدين الإسلامي الذي لا بد وأن يعد هو الدستور الذي يجب الاعتماد عليه.

– بينت الدراسة أن السلطان عبد الحميد كان يجنح إلى السلم رغم اهتمامه بكافة شؤون الجيش، وكان ينقصه الخروج بالجيش، وإظهار مكانة الدولة العثمانية، ولهذا تجنت الكتابات التاريخية على الدولة، ووصفتها بالرجل المريض.

– كان من أهم نتائج الدراسة أيضًا وضوح عبد الحميد في تعامله مع الوزراء ولا سيما مدحت باشا، وكان عليه فهم السياسة المعقدة التي تسير عليها الأمم من خلال وجود دستور؛ حيث كان من الممكن أن يعمل ما يريده دون حل البرلمان، ويجعله كصورة أمام الغرب؛ إذ ظهر بفعلته هذه كرجل مستبد ديكتاتور.

– ولعل من أبرز النتائج أيضًا التي قدمتها الدراسة أن عبد الحميد مهما قيل عنه من كتابات وأقلام الحاقدين؛ فسوف تظل مواقفه تجاه اليهود من أشجع المواقف رغم التعسر المادي الذي كانت تمر به الدولة.

– ألقت الدراسة الضوء على إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني تجاه الجيش، وكشفت عن أن عبد الحميد لم يكن رجعي، ولكنه كان يتمسك بمبادئ الدين الحنيف الذي يجب أن

الخبرة الإسلامية، ص ٤٥١-٤٥٥، سليمان بن صالح الخراشي، **كيف سقطت الدولة العثمانية**، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ه، ص ٤٨-٥٢، محمد الناصر النفزاوي، **التيارات الفكرية السياسية في السلطنة العثمانية ١٨٣٩- ١٩١٨م**، دار محمد علي، صفاقس، تونس، ٢٠٠١م، ص٤٠٤، محمود ثابت الشاذلي، **المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩- ١٩٢٣م**، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص١٦٦.

يتحلى به كل جندي، ولهذا أرسل البعثات إلى ألمانيا، وكل ما كان يشغل باله هو إعداد ضباط على الأخلاق الإسلامية.

– ومن أبرز النتائج التي قدمها البحث أيضًا أن الألمان كانوا أخلص حليف عرفته الدولة العثمانية في عصر السلطان عبد الحميد الثاني، ولهذا ولى وجهه شطر الألمان الذين لم يكن لهم أية أطماع في تركيا.

– كما بينت الدراسة أن الجيش العثماني كان له مكانته بين جيوش العالم الأوروبية، وربما يرجع النقد الذي كان يوجه إليه لأنه لم يكن يحب الحروب، وكان يفضل ويؤثر السلم على الحرب. كما رفض رفضًا قاطعًا دخول غير المسلمين في الجيش لما قد يسببه هذا الأمر من إحداث فرقة بين طوائف الدولة لاسيما أن الدول الأوروبية كان تتربص بالدولة العثمانية لإلحاق الضرر بها.

ملحق



ختم السلطان عبد الحميد الثاني



السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦- ١٩٠٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

نشهد نحن الموقعين أدناه أن البندقية التي يمتلكها محمد بن عبد الله بن مشبب آل مزهر هي بندقية جدية ورثها أب عن جد ويعود تاريخها إلى ما قبل ١٣٦ عام وعليها ختم السلطان عبد الحميد الثاني وأهديت إلى والدنا مشبب آل مزهر ثم آلت إلى أخينا عبد الله ثم إلى ابنه محمد بن عبد الله وحيث أن الوفد التركي كانوا في ضيافة أمير بللسمر أنذاك الشيخ علي بن محمد وكان والد الشيخ عبد الله بن علي بن جرمان الذي استلم الشيخة في عهد الملك عبد العزيز عند تأسيس الدولة السعودية عام ١٣٤١ هـ وأرسل وفد من الترك إلى مشبب آل مزهر لإكرامهم فأحسن ضيافتهم واستقبالهم وقد أهداه مستشار السلطان عبد الحميد الثاني هذه البندقية التي تعود من بنادق السلطان عبد الحميد الثاني .

وبالله التوفيق

شهد بذلك	شهد بذلك
محمد بن مشبب آل مزهر الاسمري	علي بن مشبب آل مزهر الاسمري
بصمة /	بصمة /

نائب قبيلة المضفاه

الشيخ / عبد العزيز بن علي بن عبد الله آل جرمان

التوقيع :

الختم :

ويظهر من هذه الصور صور لبندقية من بنادق السلطان عبد الحميد الثاني كما هو موضح من الختم المدون عليها، ومدون عليها باللغة التركية العثمانية : "**مصنوع ببنادق السلاح بتركيا**". وهذه البندقية أعطاها السلطان عبد الحميد الثاني إلى جدي مشبب آل مزهر، وذلك عند قيام السلطان بإرسال مبعوث له إلى منطقة عسير؛ فأثناء ذهابه مرّ على منطقة بللسمر بالسعودية، وكان منزل جدي؛ فأحسن ضيافته وطلب منه تأمين طريقه إلى عسير؛ فقام جدي بتأمينه؛ وعند انتهاء مهمته أعطى كبير الوفد هذه البندقية لجدي وقد أحضرها المستشار الخاص للسلطان عبد الحميد الثاني (الباشا)، وذلك لحسن استقباله وتأمين طريقه، وأخبره بأنها هدية من السلطان العثماني على حسن ضيافتهم.[١]



[١] حوار ، نقلًا عن محمد عبد الله مشبب آل مزهر.


استانبول





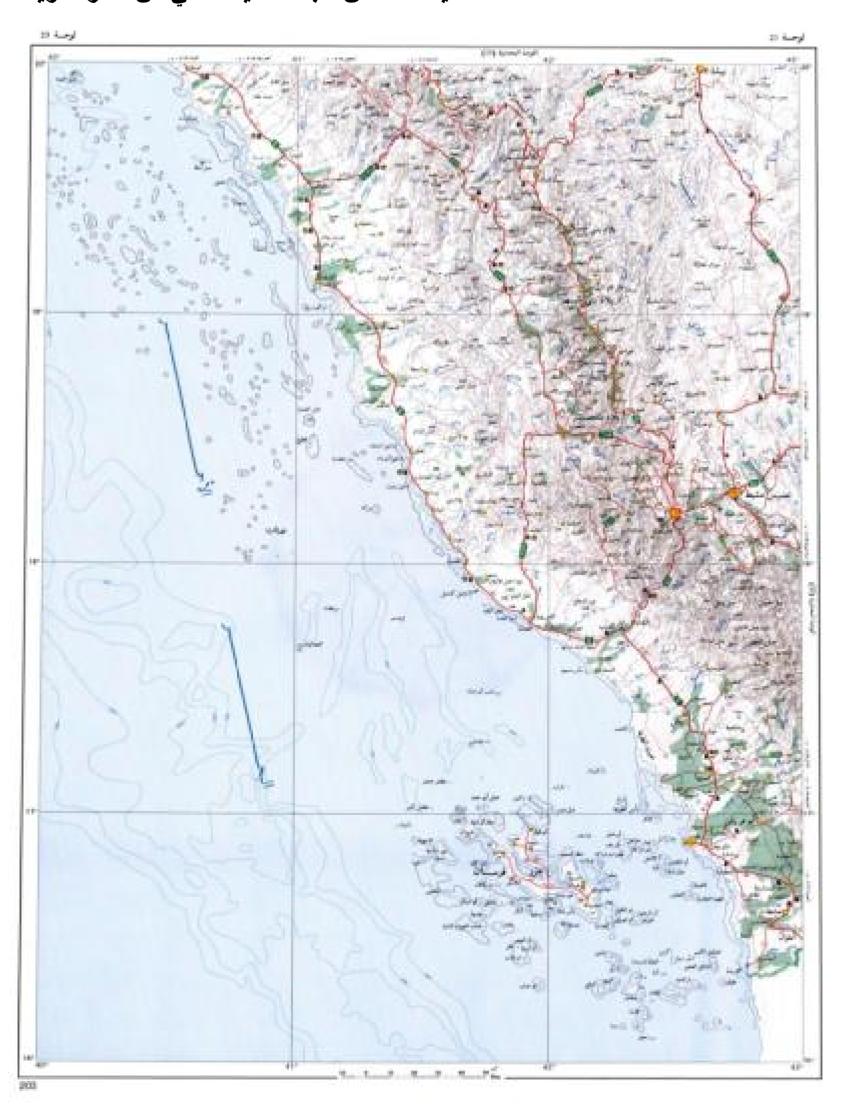

سنه ١٣٢٦


استانبول
تفنك فابريقه سي









[1] http://www.athagafy.com/maps/Fig-23.jpg خريطة توضيحية للقبائل العربية بالجزيرة العربية (قبيلة بللسمر)

قائمة المراجع

المصادر والمراجع العربية:

– ابن حزم ، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى (ت: ٤٥٦هـ)، **جمهرة أنساب العرب** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م.

– إبراهيم بك حليم: **تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

– إسماعيل أحمد ياغي: **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.

– أحمد عبد الرحيم مصطفى: **في أصول التاريخ العثماني**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م.

– أنور الجندي: **السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية**، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

– أورخان محمد علي: **السلطان عبد الحميد الثاني وأحداث عهده**، اسطنبول، ٢٠٠٨م.

– بدر محمد عبد العزيز بدر: **الأسلحة النارية العثمانية بمتحف ليفنتس بنيقوسيا والعصور الوسطى بليماسول في قبرص "دراسة أثرية فنية مقارنة"**، أعمال المؤتمر الخامس عشر للإتحاد العام للآثاريين العرب، وجدة، مج ١، ٢٠١٢م.

– جمال عبدالهادي مسعود وآخرون: **أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ "الدولة العثمانية"**، الجزء الثاني، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.

– جون باتريك: **القرون العثمانية، قيام وسقوط الإمبراطورية التركية**، ترجمة: ناهد إبراهيم دسوقي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

– حسان علي حلاق: **دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (١٩٠٨–١٩٠٩)**، الدار الجامعية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

– رفيق شاكر النتشة: **السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩١م.

- روبير مانتران: **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، الطبعة الأولى، ج٢، ١٩٩٣م.

- السلطان عبد الحميد الثاني: **مذكراتي السياسية (١٨٩١- ١٩٠٨)**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

- سليمان بن صالح الخراشي: **كيف سقطت الدولة العثمانية**، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- سهام محمد هنداوي: **التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية (١٢٩٣هـ- ١٨٧٦م/ ١٣٢٧هـ- ١٩٠٩م) وثائق سرية**، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سورية، دمشق، ٢٠١٥م.

- سهيل صابان: **تجارة السلاح في الجزيرة العربية والخليج من واقع الأرشيف العثماني ١٨٩٨- ١٩١٠م/ ١٣١٠- ١٣٢٨هـ**، مكتبة الملك فهد الوطنية، مج ١٠، ع٢، ٢٠٠٥م.

- عبد العزيز محمد الشناوي: **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج١، ١٩٨٠م.

- عبد العزيز محمد عوض: **الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤**، تحقيق: أحمدعزت عبد الكريم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.

- عزتلو يوسف بك آصاف: **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم وحتى الآن**، تقديم: محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

- علي محمد الصلابي: **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

- كمال السعيد حبيب: **الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (٦٢١- ١٩٠٨م)**،مكتبة مدبولي،الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

- ماري ملز باتريك: **صفحات من تاريخ تركيا الإجتماعي والسياسي والإسلامي**، بيروت، مؤسسة عز الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

– محمد خير فلاحة: **الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد، دراسة موضوعية تبين أحوال السلاطين وما كانت عليه من حضارة التزيين ثم ما تلاها من تهور العابثين**، ٢٠٠٥م.

– محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

– محمد محمود الجهيني: **فن زخرفة البنادق في العصر العثماني**، مجلة كلية الآثار، جامعة جنوب الوادي، قنا، ع٦، ٢٠١١م.

– محمد الناصر النفزاوي: **التيارات الفكرية السياسية في السلطنة العثمانية ١٨٣٩-١٩١٨م**، دار محمد علي، صفاقس، تونس، ٢٠٠١م.

– محمود ثابت الشاذلي: **المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩-١٩٢٣**، القاهرة، مكتبة وهبه، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

– محمود شاكر، شبه جزيرة العرب "عسير"، المكتب الإسلامي، دمشق، د.ت.

– مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي: **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**، ترجمة: صالح سعداوي، دار البشير، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

– موفق بني المرجه، المحقق: أحمد عبد الله الفليج: **صحوة الرجل المريض (السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية)**، مؤسسة صقر، الكويت، ١٩٨٤م.

– ناهد إبراهيم دسوقي: **القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

– نزار قازان: **سلاطين بني عثمان بين قتال الإخوة وفتنة الإنكشارية**، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

– يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، مجلد ٣، ترجمة: عدنان محمود سلمان، محمود الأنصاري، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

رسائل جامعية :

- علي أحمد عباس: **السلطان عبد الحميد الثاني الفترة ١٢٩٣- ١٣٢٦هـ/ ١٨٧٦- ١٩٠٩م**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم درمان، السودان، ٢٠١٧م.
- يوسف عمر حبيب: **أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦- ١٩٠٩**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٠م.

دوريات :

- أماني جعفر الغازي: **السلطان عبد الحميد الثاني المفترى عليه وموقفه من حجاب المرأة**، دراسة تاريخية تحليلية، مجلة الدراسات الشرقية، ع ٥٥، ٢٠١٥م.
- مكرم عبد الفتاح عبد الخالق: **وثيقة عثمانية حول العلاقات العثمانية الألمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني دراسة وترجمة**، مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، ع٣١، ٢٠٠٠م.

روايات شفهية :

- لقاء حوارى مع محمد عبد الله مشبب آل مزهر من قبيلة بللسمر بالممكة العربية السعودية (أحد مراكز منطقة عسير).

من وثائق التاريخ الاجتماعي لمنطقة عسير

على الرغم من أن دراسة وثائق التاريخ الاجتماعي تعجُّ دائماً بالكثير من الظواهر المتميزة التي تفوق معظم مصادر التاريخ الأخرى، فإنها لم تَلْقَ العناية الكافية من المؤرخين المسلمين بعامة، ومؤرخي الجزيرة العربية بخاصة.

وترجع أهمية هذه الوثائق إلى أنها لم تكتب أصلاً بهدف التأليف التاريخي مما ينفي عنها الأهواء الذاتية، يضاف إلى ذالك أنها تجسيد حيٌّ للمجتمع بنظمه، وعاداته، وتقاليده. كما أنها مرآة يمكن أن نرى بها صورة واضحة لحياة الناس، خلال قيامهم بالبيع والشراء ، وتنظيم شؤونهم الداخلية، وأفراحهم وأتراحهم، ومشاكلهم وقضاياهم، وعاداتهم وتقاليدهم وفيما يلي نعرض لإحدى هذه الوثائق.

أولاً : الوثيقة التي بين أيدينا تعرض لما كانت تعانيه منطقة عسير قبيل الفتح السعودي لها من خلافات ومشاكل ومنازعات، وتوضح مدى السلطة التي كان يتمتع بها القاضي بين الناس. فقد كان نظام القضاء في عسير - خلال الفترة - التي تتحدث عنها الوثيقة وهي القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي - وبالتحديد في عام ١٢٧٤هـ - كان مُهَاباً من الجميع، فالقاضي - كان يتوسط المجلس وفي يده عصا رفيعة، ويجلس أمامه المتقاضيان، ومن ورائهما المستمعون، يجلسون القرفصاء بشكل دائرة كاملة تقريباً، فيشير القاضي بالعصا إلى المدَّعي ليشرح دعواه، فينهض المدعي واقفاً فيصلي على النبي ﷺ ، ثم يذكر دعواه، وبعد أن ينتهي يشير إليه القاضي بالجلوس، ثم ينهض المدَّعَى عليه بإشارة من القاضي، فيذكر دفاعه، ثم يتقدم بالشهود، ويعرض البيانات، وإذا كان بين السامعيْـن شاهد يشير بيده اليمنى، ويمد سبَّابتها مصلياً على النبي ﷺ ، فيدعوه القاضي إلى أداء الشهادة فيؤديها، فإذا اكتفى القاضي بأقواله أشار إليه بأن يجلس، ثم يصدر القاضي حكمه في الحال، وإذا كان للمدَّعينَ أو لأحدهما أو لغيرهما

اعتراض على الحكم يصغي إليه القاضي، ويجيب عليه، وإن أصبح الحُكْمُ قطعيًا يبلغ المحكوم عليه.

وقد كان من العار لدى القبائل أن يقول الرجل الكذب أو يدعى ماليس له، أو ينكر أمراً واقعاً، لذالك كان من النادر أن يحيد أحد المتقاضين عن الحقيقة في تقرير دعواه، كما كان حكم القاضي مطاعاً من الجميع، ولا يحتاج إلى قوة إجرائية لتنفيذه[1]. وتوضح هذه الوثيقة مَدَى شدة النزاع على الحدود بين قبيلة خثعم، وأحد فروعها من البدو، وهم بنو واس.

ثم تدخُلُ الأمير محمد بن عائض في الأمر بإرسال أحد القضاة لإصلاح ذات البين بينهما، وقيام كل من الطرفين المتنازعين بتوكيل أحد الأشخاص الموثوق فيهم لعرض وجهة نظر الطرف الذي وكُّله، وإبراز الدلائل والبينات التي تساعد القاضي على تبيين الحقيقة، وانتهاء الأمر بحدوث التراضي والصلح بين الطرفين المتخاصمين بحضور القاضي، ومن المعروف أنه بعد أن صَهَرَ الملكُ عبدالعزيز آل سعود القسم الأكبر من الجزيرة العربية في بوتقة واحدة، وتوصل إلى إقرار السلم، والوحدة بين القبائل، انتهت مثل هذه المنازعات تقريباً، وتولد بين الناس شعور بالتّضامن، سَيما على المنازعات القبلية، والعصبيات العشائرية، وكان نتاج ذلك تولد روح المحبة، وإزالة الحزازات والإحن وإصلاح ذات البين، وبخاصة بعد تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بأمانة وعدالة.

ثانيا: اهم المواضع والقبائل المذكورة في الوثيقة:

١ ـ خَثْعَـمُ: قبيلة من القحطانية تنسب إلى خثعم بن أنمار، أقامت في جبال السراة وما والاها حتى مرت بهم الأزد في مسيرها من أرض سَبَإِ، فقاتلوا خثعماً وأجلوهم عن منازلهم، ونزلت خثعم مابين بيشة وتُرَبَة، ومنازلها الآن بين شمران في الشمال والغرب وبَلْقَرْن في الجنوب والشرق للتفاصيل انظر. البكري الأندلسي: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» جـ ١ ـ تحقيق مصطفى السقا ـ بيروت عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ص ٦٣ وفؤاد حمزة: «قلب جزيرة العرب» القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م وأيضاً

عمر رضا كحالة: «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة» دمشق، المكتبة الهاشمية ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

٢ ــ بنو وَاس: من فروع خثعم، وهم من البدو انظر. فؤاد حمزة: «في بلاد عسير» الرياض الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ص ٦١.

٣ ــ وادي شُواص: أحد الأودية التي تتصل بِرَنْية، وفي شرقه يوجد معدن الذهب انظر. حمد الجاسر: «في سراة غامد وزهران» دار اليمامة، ١٣٩٧هـ ص ٣٨، ٣٦٧.

ثالثا: ابرز الشخصيات المذكورة في الوثيقة:

١ ــ محمد بن عائض: تولى حكم عسير في الفترة من ١٢٧٣ ـ ١٢٨٩هـ. وقد اكتسب هذا الأمير مَجْداً في قومه نتيجة انتصارات والده عائض بن مرعي على الأتراك، وصدهم عن بلاده، وفي عهده ازدهرت علاقات عسير بنجد للتفاصيل انظر كتابنا: «ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية منذ الدولة السعودية الأولى» دار جرش، خميس مشيط، ١٤١٠هـ ص ٣٣.

٢ ــ آل غُشَيَّان: من أهل العارض، لهم مواقف كريمة وشجاعة وفروسية منهم فهد وحمد اللذان قتلا مع عبدالله بن فيصل في معركة أم العصافير في عام ١٣٠١هـ، ومنهم ناصر بن غشيان الذي كان من رجال الملك عبدالعزيز الذين يعتمد عليهم، وكان منهم العلماء والقضاة أيضاً. للتفاصيل انظر. عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» جـ١، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص ٥٠٢.

رابعا: اثر اللهجة المحلية في اللغة الفصحى للوثيقة:

على الرغم من أن أهل عسير السراة كانوا أفصح وأصحَّ نطقاً من غيرهم من أهالي المناطق المجاورة لهم، فإن لهجتهم تغيرت مع مرور الزمن نظراً لاختلاطهم بالوافدين عليهم، وتأثرهم بكلامهم، فأصبحوا يقلبون الضاد ظاءً، والظاء ضاداً، ويقلبون الجيم ياءً، ولا يفرقون بين التاء المفتوحة والتاء المربوطة وقد أثرت هذه اللهجات على طريقة كتابتهم كما يتضح من نص الوثيقة[٢].

خامسا: تدلنا هذه الوثيقة على أنه كان يوجد في الجزيرة العربية منذ القدم علماء وقضاة خلفوا مجموعة كبيرة من الوثائق التي يمكن أن تكشف جوانب هامة من تاريخنا الاجتماعي لو وجدت من يعنى بدراستها. وفيما يلي نعرض لنص الوثيقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه من المسلمين أنه قد حصلت مشاجرة(٢ب) بين خثعم وبني واس في بلاد بين القرى(٣) والبدو وهي(٤) وادي شواص ووادي كرم فلما اشتد نزاعهم بلغ الجواب إمام الزمان محمد بن(٥) عايض حفظه(٦) الله فأمر أمير البلاد وهو سعد بن محمد بن ساهر أن يأخذ قاضياً(٧) ويصلحها من طرفها بوجه الحق، واستحضر(٧) القاضي عايض بن راشد ونزلوا بالبلاد المذكورة، واستحضروا من كبار خثعم مقبل بن البيدان، وجار الله، وسلوم بن سفر، ومسفر بن ناصر ومسفر ابن عبدالرحمن، وعبدالله بن عدلان، وعصيّد، وهادى بن حمدان، ومساعد بن عوض، وسعد بن حويزب وشاهر بن عليوا، وعبدالله بن مدهش، وحضر من كبار بني واس مسفر بن سعد وسعد بن دهبش وفايز بن محمد، وسعد بن مثيب، وعوضه بن سلوم، وبخّان، وسعد بن عتيق، وواقي، وسعد بن قَطَنْ، ومجدول وتداعوا المذكورين(٩)، وقد وكلوا خثعماً(١٠) خثعم على دعواهم مقبل بن البيدان، ووكلت(١١) بنو(١٢) واس على دعواهم سعد بن دهبش، وادعى(١٣) مقبل بن البيدان أن حد بلادنا يا خثعم من أوطاننا إلى بير حضيرى وانه قد حكم بيننا ابن غشيان قاضي ابن سعود، وحكم بالبلاد لنا من بير حضيرى إلى أوطاننا في أمر سعود، وأنكر وكيل بني واس وهو سعد بن دهبش دعوى وكيل خثعم، وان الحد بين خثعم وبني(١٤) واس ربطة المشرّق وأنه ما لخثعم(١٥) منها، وشرق علينا وجه يابني واس فقدم الشرع المدعى بالبينة(١٦) فلم يثبت عند الشرع من البينات شيء(١٧) ثم أن الخصماء تراضوا(١٨) على صلح في الديرة بنظر سعد بن محمد بن ساهر، وبحضور(١٩) القاضي، وجعلوا بينهم ربطاً(٢٠) تقرع(٢١) البدوي عن الحضري وتقرع الحضري عن البدوي فجعلوا ربطه في ريع الحجون الأعلى وهي في الضرب الأحمر على قطر الماء(٢٢) من يمن(٢٣) ثم يناظرها طرف المطردات من

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه من المسلمين انه قد حصل مشاجره بين خثعم وبني واس في بلاد بين القراء والبدو وهو وادي شواص ووادي كرم فلما اشتد نزاعهم بلغ الجواب امام الزمان محمد ابن عايض فبعث الامير [illegible] على البلاد وهو سعد ابن محمد ابن [illegible] بان ياخذ قاضي ويصلحها من طرفها بوجه الحق واستحضر القاضي عايض ابن راشد ونزلوا بالبلاد المذكوره واستحضروا من كبار خثعم مقبل ابن البيدان وجار الله وسلوم ابن سعد ومسفر ابن ناصر ومسفر ابن عبد الرحمن وعبد الله ابن عدلان وعصيد وهادي ابن حمدان وعبد الله ابن [illegible] ومساعد ابن عوض وسعد ابن هوبزاب ومشاري ابن [illegible] ونايل الزين [illegible] وحضر من كبار بني واس مسفر ابن سعد وسعد ابن دهيش وسعد ابن عتيق ووافي وسعد ابن منيب وعوضه ابن سلوم واتخانا ابن سعد ابن وقد وكلوا خثعم سعد ابن قطين ومجدول وتداعوا المذكورين وقد وكلوا بني واس على دعواهم سعد ابن دهيش وادعى مقبل ابن البيدان على دعواهم مقبل ابن البيدان ان حد بلادنا يا خثعم من اوطاننا الى بير حضيري وانه قد حكم بيننا ابن عثيبان قاضي ابن سعود وحكم بير حضيري الى اوطاننا في امر سعود دروا انكر وكيل بني واس وهو سعد ابن دهيش دعوى وكيل خثعم وان الحد بين خثعم وبين بني واس ربطت المدرق وانه مال خثعم منها وشرق عنها ربطه لبني واس فتقدم الشرع المدعي بالبينه فلم يثبت عند الشرع من البينات شي ثم انهم تراضوا والخصمان على صلح في الديره بنظر سعد ابن عوض ابن سالم وبحضرت القاضي وجعلوا بينهم ربط تفرع البدوي عن الحضري وتفرع الحضري عن البدوي فجعلوا ربطه في راس تحون الاشعال وهي في الضوب الاحمر على تقطر الما من يمن ثم يناظرها طرف المدرات من بنزم اقدارها في يمين جنب المثنى ثم من هذا الربط وبحر ترفع خثعم عن بني واس واما ما في ربع الحنوت الاعلى فهم شركا فيه وهذا الصلح بين خثعم وبين بني واس على رضا واختيار وحضر هذا الصلح الذي [illegible] ابن [illegible] ابن سالم ومسفر ابن مساعد وغازي ابن ماذي ابن صالح ونايل ابن حسن ومسفر ابن [illegible] وضيف الله ابن [illegible] ومستور ابن عبيد [illegible] ومنصور ابن منيب وسعد ابن [illegible] وهادي ابن [illegible] وعلي ابن هاشل وفيصل ومطر ابن جاسر ومسفر ابن [illegible] وطافر ابن صافي [illegible] من الحبس ومن [illegible] من الملاوات [illegible] وجمع كثير فيه مقدار اربع ميه والله خير [illegible] وكان تحرير ذلك يوم الثالث [illegible] من شهر ذي القعده الحرام في سنة [illegible] بعد الالف من الهجره النبويه على صاحبها افضل السلام

١٠ في شهر ذي القعده الحرام في عام ١٢٦٣

بحر[٢٤] ثم أقطرها من يمن جنب المشى ثم من هذا الرّبط ، وبحر ترفع خثعم عن بني واس، واما ماء ريع الحجون الأعلى فهم شركاء فيه، وهذا الصلح بين خثعم وبين بني واس على رضا واختيار ، وحضر هذا الصلح الله ، ثم من خلقه محمد بن محيي ، وعايض بن صالح وسفر بن مسافر ، وغازي وهادي بن صالح ، وفالح بن حسن ومسفر بن محمد ، وضيف الله بن شانف ، ومستور بن عبيد وسيحم، ومنصور بن مثيب، وسعد بن مجزع، وهادي ابن ضايف[٢٥] وعلي بن هاشل وفيصل ومطر بن جاسر ومسفر بن مسفّر ، وظافر بن صافي، وشلوه من آل حبه ومزعزع من الحلافات، وظافي من الفزع، وجمع كثير فيه مقدار أربع مئة والله خير الحاضرين[٢٦].

وكان تحرير الخط يوم الثلوث ثامن عشر من شهر ذي القعدة الحرام في سنة أربع وسبعين ومئتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة، والسلام.

١٨ في شهر ذي القعدة الحرام في سنة ١٢٧٤هـ - ختم -

كلية اللغة العربية - ابها: د. عبدالمنعم بن إبراهيم الجميعي

الهوامش:

(١) للتفاصيل انظر مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير - تحقيق محمد العقيلي - نادي أبها الأدبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) للمزيد من التفاصيل حول لهجات أهل عسير انظر. فؤاد حمزة: في بلاد عسير ، القاهرة ، دار الكاتب العربي، ١٩٥١ ص ١٣٠ .

(٢ ب) في الأصل حصل مشاجر والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل القرا. (٤) في الأصل وهو.

(٥) في الأصل ابن، ومن المعلوم أن الألف بين علمين متصلين لا تكتب إلا إذا جاء ابن في أول السطر ، ونظراً لتكرار ذلك الخطأ في كتابة كل الأسماء الموجودة في الوثيقة فقد قمنا بتصحيحها دون الإشارة إلى ذلك في مكانه منعاً للتكرار .

(٦) في الأصل حفضه. (٧) في الأصل قاضي.

(٨) في الأصل واستحظر .

(٩) بمعنى وادعى كل منهما على الآخر .

←

من وثائق ومخطوطات عسير

في دار الوثائق القومية ودار الكتب بالقاهرة

للوثائق أهمية خاصة في دراسة التاريخ ، فهي بمثابة الآثار التي خلفتها أفكار السلف وأفعالهم ، كما أنها تحمل روح العصر الذي كتبت فيه ، وتلقي ضوءاً عليه وتُصور أحداثه . والكتابات التاريخية الجادة تصنعها دائماً الوثائق ، كما أن أصالة العمل التاريخي تُقَيَّمُ على قدر ماتوفر له من وثائق . فالوثيقة بالنسبة للمؤرخ بمثابة المادة الخام التي تحمل شهادة رجال الماضي . والفهم الصحيح للأحداث التاريخية لا يتسنَّى إلا بالرجوع إليها .

ووثائق ومخطوطات عسير التي نعرضُ لها في هذا البحث تحفظ في (دار الوثائق القومية بقلعة صلاح الدين بالقاهرة ، وفي (دار الكتب المصرية) على شاطئْ النيل بالقاهرة أيضاً .

وفيما يلي نعرض لأهم هذه الوثائق والمخطوطات :

اولاً : الوثائق : يمكن تصنيف الوثائق التي سنعرض لها إلى مجموعتين .

١ ــ وثائق عن ثورات أهالي عسير ضد حكم محمد علي[١].

٢ ــ وثائق عن فترة حكم محمد بن عائض في عسير ، ورغبة الدولة العثمانية في التخلص منه .

وبالنسبة للمجموعة الأولى من الوثائق فهي عبارة عن رسائل متبادلة بين محمد علي وبعض كبار قواده حول وضع قواته في عسير[٢]، وبينه وبين أحمد باشا يكن محافظ مكة بشأن مفاوضاته مع مشايخ عسير ، وحقيقة الأوضاع هناك[٣] وبينه وبين وكيله لدى الباب العالي بشأن موقف الدولة العثمانية من استيلائه على عسير[٤].

كما تشمل هذه الرسائل مراسلات من أمراء عسير خصوصاً علي بن مجثّل وسعيد بن مسلط إلى أمراء مكة وإلى غيرهم[٥].

وتوضح لنا هذه الوثائق الثورات العنيفة التي قام بها العسيريون ضد حكم محمد علي الذي تعرض لمقاومة عنيفة في هذه المنطقة ، كما تكشف عن ثورات بعض جند محمد علي ضدّه بسبب تأخر رواتبهم ، والتي كان أهمها ثورة تركي بيلمز Turki Bilmaz التي اشتد سعيرها وتخطى نطاقها منطقة الحجاز إلى الحديدة والمخا(٦).

وتحفظ هذه الوثائق في دار الوثائق القومية ضمن مجموعة المحافظ والدفاتر المعروفة باسم (محافظ بحربرا) ، و(محافظ عابدين) و(دفاتر المعية تركي) .

أما عن لغة هذه الوثائق فيمكن تقسيمها إلى قسمين :

أ ــ وثائق كتبتْ باللغة العربية ، وبأسلوب يتّسم مع روح العصر الذي كتبتْ فيه ، والذي يتّضح من خلاله تداخل العديد من الكلمات الأعجمية في اللغة العربية .

ب ــ وثائق كتبت باللغة التركية القديمة(٧) وكان الملك أحمد فؤاد ملك مصر قد أمر بترجمتها إلى العربية في محاولة منه لإبراز دور جَدِّهِ محمد علي ، فترجمت بواسطة بعض المتخصصين في اللغة التركية ترجمة صحيحة وواضحة .

أما عن المجموعة الثانية من الوثائق فهي عبارة عن عشر رسائل وصورة خط (هما يوني)(٨) وعن الرسائل فمنها ماهو بين الأمير محمد بن عائض أمير عسير وبين الخديو إسماعيل حاكم مصر(٩)، ومنها ماهو بين الأمير فيصل بن تركي أمير نجد وبين الخديو إسماعيل(١٠)، ومنها ماهو بين السلطان العثماني عبدالعزيز وبين الخديو إسماعيل(١١) ومنها ماهو بين الخديو إسماعيل وبعض قواده ومعاونيه المكلفين بتسوية أزمة عسير(١٢) ومنها أيضاً ماهو بين الأمير محمد بن عائض والسلطان العثماني(١٣) أما عن صورة الخط (الهمايوني) فهو عبارة عن الأمر السلطاني الخاص بتسوية المشكلة العسيرية سلمياً . وهذه المراسلات محفوظة ضمن (وثائق وسجلات عابدين) في دار الوثائق بالقاهرة وموضوع هذه الوثائق أنه بعد قيام الأمير محمد بن عائض بالاحتكاك بالعثمانيين خارج حدود إمارته ، وتهديده لمناطق

نفوذهم في الحجاز لجأ السلطان العثماني إلى خديوي مصر للاستعانة به في إيقاف تهديدات أمير عسير للمصالح العثمانية ، وعندما أَحَسَّ محمد بن عائض بذالك أخذ في تبادل رسائل المودة مع الخديو إسماعيل[١٤]. ولما كان هذا الخديوي لا يرغب في توريط نفسه في مشاكل في جنوب غرب الجزيرة العربية ، وفي نفس الوقت لا يرغب في إغضاب السلطان العثماني فقد استجاب لأوامر السلطان بإعداد قوة حربية تحت قيادة الأمير آلاي إسماعيل صادق[١٥] للانضمام إلى القوات العثمانية المعسكرة في ميناء جدة ، لتنتقل معها إلى جهة القنفذة لمواجهة أمير عسير[١٦] وفي نفس الوقت أخذ الخديوي في بذل مساعيه للوصول إلى تسوية سلمية بين السلطان وأمير عسير[١٧] وقد نجح الخديو في إقناع الباب العالي بتلك السياسة حتى لا تسفك دماء المسلمين وتحدث الفرقة بينهم[١٨].

ونتيجة لاستعداد أمير عسير للتفاهم ، أبلغ الخديوي الدولة العثمانية بذالك ، وبدأت علاقات الصفاء بين الطرفين خصوصاً بعد أن أصدر السلطان (فرمانا) بالعفو عن أمير عسير ، وأرسل الخديو هدية للأمير محمد بن عائض وهي عبارة عن بندقية مذهبة وخيمة كبيرة ، وزوج من (الطبنجات) مع خطاب ودّي تمنى فيه الخير له[١٩]. ولكن الأمر لم يستمر على ذالك فسرعان ما انقلب ابن عائض ضد الدولة العثمانية ، وأخذ في شق عصا الطاعة عليها ، وتحرك بقواته ضدها ، وانتهى الأمر في النهاية بتحرك القوات العثمانية والاستيلاء على عسير ، وتحويلها إلى (متصرفية عثمانية) في عام ١٢٨٩هـ .

ثانياً : المخطوطات : أما عن أبرز مخفوظات دار الكتب المصرية عن عسير المخطوط رقم (٧٠١ تاريخ) والمعنون «هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين» والذي كتبه السيد محمد بن علي الادريسي[٢٠] إلى صديق له في مصر بتاريخ ٦ من ربيع الثاني ١٣٣٠هـ وَذُيِّلَ بخطاب من ضابط عثماني أرسله من منطقة القنفذة لضابط آخر أكبر منه يشرح له فيه إحدى الوقائق الحربية التي حدثت بينهم وبين الإدريسي .

والمخطوط مكون من ٢٣ صفحة تقع رسالة الإدريسي منها في ١٨ صفحة .

ويتضح من رسالة الإدريسي كراهيته الشديدة للعثمانيين والتي يرجعها إلى أنهم (يستبيحون الحرم وينتهكون الأعراض ، ويتجاهرون بالمعاصي . والخروج على الحدود التي حددها الله ورسوله غير مبالين ، ولا متأدبين فلا الصلاة يؤدون ، ولا الشهر يصومون ، ولا هم في حكمهم يعدلون)[٢١] كما يتهم الإدريسي العثمانيين بالرشوة ، واحتقارهم للعرب وللغة العربية فيقول : (وناهيك بالرشوة وعكوفهم عليها مع عبثهم في أموال الرعية واحتقارهم للأمة العربية وللغة العربية ، وإهمال جميع المصالح العامة ، وإهانة رجال الدين إلى غير ذالك مما لا يصدر إلا عن القوم الظالمين الغادرين)[٢٢] .

وعند تحليلنا لما كتبه الإدريسي عن العثمانيين ينبغي أن نأخذ كلامه بحذر خصوصاً وأن موقف العداء بينه وبين العثمانيين ظل مستحكماً ، وأنه واصل الحرب ضدهم طوال فترة حكمه لمنطقة المخلاف السليماني[٢٣] ومع ذالك فلا يمكن لأحد أن ينكر أن ما كتبه يعتبر بالغ الأهمية لدارسي هذه الفترة فصاحبه شارك في الأحداث وصاغها بسلاحه وقلمه الذي يمثل وجهة نظر لا غنى للمؤرخ عن الاستفادة منها .

د. عبدالمنعم إبراهيم الجميعي
أستاذ التاريخ الحديث
كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - أبها

الحواشي :

(١) الجدير بالذكر أن الأستاذ الدكتور عبدالحميد البطريق له دراسة قيمة تحت عنوان «وثائق الحكم المصري في الجزيرة العربية ١٨١٩ - ١٨٤١» وقد تعرض فيها لهذه الوثائق بالدراسة ، كما تعرض لها أيضاً الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن في كتابه «من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي» .

(٢) من أمثلة ذالك رسالته بتاريخ ٦ صفر ١٢٢١هـ - انظر دفاتر المعية تركي - دفتر رقم (٢٠) بدار الوثائق القومية بالقلعة .

(٣) من أمثلة ذالك رسالته بتاريخ ١٢ رجب ١٢٣٨هـ . أنظر دفاتر المعية تركي - دفتر (١٤) بدار الوثائق القومية بالقلعة .

(٤) من أمثلة ذلك رسالته بتاريخ ١٨ محرم ١٢٤١هـ . أنظر دفاتر المعية تركي ، دفتر (٢٢) .

(٥) من أمثلة ذالك رسالة سعيد بن مسلط إلى الشريف محمد بن عون شريف مكة . أنظر محافظ بحربرا - محفظة رقم (٦) بدار الوثائق القومية بالقلعة .

(٦) لتفاصيل ذلك يمكن الرجوع إلى (محافظ عابدين، المحفظة ٢٣٧ صورة الوثيقة التركية رقم ١٤٣ بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٤٨هـ رسالة من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

(٧) كانت تكتب بحروف عربية ، وقد قام كمال أتاتورك بإلغائها واستبدالها بحروف لاتينية .

(٨) همايون : كلمة فارسية معناها الحرفي مبارك ، ويستخدم أيضاً بمعنى ملكي أو سلطاني أو امبراطوري . انظر : د. عبدالعزيز الشناوي : «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» جـ١ ص ٣٧٣ .

(٩) محفوظة بدار الوثائق القومية - سجلات عابدين - سجل ٢٤ صادر صورة المكاتبة العربية رقم ٣٤٣ بتاريخ ٣ ذي القعدة ١٢٨٣هـ .

(١٠) يمكن الرجوع لدار الوثائق القومية - دفتر رقم ١٩٠٧ ، أوامر عربي ص ٨١ مسلسل ٤١ بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٠هـ .

(١١) دار الوثائق القومية - دفتر ٢٢ صادر عابدين ص ٢٥ مسلسل ٩ بتاريخ ١٤ ربيع الثاني ١٢٨٢هـ .

(١٢) يمكن الرجوع إلى سجلات عابدين ، سجل رقم ٢٤ الوثيقة ٤٠٢ بتاريخ ٩ محرم ١٢٨٤هـ .

(١٣) رسالة تاريخها ١٨ محرم ١٢٨٦هـ من الأمير محمد بن عايض إلى السلطان العثماني عبدالعزيز يشكو فيها من ظلم الولاة العثمانيين واستبدادهم .

(١٤) من أمثلة هذه الرسائل رسالة من الأمير محمد بن عائض إلى الخديوي بتاريخ ١٠ شعبان ١٢٧٨هـ .

(١٥) إسماعيل سرهنك : «حقائق الأخبار عن دور البحار» جـ٢ ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ١٣١٤هـ ص ٢٩٤ .

(١٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة : دفاتر الأوامر ، دفتر رقم ١٩٠٨ أوامر عربي ص ٨١ رقم ٤١ في ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٠هـ .

(١٧) «المجلة التاريخية المصرية»: المجلد السابع ١٩٥٨ مقال للدكتور محمد السروجي تحت عنوان (موقف مصر إزاء بعض مشاكل شبه الجزيرة العربية) ص ٧٢ - ٧٤ .

(١٨) رسالة بتاريخ ١٤ ربيع الثاني ١٢٨٢هـ .

(١٩) دار الوثائق القومية - (سجلات عابدين) سجل رقم ٢٤ صادر صورة المكاتبة العربية رقم ٣٤٣ بتاريخ ٣ ذي القعدة ١٢٨٣هـ .

(٢٠) ولد في صبيا عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م ، وتعلم في الأزهر بالقاهرة ، واستطاع بناء بيت حاكم محرر من سيطرة الأتراك في منطقة المخلاف السليماني . لتفاصيل ذلك انظر د. عبدالمنعم الجميعي : «الأدارسة في المخلاف السليماني وعسير» ١٣٢٦ - ١٣٤٩هـ القاهرة ١٩٨٧م ص ٩ ومابعدها .

(٢١) و(٢٢) هذا بيان للناس ص ٦ .

(٢٣) الجميعي : المرجع السابق ص ٢٢ .

الرحالة الأوربيون في عسير 1834-1951م – 1250-1371هـ

إعداد الطالبة / فاطمة سعيد أبو ملحة
إشراف الدكتور / هاني بن زامل مهنا العبدلي

مستخلص

تتاول الدراسة بدء نشاط الرحلات الأوربية إلى الجزيرة العربية مع ذكر أنواع تلك الرحلات فمنها ما كان سياسياً أو علمياً أو طبياً أو استخباراتياً أو تجارياً أو سياحياً ، فأساليب الكتابة تختلف لدى الرحالة باختلاف أغراض رحلاتهم ، مما أدى إلى تباين الدقة والموضوعية في كتاباتهم ، وعلى الرغم من هذا التباين إلا أن كتب الرحالة رغم بعض الأخطاء مصدراً هاماً من مصادر التاريخ ومنطقة عسير تحديداً كانت منطقة مجهولة لأغلب الرحالة الذين وصلوا إلى الجزيرة العربية مثل بوركهارت الذي ظن أنها مدينة وكارستن نيبور حيث إنه جهل أسمها في بادئ الأمر ، وحتى قامت الحملة المصرية – حملة محمد علي باشا – على عسير 1834م، التي كانت تضم إضافة إلى الجيش مجموعة من الأطباء والصيادلة الفرنسيين والإيطاليين وكان لهم قصب السبق في إضافة عسير إلى قائمة البلاد المكتشفة للأوربيين وقد خصصت هذه الدراسة لتناول ما ورد في كتابات الرحالة الذين زاروا عسير في الفترة (1834 – 1950م) بالدراسة والتحليل معتمده على كتب الرحالة بالإضافة إلى كتب المؤرخين العرب بما يحقق للدراسة عنصر المقارنة ، كما تناولت الدراسة التعريف بهؤلاء الرحالة وخط سير رحلاتهم والجهات الممولة لهم ، مع محاولة الوصول للدوافع والأهداف الحقيقية لكل رحاله من خلال كتاباته حيث إن لكل هدف طريقه معينة للكتابة. وأما الجديد في الدراسة فهو تناولها للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية في عسير وتحليليها من خلال رؤية الرحالة .

European Travelers In Asir 1250 – 1371A.D / 1834 – 1951A.H

FATIMA SAEED ABUMELHA
Dr . Hani Zamil Mohanna al Abdali

Abstract

This study explores the start of activities of European travelers to Arabian Peninsula mentioning the types of these trips these were for different purpose some were political others were scientific medical intelligence gathering commercial or simple pleasure trips The writing of these travelers vary according to the purpose of the trip .this resulted in different levels of accuracy and subjectivity in their wittings Despite these difference the travelers written accounts and considered to be one of the most travelers who reached the Arabian Peninsula such as Burkahart , who thought that it is a small city, others like Karstain Nibore did not know its name . Until Muhammed Ali Pasha,s trip to Asir in 1934 whose included beside the army others such as physicians and pharmacists from France and Italy , it was unknown to the outside world .They are the first who added Asir region to the list of discovered places . this strud focused on the analysis of the books which was written by those western travelers who visited Asir region between 1934 and 1950 and comparing them with the narration giving by Arab historians of that time .In addition . this study explores the biography of those travelers and their traveling road maps , their financial source . motives and real objectives through their writings the findings of this study are that it explored and analyzed different and important aspects of Asir regain such as political economical ,social and urban areas (architectural) through the travelers ' perspective .

